

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الأوّل

دار صادر

بيروت

كتابُ الأغانيّ

1

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

I ـ أبو الفرج :

1 ـ توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممّن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فكان إسحاق ـ وصنعته التي عرف بها هي الغناء ـ يناظر أهل الكلام ، ويتكلّم في الفقه ، فإذا تحوَّل الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوّق على محاوريه في كل موضوع . كان عصراً يفسح المجال للمثقّف الطموح أن يتعمّق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتهاره بالتخصّص في اتجاه واحد . ومَن عرف مؤلّفات إسحاق الموصليّ الكثيرة[1] استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألّف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحدّي ، فيه نشأ أبو حيان التوحيديّ وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتّى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الورّاقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127–128) قد عدَّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تداخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشيّ وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 ـ متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

---

1 من هذه المؤلفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزّة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمّة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبجر . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأحوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أخرى كثيرة ، ممّا يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلّفات أخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أنّ الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخّرون نسبيّاً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعياني التوصل إليه . أمّا تاريخ وفاته . فسأتحدّث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 ـ النسبة إلى إصبهان

يقول الثعالبي (اليتيمة 3 : 114–118 ط . القاهرة) ، «الأصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أنّ أكثر مَن ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعدّوه أصفهانيّ المولد . غير أنّ بعض الباحثين المعاصرين يشكُّ في أن تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربّما لأنّ ابن النديم سمّاه «أبو الفرج **ابن الأصفهاني**» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أنّ أباه كان يعرّف بالأصفهانيّ ، فلمّا اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخفّفاً من قولهم ابن الأصفهانيّ) .

4 ـ تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أُميّة ، فقد كان شيعيّاً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشيّعه مجاراة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحبَّ أن يعرفه الناس «محايداً» ، فلا هو أُمويّ ولا هو عبّاسيّ ، وإنّما هو علويّ الهوى ، يتشيّع لعليّ وآله ، ويؤلّف في أخبار مَن قتل منهم كتاباً كاملاً سمّاه «مقاتل الطالبيين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاً من الأُمويين والعبّاسيين على حدٍّ سواء ، بل إنّه يُبرز أن مَن قتل منهم على أيدي العبّاسيين كان أكثر بكثير ممّن قتل في أيّام الأُمويين .

5 ـ المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكنّنا نستطيع أن نقدّر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنّها كعبة العِلم والفنّ والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج[1] الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل مَن لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصبهاني الناشيء عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

---

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949م .

والأخبار والآثار والأنساب ، بل إنّه لم يقف عند هذا الحدّ إذ رأى أنّ الثقافة التي تحوّل إليها لا بدَّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّه «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي اتّجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحاكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهيّىء نفسه ليكون نديماً يسلّي منادميه ، أياً كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيأ له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له الثعالبيّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبيّ الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المقذع ، حتى في هجاء المهلبيّ صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتّقونه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذه الوزير المهلبيّ نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتنوق في شؤون الشراب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال التنظّف في ملبسه وغيره ، وافتقاره إلى آداب المائدة .

وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسيّة تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمَّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكولاً نهماً ، فإذا أحسَّ بثقل الطعام في معدته تناول كميّة قليلة من الفلفل المدقوق كأنّه يعتقد أنّ ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أنّ أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهيّ وأنّه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظنّه ياقوت أبا الفرج الأصفهاني . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيّأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهو والحانات والمتنزهات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملحنين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيئه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلالين على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنّ أبا الفرج كان يحبّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنّه لم يكن يغادر بغداد إلاّ ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34–36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزّهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبتٍ من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : الديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرّ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيّض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضع ليالٍ ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «متوث» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقّة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكّة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجوّاب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار منادماته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءًا كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحدٌ لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوء بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعترافيّة لدى أبي الفرج قد تدفع متتبّع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانف عنها المواضعات الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمّ شواذ من السلوك .

6 ـ وفاة أبي الفرج

توفّي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنّه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجّة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنّه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عمّا قاله مؤلّف الفهرست .

وقد استوقف هذا التأريخ ياقوتاً الحمويّ الذي اطّلع على «أدب الغرباء» ونقل النصّ منه ، وقدّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمّل ، ونقل الصفديّ النصَّ بكامله عن ياقوت . وحين اطّلع محقّق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنّي أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرّع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أَبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدَّدٌ باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يبتدع ابن أَبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أَبي الفوارس هذا متابعاً لأَخبار أَبي الفرج ، فهو الذي أَخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أَبي الفرج لحادثة تمّت سنة 362 لا يستبعد انتماؤه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكّرنا أَنّ أَدب الغرباء كان آخر ما أَلّف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معزّ الدولة وتولّي ابنه بختيار ، فإنّ معزّ الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفّي أَبو الفرج بعده بحوالي ستّة أشهر ، وأَبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنّه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيّام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أَتردّد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II ـ مؤلفات أَبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتابين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعيّ في كتابه «أَبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 ـ كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

1 ـ مجرد (أَبو تجريد) الأغاني .

2 ـ أخبار جحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .

3 ـ أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .

4 ـ أخبار الإماء الشواعر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أَشعار الإماء» وطبع بالاسم الأول مرّة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .

5 ـ كتاب المماليك الشعراء .

6 ـ كتاب الأخبار والنوادر .

7 ـ كتاب أدب السماع .

8 ـ كتاب مجموع الأخبار والآثار .

9 ـ كتاب الغلمان المغنين .

10 ـ كتاب أَخبار الطفيليين .

11 ـ أيّام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 ـ كتب في الأنساب

1 ـ كتاب مناجيب الخصيان أَلّفه للوزير المهلبيّ في خصيين كانا له .

2 ـ كتاب جمهرة النسب .

3 ـ كتاب التعديل والانتصاف في أَخبار القبائل وأَنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 ـ أربعة كتب في أَنساب أَربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيبان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 ـ مؤلفات في مجالات أُخرى :

1 ـ كتاب دعوة التجار .

2 ـ كتاب تفضيل ذي الحجّة .

3 ـ كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 ـ مقاتل الطالبيين (وقد مرَّ ذكره فيما تقدّم) .

5 ـ كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 ـ دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحتري ، ديوان أَبي تمام .

5 ـ كتاب الأغاني الكبير :

1 ـ مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنّه كان في نحو خمسة آلاف ورقّة ، ولكنّه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أَبو الفرج عن المدّة التي أمضاها قال إنّه أَلّفه في خمسين عاماً أي أنّه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أَبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرىء هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدّهكيّ (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربّما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلّفه بعد أَن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرّد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّه لضخامته ، وذكر أَنّ أَبا الفرج لم يكتب منه إلاّ نسخة واحدة (وهذا معناه إلاّ «مبيضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأَجازه بألف دينار . وحين

بلغ الخبر الصاحب بن عبّاد استقلَ المبلغ ، أمّا مسوّدة الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور وبخطّ التعليق فاشتراها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهي والصاحب بن عبّاد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أحمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلّف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلمّا حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظُلِمَ وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّه ليوجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتر أن يحصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدَّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهذيب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجرّده ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868–1869) وبعدها طبعة الساسيّ (1905) ثم توالت الطبعات بعد استقراره محقّقاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16–25 ، مع فهارس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالت الطبعات البيروتيّة .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولمّا كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلَّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمدها الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «الهفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أُخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها ممّا يعز على الحصر .

2 ـ منهج أَبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشيد هي الحجر الذي ألقي في بحر معرفة أَبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أَصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أَبو الفرج أنّ الأصوات التي غنّاها ثلاثة هم : إبراهيم الموصليّ وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضمّ إليها ما غنّاه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غنّاه الخلفاء وأَبناء الخلفاء وأَن يذكر مع كلّ أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فتذكر ترجمته ونسبه والأَخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أيّاماً من أيّام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسُّل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كلّه لا ينفرد أَبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكلّ ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتّسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذاكرة قوية ، تنقذ صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعّبه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأَبي الفرج ، فهو لم يعفه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أَبي العتاهية : «وقد طالت أَخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أَبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدّمت ، ولم يتقدّم بشيء ، إلى أَشباه لذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظنّ إلاّ أنّ الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحت ، والهزل النحت ؛ وقد تأمّلتُ هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً . . .» .

3 ـ موثوقية أبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أَبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربّما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كلّ قبيح ومنكر» . لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشيعّه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم «كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيّام الناس والشعر والغناء والمحاضرات» (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلاّ أن ذلك كلّه يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرِّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسيّ وابن أبي خميصة وأبي خليفة بن الحباب الجمحيّ ، ولكنّه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإنّنا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطّة التي انتحاها كانت مفتوحة على مصراعيها لنقلة الأخبار ، ويجب أن نتذكّر أن ليس كلّ ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقديّ والهيثم بن عدي والطبري ، إذ لا بدَّ أن نتذكّر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهنالك باب آخر ندخل منه إلى مدى الموثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختيّ أنَّ أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربّما تكون أهمية هذه الرواية في أنّ أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذٍ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : «وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد» ، إلاّ أنّ ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنّها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارىء ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أنّ شخصية أبي الفرج تمثّل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنّك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكّرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أُميّة وعصرهم وجدته لا يفترق كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرّق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أوّلهما أنّ أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أميّة لم يكونوا يقلّون في ترفهم عن بني العبّاس في ذروة تطوّرهم ، وأنّه هو نفسه غير ملوم في أن يغرق إلى أُذنيه في

الملذات ، لأنّه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إنّ الأغاني يصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المألوف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيلات يجعلونها أقنعة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارىء فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكادميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنّون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقه .

4 ـ هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً بيني وبين محقّقي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشبع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتّصلان بنا لا بالأغاني : أوّلهما أنّنا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونبيل) وفقّهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 ـ كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المدة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكتفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنّها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورقاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطراً ومعدّل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .

أمّا النسخة الثانية فهي نسخة التيموريّة بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنّا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينيّة حيث تأكّدنا أنّها الأرجح وأمدتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات ببنط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطّتنا أن نقرأ الأغاني مقارناً بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكنّا لم نستطع أن نحقّق ذلك إلاّ بصورة جزئيّة ، لكثرة تلك المصادر .

إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتزّ تعد كتباً موجزة جدّاً فقيرة إذا قورنت به .

إن نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربيّ ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزبانيّ ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهمّاً آخر ، في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنّه سميعٌ مجيبٌ .

عمّان ــ بيروت (يونيه ــ حزيران 2000) **إحسان عبّاس**

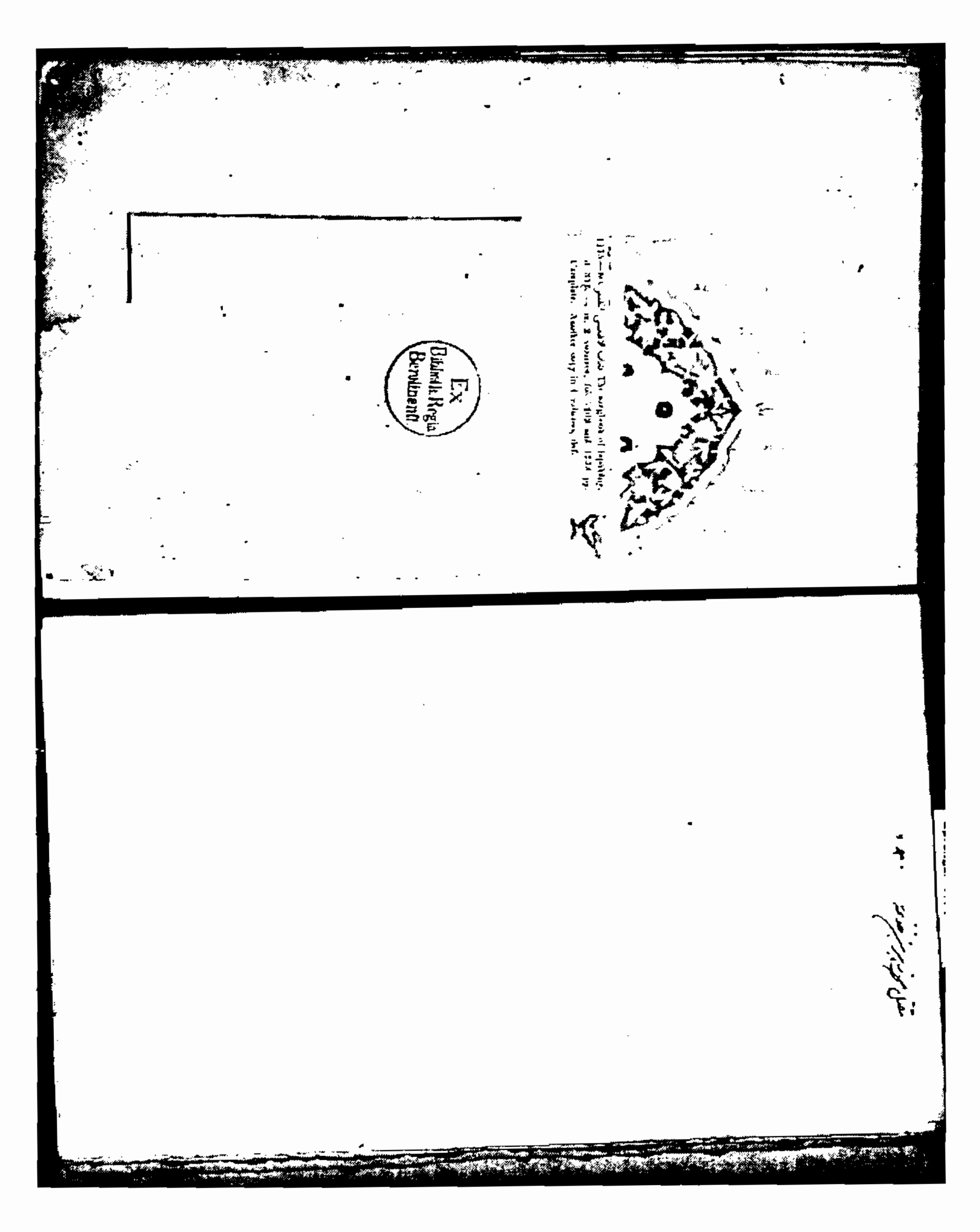
المصادر والمراجع

1 ـ المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

1 ـ ابن النديم : **الفهرست** ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971م .
2 ـ الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
3 ـ أبو منصور الثعالبيّ : **يتيمة الدهر** ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
4 ـ أبو نعيم : **تاريخ أصفهان** ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
5 ـ ابن الجوزيّ : **المنتظم** ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
6 ـ جمال الدّين القفطيّ : **انباه الرواة** ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
7 ـ ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي ـ بيروت) .
8 ـ ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
9 ـ ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ، 3 : 207 (بيروت) .
10 ـ خليل بن أيبك الصفديّ : **الوافي بالوفيات** ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993م) .
11 ـ الحافظ الذهبيّ : **العبر في خبر من غبر** ، 2 : 305 (الكويت 1960م) .
12 ـ الحافظ الذهبي : **ميزان الاعتدال** ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
13 ـ الحافظ الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
14 ـ اليافعي : **مرآة الجنان** ، 2 : 159 .
15 ـ ابن كثير : **البداية والنهاية** ، 11 : 263 (بيروت ـ الرياض) .
16 ـ ابن حجر العسقلاني : **لسان الميزان** ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت) .
17 ـ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
18 ـ ابن العماد : **شذرات الذهب** ، 3 : 19 .

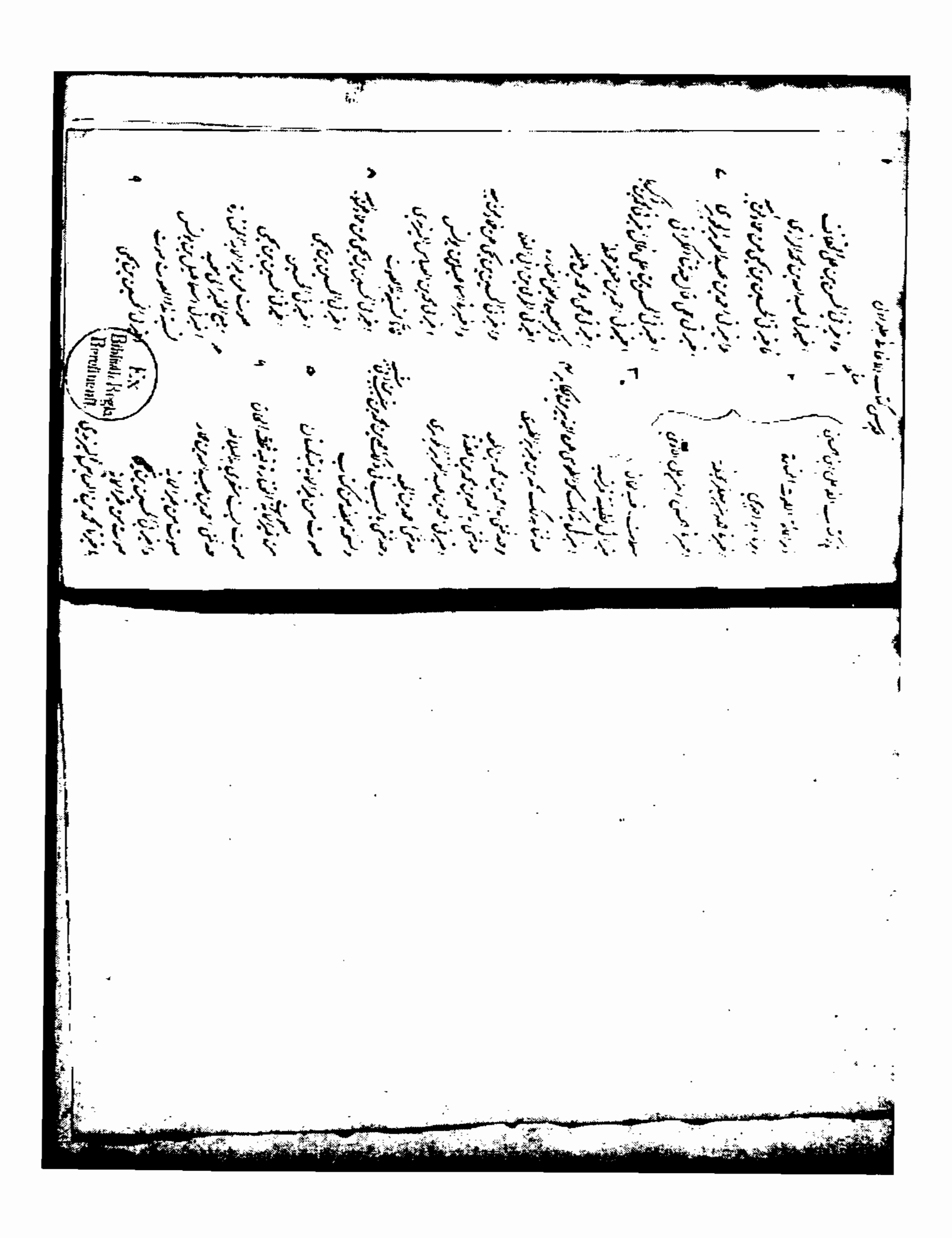
المراجع الحديثة

19 ـ M. Nallino, in EI2, p. 118
20 ـ بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** (الترجمة العربية) Brockelmann, GAL .
21 ـ فؤاد سزكين : **تاريخ التراث العربي** ، 2 : F. Sezgin, GAS .
22 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : **أبو الفرج وكتابه** ، (القاهرة ، 1956) .
23 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
24 ـ خلف الله محمد أحمد : **صاحب الأغاني أبو الفرج** . . . (دار الكاتب العربي 1968) .
25 ـ محمد أبو الفضل إبراهيم : **مقدّمة المحقّق** ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
26 ـ أحمد طالب : **أبو الفرج الأصفهاني و . . . مقاربة ببليوغرافيّة** (بحث في مجلّة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد [السنة الخامسة (17)] مايو/ أيّار 1997 .
27 ـ **مقدّمة الدكتور صلاح المنجد** محقّق «أدب الغرباء» (ص 5–17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزيداً من الدراسات الكلاسيكيّة والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أنّ هناك بحوثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .



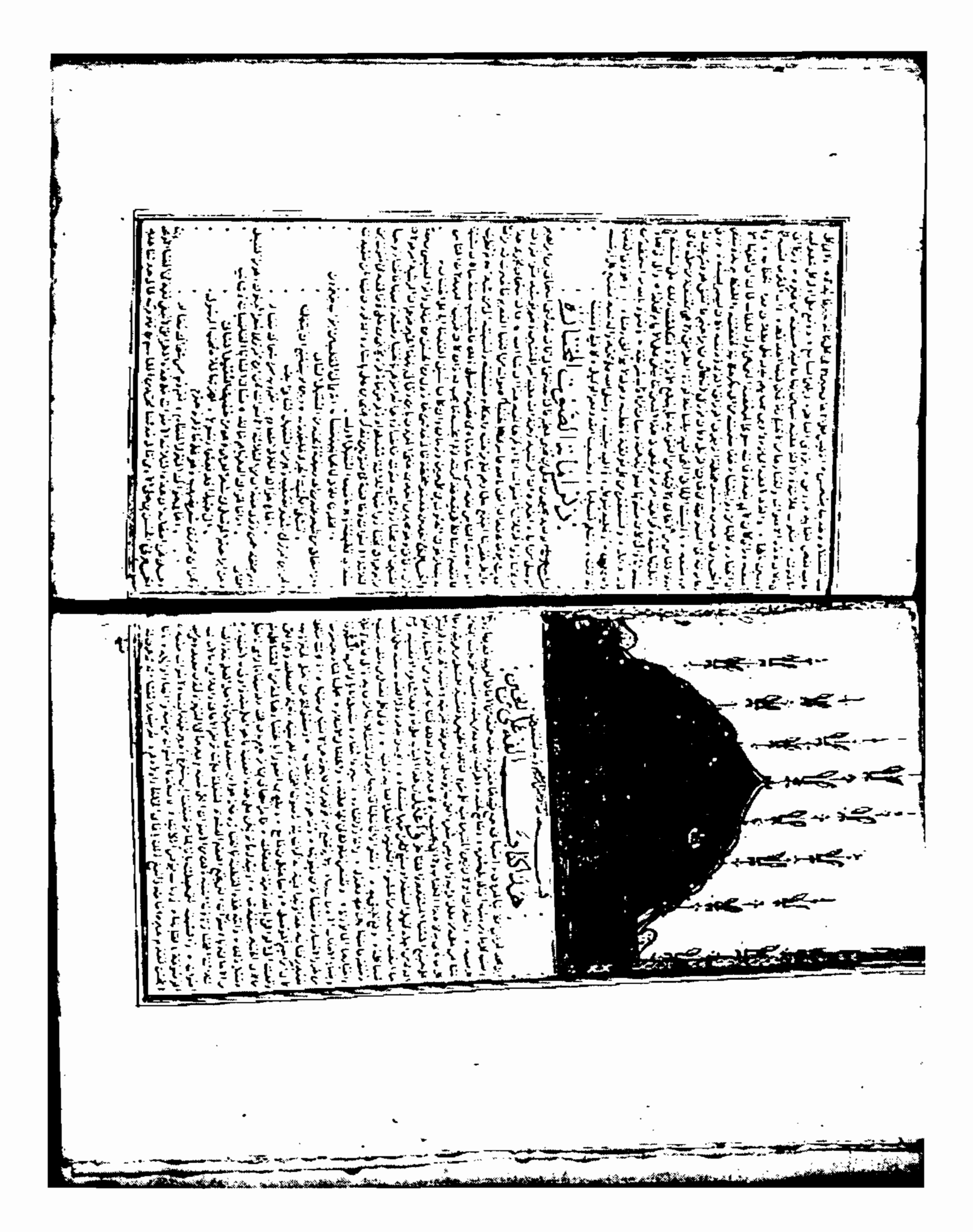
ورقة الغلاف من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



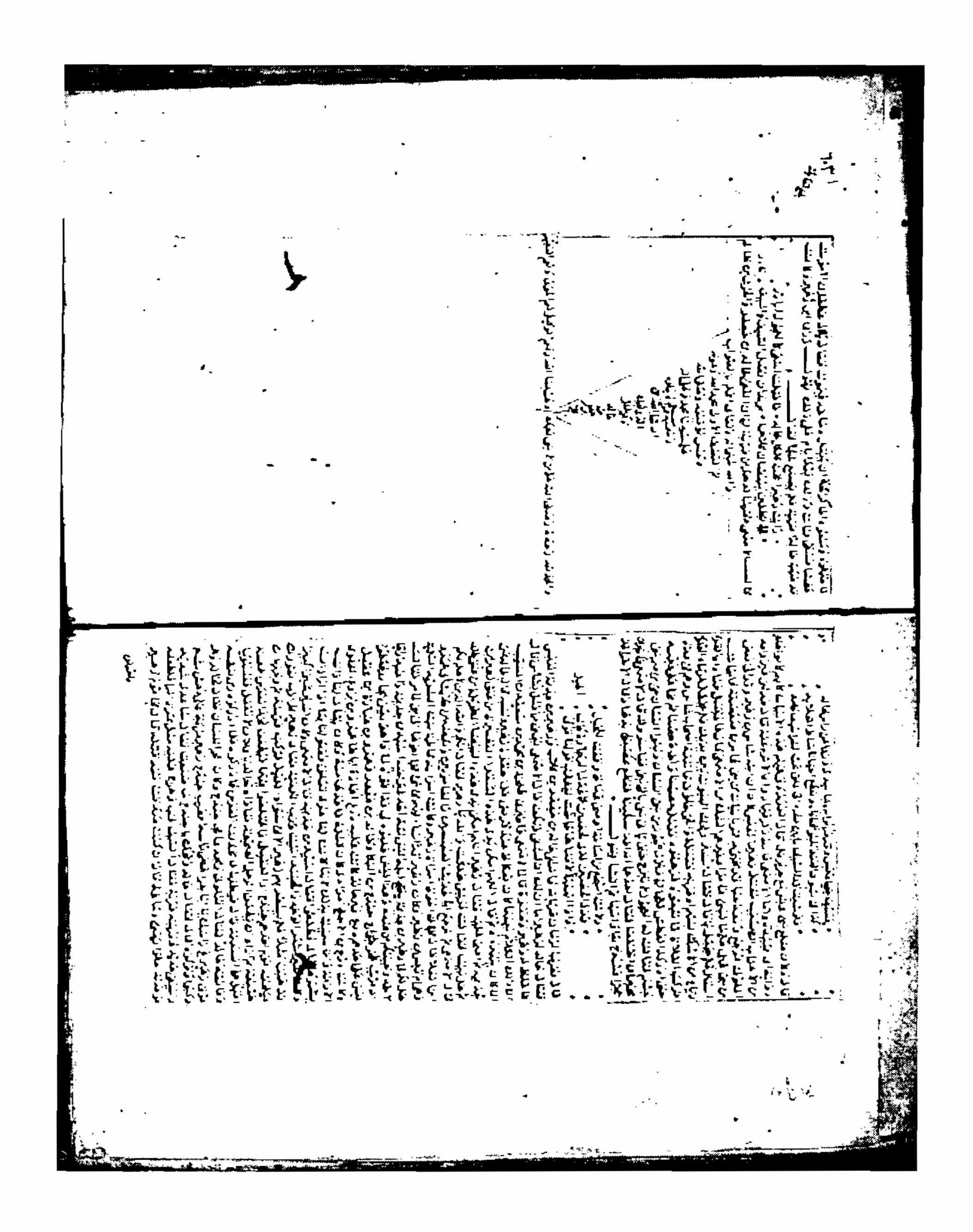
الورقة الأولى من فهارس المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



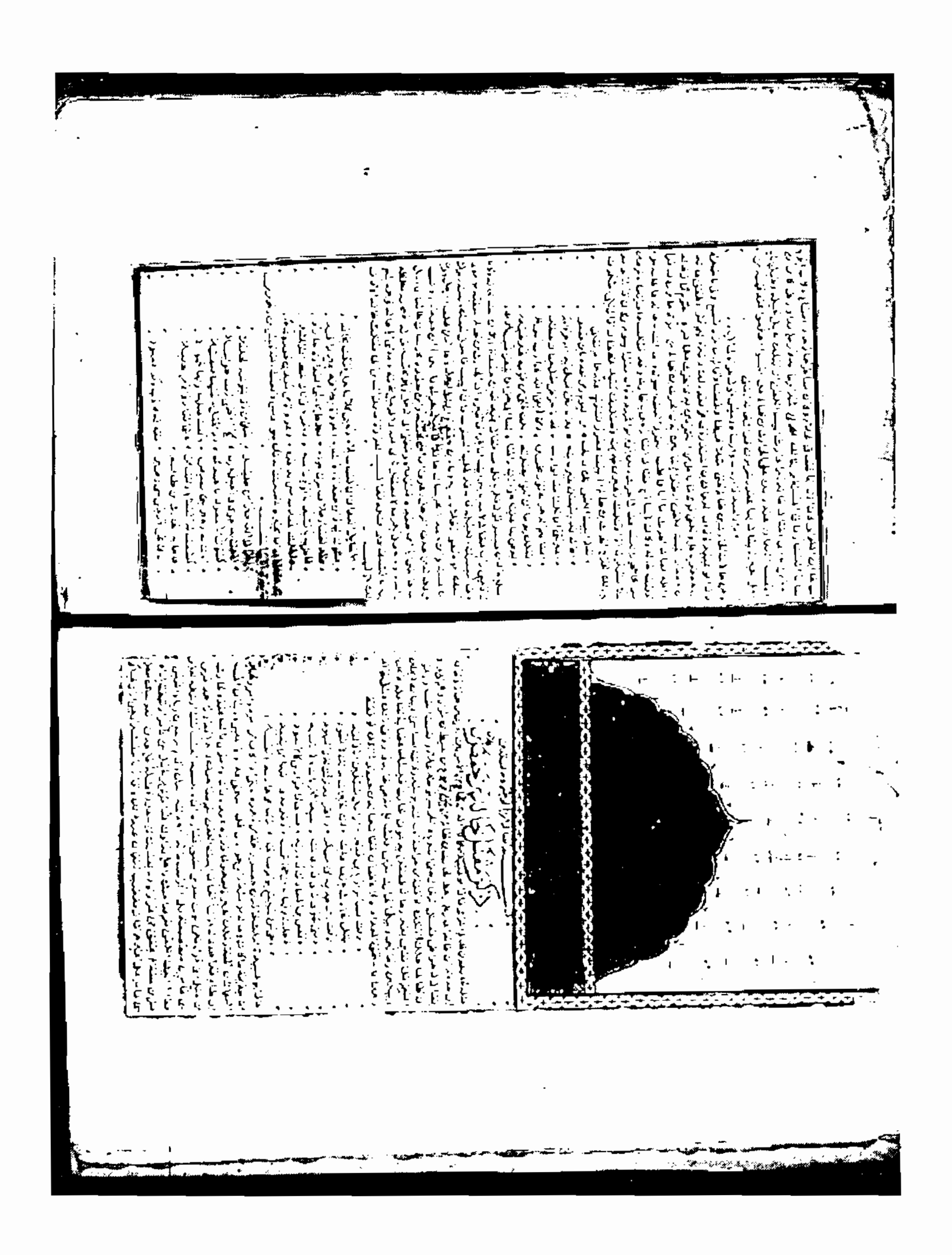
الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



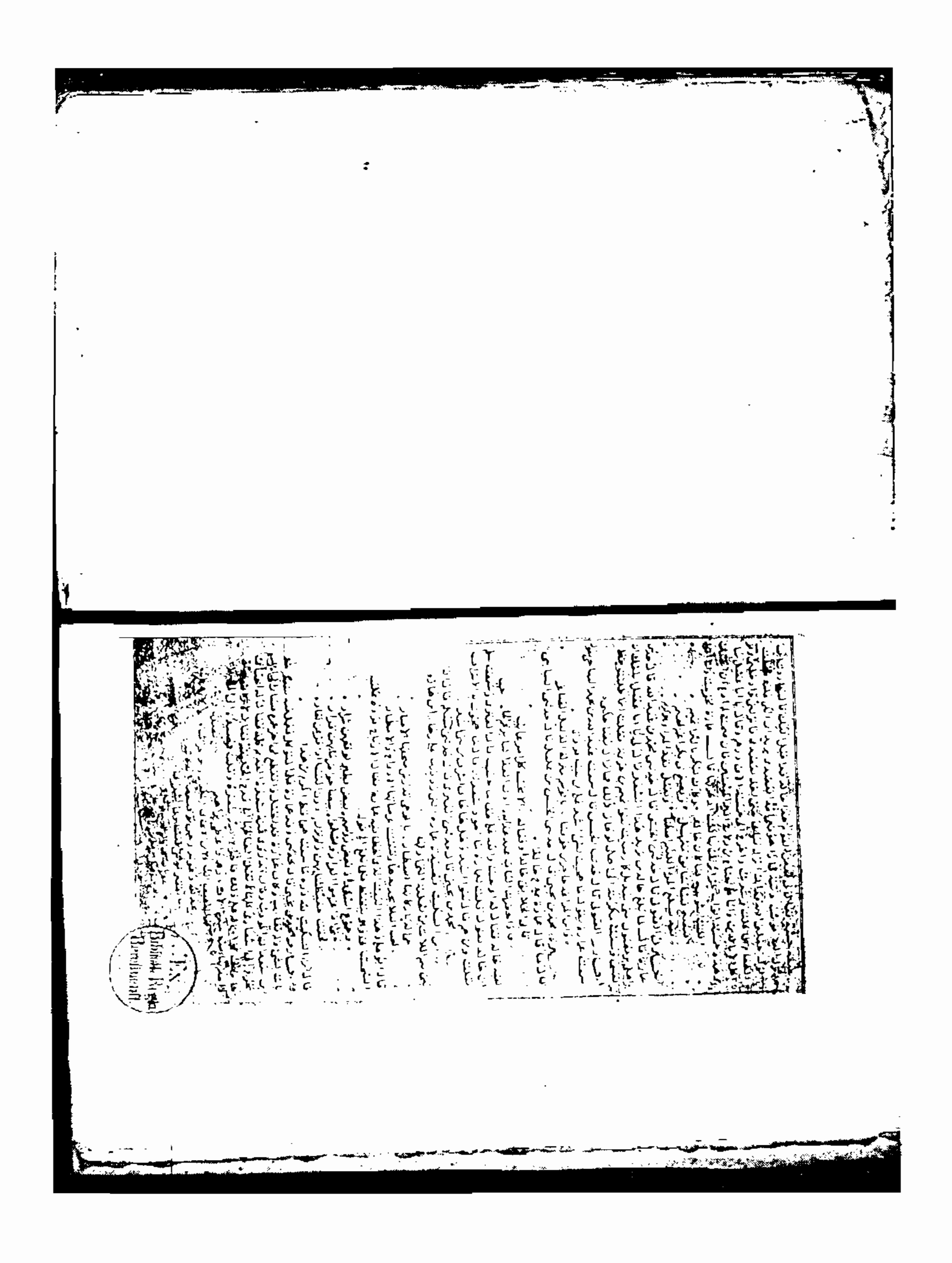
الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدّمة المؤلّف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألّفه عليُّ بنُ الحسين بن محمد القُرَشيّ الكاتب المعروف بالأصفَهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعُه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كلَّ ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانعِ لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشتراكٍ إن كان بين المغنين فيه ، على شرحٍ لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنًى عن علمه من عِلل إعرابه وأَعاريض شعره التي بها يوصِّل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولم يستوعب كلَّ ما غُنِّيَ به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرّداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدِّم والمتأخّر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنِّيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعرُ أو صُنع اللحنُ خبراً يُستفاد ويَحْسُن بذكره ذكرُ الصوت معه ، على أقْصرِ ما أمكنه وأبعدِه من الحَشو والتكثير بما تَقِلُّ الفائدة فيه . وأتى في كلّ فصلٍ من ذلك بنُتَفٍ تُشاكله ، ولُمَعٍ تليق به ، وفِقرٍ إذا تأمّلها قارئُها لم يزل متنقِّلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرِّفاً منها بين جدٍّ وهزلٍ ، وآثارٍ وأخبار ، وسِيَرٍ وأشعار ، متّصلةٍ بأيّام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالمتأدِّبين معرفتها ويحتاج الأَحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُنتخَلةً من غُرَر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانِّها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدَّر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأمير المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمَرَ إبراهيم المَوصلي وإسماعيل بن جامع وفُلَيحَ بن العَوْراء باختيارها له من الغناء كلِّه ؛ ثم وقعت إلى الواثق بالله ، رحمة الله عليه ، فأمَرَ إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنّه أفضل ممّا كان اختِير متقدّماً ، أو يُبدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى[1] منه وأولى

1 ل : أعلم .

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتْبعَ هذه القطعةَ بما اختاره غيرُ هؤلاء من متقدِّمي المغنّين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النَّغمَ العشرَ المشتملة على سائر نَغَم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدّم غيرها في الشهرة كَمُدُنِ مَعبَد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جُعلت بإزائها من صَنْعة ابن سُرَيْج وخَيَّر بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة[1] بألقابها وزيانِبِ يُونُسَ الكاتب ؛ فإنّ هذه الأصوات من صُدور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصّةٌ تُستفاد وحديثاً يُستحسن ؛ إذ ليس لكلِّ الأغاني خبرٌ ، ولا في كلّ ما له خبر فائدةٌ ، ولا لكلٍّ[2] ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويُلهي السامع .

ووَقَّع على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ «صوت» لتكون علامةً ودلالةً عليه يتبيَّن بها ما فيه صنعةٌ من غيره . وربّما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعار[3] قيلت في تلك المعاني وغُنِّيَ بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتَّبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ؛ لأنّها إذا أُفرِدت عنها كانت إمّا منقطعة الأخبار غير مُشاكلةٍ لنظائرها أو مُعادةً أخبارُها ؛ وفي كلتا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيءُ الذي تطولُ أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لئلاّ تنقطعَ الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخَّر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائر له يُضاف إليها ، غير قاطع اتّساق غيره منها ولا مُفرِدٍ للقرائن بتوسُّطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل وألْيَق .

[ترتيب الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولعلَّ [بعض] مَن يتصفَّح ذلك يُنكر تركْنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنِّين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنَّى به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه عِلَلٌ :

منها : أنّا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثةَ الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأوّلهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمَرُ بن أبي ربيعة ، ثم نُصَيبٌ . فلمّا جرى أوّلُ الكتاب هذا المجْرَى ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، أُلحِق آخرُه

---

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعل على حسب ما حضر ذِكره . وكذلك سائر المائةِ الصوت المختارة ؛ فإنّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنّين . وليس المَغْزَى في الكتاب ترتيبَ الطبقات ، وإنّما المَغْزَى فيه ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا ممّا يضرُّ بها .

ومنها : أنّ الأغاني قلَّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراكٌ بين المغنّين في طرائقَ مختلفةٍ لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنّين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أنّ ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يَخْلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن نأتيَ بكلّ ما أتى به المصنِّفون والرواةُ منها على كثرة حَشْوه وقلّة فائدته ، وفي هذا نقضُ ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن نأتي ببعض ذلك فيُنسَبَ الكتابُ إلى قصورٍ عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبارُ الشعراء . فلو أتينا بما غُنِّي به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نَفرُغ منه ، لجرى هذا المَجْرَى ، وكانت للنفس عنه نَبْوة ، وللقلب منه مَلَّة ، وفي طباع البشر محبّةُ الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحةُ من معهود إلى مستجَدٍّ . وكلُّ منتقَلٍ إليه أَشهى إلى النفس من المنتقَل عنه ، والمنتَظرُ أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتّبناه أَحلى وأحسنُ ، ليكون القارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبارٍ قديمة إلى مُحدَثةٍ ، ومَلِيك إلى سُوقة ، وجِدٍّ إلى هَزل ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه ، لا سيَّما والذي ضَمَّنَّاه إيّاه أحسنُ جنسِه ، وصَفْو ما أُلِّف في بابه ، ولُبابُ ما جُمع في معناه .

وكلُّ ما ذكرنا فيه من نِسَب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيمَ بن المَهْدي ومُخارق وعَلُّويه وعمرو بن بانةَ ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ومن وافقَهم ؛ فإنّهم يسمُّون الثقيلَ الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، ويسمّون الثقيلَ الثاني وخفيفه الثقيلَ الأوّل وخفيفه ، وقد اطُّرح ما قالوه الآن وتُرك ، وأخذَ الناسُ بقولِ إسحاق .

[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والذي بَعثني على تأليفه أنّ رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه له ، وعرَّفني أنّه بلَغه أنّ الكتاب[1] المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليلُ الفائدة ، وأنّه شاكٌّ في نسبته ؛ لأنّ أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأنّ ابنه حمّاداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك . وقد لعَمْري صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

---

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما ألّف أبي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التي جُمِعَتْ فيه إلى ما ذُكر معها من الأخبار ما غَنَّى فيه أحدٌ قطُّ ، وأنّ أكثر نسبه إلى المغنِّين خطأ ؛ والذي ألّفه أبي من دواوين الغناء يدلّ على بُطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وضَعه ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُّخصةِ[1] التي هي أوّل الكتاب ؛ فإنّ أبي ألّفها ؛ إلاّ أن أخبارها كلّها من روايتنا . هذا ما سمِعتُه من أبي بكر حكايةً فحفظتُه واللفظ يزيد وينقُص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظةُ أنّه يعرِف الورّاقَ الذي وضَعه ، وكان يسمَّى بسندٍ الورّاق ، وحانوتُه في الشرقية في خان الزبل[2] ، وكان يُوَرِّق لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورةَ الطَّرائق ، ولا هي بمُقنعةٍ من جُملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغُ الإرادة ؛ فتكلَّفتُ ذلك له على مشقَّةٍ احتملتُها منه ، وكراهةَ أن يؤثَر عنّي في هذا المعنى ما يبقى على الأيّام مخلَّداً ، وإليّ على تطاولها منسوباً ، وإن كان مَشوباً بفوائد جَمَّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلِّ مُوبقةٍ وخَطِيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصْمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليه نُنيب . وصلّى الله على محمد وآله عند مُفتَتَح كلِّ قول وخاتمته وسلّم تسليماً . وحسبُنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعيناً .

---

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءاً لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شكّ فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] ـ ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنّين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدّثني أبي قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ أباه أخبره أنّ الرشيد ، رحمة الله عليه ، أمَرَ المغنِّين ، وهم يومئذٍ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصواتٍ من الغناء القديم ، فاخترتُ له من غِناء أهلِ كلِّ عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شَدا به ، ثم نظرتُ إلى ما أحدث الناسُ بعدُ ممّن شاهدناه في عصرنا وقُبَيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبِهاً لما تقدّم أو سالكاً طريقَه ، فذكرتُه ولم أبْخَسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأنّ الناس قد يتنازعون الصوتَ في كلّ حين وزمان ، وإن كان السَّبْقُ للقدماء إلى كلّ إحسان .

وأخبرني أحمدُ بن جعفرٍ جحظة قال حدّثني هارون بن الحَسَن بن سَهل وأبو العَنْبَس بن حمدون وابن دُقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أنَّ الرشيد أمر هؤلاء المغنّين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختاروها ، ثم أمرهم باختيار عشرةٍ منها فاختاروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكَرَ نحوَ ما ذكره يحيى بن عليّ ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن عليّ بإسناده المذكور أنّ منها لَحْنَ مَعبَد في شعر أبي قَطيفة وهو من خفيف الثَّقيل الأوّل : [من البسيط]

القصر فالنخــل فالجَمَّاءُ بينهمــا | أَشْهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ

ولَحْنَ ابن سُرَيج في شعر عُمَر بن أبي ربيعة ، ولحنُه من الثَّقيل الثاني : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لّما جَهَدْتُه | وبَيَّن لــو يَسْطِيــعُ أن يتكلَّمــا

ولَحْنَ ابن مُحرزٍ في شعر نُصَيب ، وهو من الثقيل الثاني أيضاً : [من الطويل]

أهــاجَ هــواكَ المنزلُ المتقــادِمُ ؟ | نَعَــمْ ، وبــه ممّــن شَجاكَ مَعالِمُ

وذكر جحظةُ عمن روى عنه أنّ من الثلاثة الأصوات لحنَ ابنِ مُحرِزٍ في شعر المجنون ، وهو من الثقيل الثاني : [من الطويل]

إذا ما طَواكِ الدهــرُ يا أمَّ مالك | فشأنَ المنايـــا القاضياتِ وشانِيا

ولحن إبراهيم[1] الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقيل الثاني : [من الوافر]

إلى جَيْـداء قـد بَعثـوا رسولاً ليُحْزِنَهـا ، فـلا صُحِبَ الرسولُ

ولحن ابن محرز في شعر نُصيب ، وهو على ما ذكر ، هزَج : [من الهزج]

أهـاج هـواكَ المنزلُ المتقـادمُ ؟ نعـم وبـه ممـن شجاك معالمُ

وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلاّ وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأَدَميّ[2] قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني محمد بن جرير المغنّي قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسنَ صوت غُنِّيَ فيه ، فاختاروا له لحنَ ابن مُحْرِز في شعر نُصَيب :

أهاج هواك المنزلُ المتقادمُ ؟

قال : وفيه دَورٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أصحُّ عندي . ويدلّ على ذلك تبايُن ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأُخَر في جَودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطِعها وما فيها من العمل ، وأنّ الأُخَر ليست مثلَها ولا قريبةً منها . وأُخرى هي أنّ جَحظَةَ حكى عمّن روى عنه أنّ فيها صوتاً لإبراهيم الموصليّ ، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيح [بن العوراء] ، وليس أحدٌ منهما دونه إن لم يَفُقْه ، فكيف يمكن أن يقال : إنّهما ساعدا إبراهيم الموصلي على اختيار لَحْنٍ من صَنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفُضِّلت عليها ؟ ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكمَا لإبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرِّياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلِّماً ، فقال له أبوه : يا بُنَي ، ما أعلم أحداً بلَغ من برٍّ ولده ما بلغتُه من برّك ، وإنّي لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجةٍ أُصير فيها إلى محبَّتك ؟ قلت : قد كان ، جُعِلتُ فداك ، كلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لي بقاءك ، ولكنِّي أسألك واحدةً : يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمعه ، فيقول الناس لي ماذا وأنا أَحُلُّ منك هذا المَحَلَّ ؟ قال لي : ومن هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقتَ يا بُنيّ ، أَسْرِجوا لنا . فجئنا ابن جامع ، فدخل

---

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من يبيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتك في حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمني ، وإن شئت فاقذِفني ، غيرَ أنّه لا بدّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن تُسْعفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شَريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمكما مَشُوشة وقَلِية وأَسقيكما من نَبِيذي التمريّ وأُغَنِّيكما ، فإن جاءَنا رسولُ الخليفة مضينا إليه وإلاّ أَقَمنا يومنا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمَرَ بالدوابّ فرُدَّت . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقليّة ونبيذه التمريّ فأكلنا وشرِبنا ، ثم اندفع فغنَّانا ، فنظرتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويعظُم ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلمّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركِبنا وركبتُ معهما . فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيت ابنَ جامع يا بنيّ ؟ قلت له : أَوَ تُعْفيني جُعِلتُ فِداك ! قال : لستُ أُعفيك فقل . فقلت له : رأيتُك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صغُرت عندي في الغناء معه [حتى صرتَ كلا شيء] . ثم مضَيا إلى الرشيد ، وانصرفتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنـي لم أكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلمّا أصبحتُ أرسلِ إليّ أبي فقال : يا بنيّ ، هذا الشتاء قد هجَم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه ، فاصرِف هذا المال في حوائجك . فقمت فقبّلت يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال واتّبعته ، فصوَّت بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ، جُعِلتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدقي فيك وفي ابن جامع . قال : صدقتَ يا بنيّ ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرّقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُستغنى بما ذكر ها هنا عنها . فإبراهيم يُحِلّ ابنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقدِم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدَّماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُلَيح عليه ؟! هذا خطأ لا يُتَخيَّل . وعلى ما به فإنّا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن عليّ ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نُتبعهما باقي الاختيار . فأوّل ذلك من رواية أبي الحسن عليّ بن يحيى .

[2 ـ الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فالنَّخـلُ فالجَمَّاءُ بينهما أَشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ
إلى البَلاطِ فمـا حـازت قَرائنُه دُورٌ نَزَحْن عـن الفَحْشاءِ والهُونِ
قـد يَكتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها ولا يَنالـون حتى الموتِ مَكْنوني

عَرُوضه من أوّل البسيط . القصرُ الذي عناه هاهنا : قصرُ سعيد بن العاص بالعَرصة[1] . والنخل الذي عناه : نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجَمَّاء ، وهي أرضٌ كانت له ، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ، ابتاعه من ابنه عمرٍو باحتمال دَيْنه عنه ؛ ولذلك خبرٌ يُذكر بعدُ . وأبواب جَيْرونَ بدمشق . ويُروى : «حاذت قرائنه» من المحاذاة . والقرائن : دورٌ كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ؛ سُمِّيت بذلك لاقترانها . ونزحن : بَعُدن ، والنازح : البعيد ؛ يقال : نَزَح نُزُوحاً . والهُون : الهَوان . قال الراجز : [من الرجز]

لم يُبْتَذَلْ مثـلُ مَكْنُـونْ أبيضَ ماضٍ كالسِّنانِ المَسْنونِ
كان يُوَقِّي نفسَه من الهُونْ

والمكنون : المستور الخفيّ ، وهو مأخوذ من الكِنِّ . الشعر لأبي قَطِيفة المُعَيْطِيّ ، والغناء لَمعبد ، وله في لحنان : أحدهما خفيفُ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى في مَجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عَمرو بن بانَةَ .

---

1 ل : بالعرضة .

[3] ـ خبر أبي قطيفة ونسبه[1]

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط . واسم أبي معيط أَبانُ بن أبي عمرو بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب . هذا الذي عليه النسّابون .

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ في «كتاب المَثالب» أنَّ أبا عمرو بن أُميّة كان عبداً لأُميّة اسمه ذَكْوان فاسْتَلْحَقَهُ . وذكر أنّ دَغْفَلاً النَّسَّابة دخل على معاوية فقال له : مَنْ رأيتَ من عِلْيةِ قُرَيش ؟ فقال : رأيت عبد المطّلب بن هاشم وأُميّةَ بن عبد شمس . فقال : صِفْهما لي . فقال : كان عبد المطلب أبيضَ مَدِيد القامة حسنَ الوجه ، في جبينه نور النبوّة وعزّ الملك ، يُطِيفُ به عشرةٌ من بَنِيه كأنّهم أسْدُ غاب . قال : فصِفْ أُمَيّة . قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَريراً يَقُوده عبدُه ذكوان . فقال : مَهْ ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتموه بعدُ وأحدثتُموه ، وأمّا الذي عرَفتُ فهو الذي أخبرتُك به .

ثم نعود إلى سياقة النَّسَب من لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . والنضر عند أكثر النسَّابين أصل قريش ، فمن وَلَدَه النضرُ عُدَّ منهم . ومن لم يَلِدْه فليس منهم . وقال بعض نسّابي قريش : بل فِهْر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يلده فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وولدُ إلياس يقال لهم خِنْدِفُ ، سُمُّوا بأُمِّهم خندفَ وهو لقبها ، واسمها ليلى بنتُ حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة ، وهي أُمُّ مُدْرِكةَ وطابِخَةَ وقَمَعَةَ بني إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أدّ بن أُدَدَ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُبَ ، وقيل : أَشْجبُ ، بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسّابو العرب وروي عن بن شِهاب الزُّهريّ وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسّابين ممّن أخذ ، فيما يزعمُ ، عن دَغْفَلٍ وغيرِه : مَعَدُّ بن عدنان بن أُدَد بن آمين بن شاجِيب بن نَبْت بن ثَعْلبة بن عَنْز بن سُرَيج بن محلم بن العَوّام بن المُحْتمل بن رائِمَةَ بن العِقْيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر[2] بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن

---

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67–68 (تحقيق عبد الستار فراج) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقر .

الرائد بن بدوان بن أُمامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النَّـزَّال بن الغمير بن مجشر بن معذر بن صَيْفِيّ بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليماً . ثم أجمعوا أنّ إبراهيم بنُ آزرَ وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه ، وهو في التوراة بالعِبرانية تارَح بن ناحُور ، وقيل : النّاحر بن الشّارِع وهو شارُوع بن أَرْغُو وهو الرامح بن فالغ ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها ، بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلّى الله عليه وسلّم ابن لامَك وهو في لغة العربِ مِلْكان بن المُتوشَلَخ وهو المنوف بن أُخنُخ وهو إدريس نبيّ الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مَهْلايِل بن قَيْنان وهو قنان بن أَنُوش وهو الطاهر بن شِيثٍ وهو هبة الله ويقال له أيضاً : شاثُ بن آدم أبي البشر صلّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبيّنا محمد خاصة وسلّم تسليماً . هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبيّ ﷺ تكذيبٌ للنسّابين ودفعٌ لهم . ورُوي أيضاً خلافٌ لأسماء بعضِ الآباء . [وقد شرَحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يُستغْنى به عن غيره] .

[العنابس والأعياص من بني أميّة]

وأبو قطيفةَ وأهله من العنابِس من بني أميّة . وكان لأميّة من الوَلَد أحدَ عشرَ ذَكَراً ، كلٌّ واحد منهم يُكْنى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعِيص وأبو العِيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحَرْب وأبو حرب ، وسُفيان وأبو سفيان ، والعُوَيص لا كُنى له . فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حَرَميٌّ بن أبي العَلاء ، واسمه أحمد بن محمد بن اسحاق ، والطُّوسيّ ، واسمه أحمد بن سليمان ، قالا : حدّثنا الزُّبير بن بَكَّار عن محمد بن الضَّحَّاك الحِزاميّ عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص . ومنهم العنابس[1] وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . وإنّما سُمُّوا العنابسَ لأنّهم ثبَتوا مع أخيهم حَرْب بن أُميّة بعُكاظ وعقَلوا أنفسَهم وقاتَلوا قِتالاً شديداً فشُبِّهوا بالأسْد ، والأُسْدُ يقال لها العنابس ، واحدها عَنْبَسَة . وفي الأعياص يقول عبد الله بن فَضالة الأَسَديّ : [من الوافر]

مِن الأعياصِ أو من آل حربٍ أَغَـرَّ كغُـرة الفرس الجَوادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعرَ ما أخبرَنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة ، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز ، قال : حدّثنا المَدائنيّ

1 قارن بأنساب الأشراف 1/4 : 3 .

وابن غَزالة ، قالوا : أتى عبدُ الله بن فُضالة بن شَريك الوالبيّ ثم الأسديّ من بني أَسَد بن خُزيمة عبد الله بنَ الزُّبير ، فقال له : نَفِدتْ نَفَقتي ونَقِبتْ راحلتي . قال : أحضِرْها ، فأحضرَها . فقال : أقبِلْ بها ، أدبِرْ بها ، ففعل . فقال : ارقَعها بسِبْتٍ واخصِفها بهُلْبٍ وأَنجد بها يَبرُد خُفُّها وسِرِ البَرْدَين تَصِحّ[1] . فقال ابن فضالة : إنّي أتيتُك مُستَحمِلاً ولم آتِكَ مُستوصِفاً ، فلعَن الله ناقةً حملتني إليك ! قال ابن الزبير : إنَّ وراكبَها . فانصرف عنه ابنُ فضالة وقال[2] : [من الوافر]

أقولُ لغِلمتي شُدُّوا رِكابي ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكّةَ في سَوادِ
فمالي حينَ أَقْطَع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابن الكاهِليّة من معادِ[3]
سيُبْعِدُ بينَنا نَصُّ المَطايا ... وتعليقُ الأَداوَي والمَزادِ[4]
وكلُّ مُعَبَّدٍ قد أعلَمَتْه ... مَناسِمُهن طُلاَّعَ النِّجادِ[5]
أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[6]
من الأَعْياصِ أو من آل حربٍ ... أغرَّ كغُرَّة الفرس الجوادِ

أبو خُبَيب : عبد الله بن الزُّبير ، كان يكنى أبا بكر . وخبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يَكنِيه به إلاّ من ذمَّه ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لمّا بلَغه هذا الشعر : علِم أنّها شرُّ أُمّهاتي فعيَّرني بها وهي خيرُ عمّاته . قال اليزيدي : «إنّ» هاهنا بمعنى نعمْ ، كأنّه إقرارٌ بما قال . ومثله قول ابن قيس الرُّقَيّات : [من مجزوء الكامل]

ويَقُلْنَ شَيبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرتَ فقلتُ إنَّهْ

وأُمُّ أبي مُعيطٍ آمنةُ بنت أَبانَ بن كُليب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصَعَة بن معاوية بن بَكْر بن

---

1 نقب البعير : رقّت أخفافه . السبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ تُحذى منها النعال السبتية . والخصف : أن يُظاهر الجلدين بعضهما إلى بعض ويَخرزهما ؛ ولذلك قيل لِلخرْز المخصف . والهلب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي يخرز به ، وأنجد : إذا أخذ في بلاد نجد ؛ والبردان : الغداة والعشيّ .

2 نسب البغدادي 4 : 65–66 . هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسديّ . وأورد الأصبهاني عن ابن حبيب أنّ هذا الشعر لفضالة بن شريك وأوّله في أبيات : [من الوافر]

شكوت إليه أن تعبت قلوصي ... فردّ جواب مشدود الصفادِ

3 ذات عرق مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة (ياقوت) . والكاهلية : زهراء بنت خثراء امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى .

4 نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوي : جمع إداوة وهي وعاء الماء . والمزاد : جمع مزادة وهي الراوية يحمل فيها الماء .

5 المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها .

6 يقال : نكده حاجته إذا منعه إيّاها ولم يقضها .

هَوازِنَ ، ولها يقول نابغةُ بني جَعدة : [من الوافر]

وشارَكْنا قريشاً في تُقاها وفي أنسابها شِرْكَ العَنانِ[1]

بما وَلدتْ نساءُ بني هِلالٍ وما ولدت نساءُ بني أبانِ

وكانت آمنة هذه تحت أُميَّة بن عبد شمس ، فولدت له العاصَ وأبا العاص وأبا العِيص والعُوَيص وصفيّة وتَوبة وأَرْوى بني أُميَّة . فلمّا مات أُميَّةُ تزوّجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوّج الرجلُ امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا مُعَيطٍ ، فكان بنو أُميّة من آمنة إخوةَ أبي مُعَيط وعُمومته ؛ أخبرني بذلك كلِّه الطوسيّ عن الزُّبير بن بَكّار .

قال الزبير : وحدّثني عمّي مُصعَب قال : زعَموا أنّ ابنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو ، وكان هذا نِكاحاً تَنكِحُه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] : ﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً﴾ فسُمِّي نكاح المَقت .

[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث]

وأُسِر عُقبة بن أبي مُعَيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدّثنا بذلك محمد بن جَرير الطبريّ قال حدّثنا محمد بن حُميد الرازيّ قال حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبرٍ ذَكره طويلٍ ، وحدّثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُليح عن موسى بن عُقبة عن ابن شهاب الزُّهريّ ، قالوا جميعاً[2] : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أأنا خاصَّةً من قريش ؟ قال نعم . قال : فمَن للصِّبية بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسَمَّى بنو أبي مُعَيط صِبيةَ النار . واختُلِف في قاتله ، فقيل : إنّ عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، تولَّى قتلَه . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدّثني به أحمد ابن محمد بن سعيد بن عُقدة قال : أخبرني المُنذر بن محمد اللَّخمي قال حدّثنا سليمان بن عَبَّاد قال حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدنيّ عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام : أنّ النبي ﷺ أمر عليّاً يومَ بَدْر فضرب عُنُقَ عُقْبةَ بن أبي مُعَيط والنَّضْرِ بن الحارث . وروى ابن إسحاق أنّ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح الأنصاري قتله ، وأنّ الذي قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام النضرُ ابنُ الحارث بن كَلَدَةَ .

---

1 شرك العنان وشركة العنان : اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف 4/1 : 3 .

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني الحسن بن عثمان قال حدّثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا أحمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق عن أصحابه[1] ، قالوا : قتَل رسول الله ﷺ يومَ بَدْرٍ عُقْبةَ بن أبي مُعَيط صَبْراً : أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقَه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان «بالصَّفْراء»[2] قتَل النَّضْرَ بن الحارث بن كَلَدَةَ أحد بني عبد الدار ، أمر عليّاً عليه السلام أن يضرب عنقَه . قال عمر بن شبّة في حديثه : «الأُثَيل»[3] ؛ فقالت أُخته قُتَيلةُ بنت الحارث تَرثيه[4] : [من الكامل]

يــا راكباً إنّ الأُثَيْــلَ مَظِنّــةٌ ... مِن صُبْح خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ
أَبلِغْ بــه مَيْتــاً بأنّ تحيّــةً ... ما إن تَزالُ بها النجائبُ تَخفِقُ
مِنّي إليــكَ وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بِدرَّتها وأُخرى تخنَقُ
هل يسمَعَنَّ النضرُ إن ناديتُه ... إن كان يسمعُ هالكٌ لا يَنطِقُ
ظَلّتْ سيوفُ بني أبيهِ تنوشُه ... للهِ أرحــامٌ هنــاكَ تُشَقَّقُ
صبراً يُقــادُ إلى المنيّة مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ موثقُ
أَمُحمدٌ ولأنتَ نَسْلُ نَجيبةٍ ... في قومها والفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ
أوْ كُنتَ قابلَ فديــةٍ فَلَنأتِينْ ... بأعزِّ مــا يَغْلو لديــكَ ويَنفقُ
والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بزَلّةٍ ... وأحقُّهــم إن كان عِتــقٌ يُعْتَقُ

فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ قال : «لو سمعتُ هذا قبل أن أقتلَه ما قتلتُه» . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شعرِ مَوْتُورةٍ وأعفّه وأكفّه وأحلمُه .

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني أبو عبيدةَ بن محمد بن عمّار بن ياسر أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان بعِرقِ الظُّبية[6] قتلَ عُقبة بن أبي مُعَيطٍ . قال حين أمَرَ به أن يُقتَل : فمن للصِّبية يا محمد ؟

---

1 سيرة ابن هشام 2 : 644 .
2 الصفراء : واد قريب من بدر .
3 الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .
4 أنساب الأشراف 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة 3 : 14-15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .
5 السيرة 2 : 744 .
6 عرق الظبية : موضع من الرَّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأَدَمي قال حدّثنا الوليد بن مسلم قال حدّثني الأوزاعيّ قال حدّثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التَّيمي قال حدّثني عُروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشدّ شيءٍ صنعَه المشركون برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلّي في حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبَه في عُنق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخنَقه به خَنْقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمَنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ] وقال : أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربّيَ الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عُقبة أخا عثمانَ بن عفّان لأمّه ، أمُّهما أَرْوى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمّها أمُّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله ﷺ تَوأمان . وكان عُقبة بن أبي معيط تزوّج أَروَى بعد وفاة عفّان ، فولدت له الوليد وخالداً وعُمارة وأمَّ كلثوم ، كلّ هؤلاء إخوة عثمان لأمّه . وولّى عثمانُ الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرِبَ الخمر وصلّى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمان فجلَده الحدّ . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قَطِيفة عمرو بن الوليد يُكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لُقِّبَ به . وأُمُّه بنت الربيع بن ذي الخِمار من بني أسد بن خُزيمة .

[نفي بني أُميّة عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أُميّة عن المدينة ، مع نظائر له تشوُّقاً إليها .

حدّثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شَبيب بن أبي شيبة البزَّار ، قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثني أبي قال حدّثني وَهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمّى «كتاب الأَزارِقة» ، ونَسختُ بعضَه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهيثم بن عدِيّ . واللفظ للمدائني في الخبر ما اتّسَق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبتُ الخلاف إلى راويه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عديّ أخبرنا ابن عيّاش عن مُجالد عن الشعبيّ وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لمّا سار إلى العراق ، شمّر ابن

الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافريّ[1] وشبَرَ بطنه وقال : إنّما بطني شِبْرٌ ، وما عسى أن يَسَع الشبرُ ! وجعل يُظهر عيبَ بني أُميّة ويدعو إلى خلافهم . فأمهله يزيدُ سنةً ، ثم بَعَث إليه عشرةً من أهل الشام عليهم النعمان بن بَشير . وكان أهل الشام يسمُّون أولئك العشرةَ النَّفرِ الرَّكْبَ ، منهم عبد الله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زنباع الجُذاميّ ، وسعدَ بن حمزة الهمداني ، ومالك بن هبيرة السَّكوني ، وأبو كَبشة السَّكْسَكيّ ، وزَمْلُ بن عمرو العُذْري ، وعبد الله بن مسعود ، وقيل : ابن مسعدة الفزاريّ ، وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكناني ، وعبدالله بن عامر الهمداني ، وجعل عليهم ، النعمان بن بشير ؛ فأقبلوا حتى قدِموا مكّة على عبدالله بن الزبير ، وكان النعمان يَخلو به في الحِجر كثيراً . فقال له عبد الله بن عِضاهٍ يوماً : يا ابن الزبير ، إنّ هذا الأنصاريّ والله ما أُمِر بشيء إلاّ وقد أُمِرنا بمثله إلاّ أنّه قد أُمِّرَ علينا ، إنّي والله ما أَدري ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ابن الزبير : يا ابن عِضاه ، مالي ولك ! إنّما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكّة ، أفكنتَ قاتلاً حماماً من حمام مكّة ؟ قال : نعم ، وما حرمةُ حمام مكة ؟ يا غلام ، ائتني بقَوسي وأَسهُمي ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة ، أيشربُ يزيد بن معاوية الخمر ؟ قُولي : نعم ، فوالله : لئن فعلتِ لأرمينّك . يا حمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتُفارقين أمّةَ محمد ﷺ ، وتُقيمين في الحرم حتى يُستحَلَّ بكِ ؟ والله لئن فعلتِ لأرمينّكِ . فقال ابن الزبير : ويحك ! أوَ يتكلّم الطائر ؟ قال : لا ! ولكنّك يا ابن الزبير تتكلّم . أُقسِم بالله لتُبايعنَّ طائعاً أو مُكرَهاً أو لتتعرَّفنَّ راية الأشعريين في هذه البطحاء ، ثم لا أُعظِّم من حقّها ما تُعظِّم . فقال ابن الزبير : أوَ تستحل الحرَم ! قال : إنّما يَستحِلُّه من أَلحَد فيه . فحبسهم شهراً ثم ردّهم إلى يزيد بن معاوية ولم يُجبه إلى شيء . وفي رواية أحمد بن الجَعد : وقال بعض الشعراء ، وهو أبو العباس الأعمى ، واسمه السائبُ بن فرُّوخ يذكر ذلك وشبراً بن الزبير بطنَه : [من البسيط]

ما زال في سُورة الأعراف يدرسُها حتى بدا ليَ مثلَ الخَزِّ في اللِّينِ
لو كان بطنُكَ شِبراً قد شَبِعتَ وقد أَفْضلتَ فضـلاً كثيراً للمساكينِ

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثم إنّ ابن الزبير مضى إلى صَفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله ، عليه السلام ، والمهاجرين والأنصار من أَثَرة معاوية وابنه [وأهله] بالفيء ، وسألها مسألته أن يبايعه . فلمّا قدّمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير

1 نسبة إلى معافر : اسم .

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القولَ في ذلك . فقال لها : أمَا رأيتِ بَغَلاتِ معاوية اللواتي كان يُحِجُّ عليهنّ الشُّهْبَ ، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجدَ وأتَوا المِنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المُغيرة المخزوميّ : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إنّي لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله سِكِّير خمِّير . وقال آخر : خلعته كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعت ثوبي . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خُفِّي ، حتى كثُرت العمائمُ والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؛ وكان هذا أوّل ما هاج الشرَّ بينه وبين ابن الزبير .

| وقعة الحرّة |

قال المدائني : واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أُميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاّ يُعِينوا عليهم الجيش ، وأن يرُدُّوهم عنهم ؛ فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشُدكم اللهَ في دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتيكم وتطَؤُكم ، وأُعذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ؛ إنّكم إن ظفرتم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسَرَ شأني وأقدرَكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم أُريد به حَقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبدأُ إلاّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ عبدَ الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضُمَّ عيالنا . فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثم أتى عليَّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضُمّ أهله وثقَلَه ففعل ، ووجَّههم وامرأته أُمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه : عبد الله ومحمدٌ . فعرَض حُرَيثٌ رَقَّاصة وهو مولًى لبني بهزٍ من سُليم كان بعض عمّال المدينة قطع رِجله ، فكان إذا مشى كأنّه يرقص ، فسُمِّي رقَّاصة ، لثَقَلِ مروان وفيه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعصاً فكادت تدقُّ عنقه ، فولَّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأُخرجوا بني أُميّة . فحسَّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رقَّاصة ، فأراد مروان أن يصلّي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلِّي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلِّي بأهله فليصلِّ ، فصلَّى بهم ومضى . فمرّ مروان بعبد الرحمن بن أُزهر الزهريّ ، فقال له : هلُمَّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يَصل إليك مكروهٌ ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتْك رَحِمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أُعرِّضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لمّا أُخرجوا ونَدِم على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظُلِموا وبُغِي عليهم . فقال ابنه سالم : لو كلَّمت هؤلاء القوم ! فقال : يا بنيّ ، لا ينزع هؤلاء القوم عمّا هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغَيِّر غيَّر . قال : فمضوا إلى ذي خُشُب[1] ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، واتّبعهم العبيد والصبيان والسَّفِلة يرمونهم . ثم رجع حُريث رقّاصة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أميّة بذي خُشُب عشرة أيّام ، وسرَّحوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه الغَوث . وبلغ أهل المدينة أنّهم وجّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رقّاصة وخمسون راكباً فأَزعجوا بني أُميّة منها ، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزجرها وقال : اعلَي واسلَمي . فلمّا كانوا بالسُّويداء[2] عرض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداك ! لو نزلت فأرحت وتغدَّيت ! فالغداء حاضر كثير قد أُدرك . فقال : لا يدعُني رقّاصة وأشباهه ، وعسى أن يمكِّن الله منه فتُقطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشُب فقال : لا مال إلاّ ما أحرزتْه العِيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلاً[3] أو وادي القُرى ؛ وفي ذلك يقول الأحوص : [من البسيط]

لا تَرثِيَنَّ لحَزْمِيٍّ رأيتَ به ... ضُرّاً ولو سقَط الحزميُّ في النارِ
الناخسينَ بمَروانٍ بذي خُشُبٍ ... والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدارِ

قال المدائني : فدخل حبيب بن كرة على يزيد ، وهو واضعٌ رِجله في طستٍ لوجع كان يجدُه ، بكتاب بني أُميّة وأخبره الخبرَ . فقال : أما كان بنو أميّة ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بَلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقةٌ . فندَبَ الناس وأمَّرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القَينيّ ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمَّر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسْرِفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلاّ قصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إنِّي رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلتُ نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدرِك ثأرك أهل المدينة قتلَةَ عثمان . فخرج مسلم وكان من قصَّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

1 ذو خشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .
2 السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .
3 حقيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشوّق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكى أُحُدٌ لمّا تَحَمَّل أهلهُ فكيفَ بِذي وَجْدٍ من القوم آلِفِ
مِن أجلِ أبي بَكْرٍ جَلَتْ عن بلادها أُمَيَّةُ ، والأيّامُ ذاتُ تَصارِفِ

عَروضه من الطويل ، وفيه ثَقيلٌ أوّلُ . والغناءُ لسائبِ خاثِرٍ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك حمّادٌ عن أبيه ، وذكر أنّ فيه لَحناً آخر لأهل المدينة لا يُعرف صاحبه . قال الهيثم في خبره : وقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك : [من الطويل]

قد حَلَّ في دار البَلاطِ مُجَوّعٌ ودارِ أبي العاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ[1]
فلم أرَ مثلَ الحيّ حين تحمّلوا ولا مثلَنا عن مثلِهم يَتَنَكَّفُ

وقال أبو قَطِيفةَ أيضاً : [من الطويل]

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكى أُحُدٌ لمّا تحمَّل أهلُه فسَلْعٌ فدارُ المال أمستْ تَصَدَّعُ
وبالشام إخواني وجُلُّ عَشيرتي فقد جَعَلتْ نفسي إليهم تَطَلَّعُ

عرُوضُه من الطويل . غنّى فيه دَحمان ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفيه لَمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية حَبَش . وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً في خفيف الثَّقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى البِنصر مجهول الصانع . وقال أبو قطيفة أيضاً : [من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليت شِعْري : هَلِ البَلاطُ كعَهْدي والمُصَلَّى إلى قصور العَقِيقِ ؟
لامَني في هَواكِ يا أمَّ يحيى مِن مُبِينٍ بغِشِّه أو صَدِيقِ

عَروضه من الخفيف . غنّاه معبد ويقال دَحمان ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى الوسطى ، وذكر إسحاق أنّه لا يُعرف صاحبه .

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن يونس بن الوليد قال : كان ابن

---

1 البلاط : موضع بالمدينة . هو الحنتف بن السجف بن سعد بن عوف كان ديناً شريفاً ، المعارف لابن قتيبة ص212 .

الزبير قد نفى أبا قَطيفة مع من نفاه من بني أميّة عن المدينة إلى الشام ؛ فلمّا طال مُقامُه بها قال : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل تغيَّر بعدَنا قُباءٌ وهل زالَ العقيقُ وحاضِرُهْ ؟
وهل بَرِحَتْ بَطْحاءَ قبرِ محمدٍ أَراهِطُ غُرٌّ من قُرَيشٍ تُباكِرُهْ ؟
لهم منتهى حُبِّي وصَفْوُ مودَّتي ومَحْضُ الهَوى منِّي وللناسِ سائرُهْ

قال وقال أيضاً : [من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليتَ شِعْرِي وأينَ مِنِّيَ لَيْتُ أعلى العَهْدِ يَلْبَنٌ فَبَرامُ[1]
أم كعَهْدِي العَقيقُ أم غَيَّرَتْهُ بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيّامُ ؟
وبأهلي بُدِّلْتُ عَكّاً ولَخماً وجُذاماً ، وأينَ منّي جُذامُ !
وتبدَّلْتُ مِنْ مساكنِ قَوْمِي والقُصُورِ التي بها الآطامُ ،
كلَّ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ذي أَواسٍ يتغنَّى على ذُراهُ الحَمامُ
إقْرَ مِنِّي السَّلامَ إن جئتَ قومي وقليلٌ لهمْ لَدَيّ السلامُ

عَروضُه من الخفيفِ ، غنّاه مَعبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى البِنصر . و«يَلْبَنُ» و«بَرامُ» : موضعان . والآطامُ : جمع أُطُم ، وهي القُصور والحصون . وقال الأصمعيّ : الآطام : الدُّور المسطّحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أَواشٍ» بالشين معجمة ؛ كأنّه أراد به أنّ هذه القصور مَوشِيَّةٌ أي منقوشة . ورواه إسحاق : «أواسٍ» بالسين غيرَ معجمة ، وقال : واحدها آسيٌّ ، وهو الأصل . قال ويقال : فلانٌ في آسِيِّه ، أي في أصله . والآسيّ والأساس واحد . وذُرى كلِّ شيء : أعاليه ، وهو جمعٌ ، واحدته ذِرْوة . ويروى : «أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إن جئتَ قَوْمي» .

وروى الزبير بن بكّار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها : [من الخفيف]

أَقْطَعُ الليلَ كلَّه باكتئابٍ وزَفِيرٍ فما أكادُ أَنامُ
نَحوَ قَوْمِي إذ فرَّقَتْ بيننا الدا رُ وحادتْ عن قَصْدِها الأحلامُ
خشيةً أن يُصيبَهم عَنَتُ الدّهـ ـرِ وحربٌ يَشيبُ منها الغلامُ
فلقدْ حانَ أن يكونَ لهذا الدّ هـرِ عنّا تَباعُدٌ وانصِرامُ

---

1 يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام : جبل في بلاد بني سليم عند الحرّة من ناحية البقيع .

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سِياقَتِه من رواية ابن عمّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحِزامي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ قالا : إنّ ابن الزبير لمّا بلغَه شعرُ أبي قطيفة هذا قال : حَنَّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، مَن لَقِيه فليُخبره أنّه آمنٌ فليرجع . فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً ، فلم يصل إليها حتى مات . قال ابن عمّار : فحدّثت عن المدائني أنّ امرأة من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشام ، فخرج بها إلى بلده على كُرهٍ منها ، فسمعت مُنشداً يُنشد شعرَ أبي قطيفة هذا ، فشهقت شهقةً وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدّثني سعيد بن عائشة مولى آل المطّلب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهْرة في خِفٍّ[1] ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فنُسبت له ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه [إيّاها] بكَرْهٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وخَرَجَتْ مَخْرَجاً] ، فسمِعت متمثّلاً يقول : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

ألاَ ليتَ شعري هل تغيَّر بعدنا جَبُوبُ المصلَّى أم كعهدي القَرائنُ ؟[2]
وهل أَدْؤُرٌ حولَ البَلاط عَوامِرٌ من الحيِّ أم هل بالمدينة ساكنُ ؟
إذا بَرقَتْ نحوَ الحِجاز سحابةٌ دعا الشوقَ منّي برقُها المتيامِنُ
فلَمْ أَتْرُكَنْها رَغْبةً عن بلادها ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائنُ

عروضه من الطويل ، يقال : إن لمعبد فيه لحناً ، قال : فتنفَّسَتْ بينَ النساء فوقعت ميِّتة . قال أيوب : فحدَّثتُ بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال : أتعرِفُها ؟ قلت لا . قال : هي والله عمّتي حميدةُ بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال : لمّا أَجلى ابن الزبير بني أميّة عن الحجاز قال أيمن بن خُرَيم الأسَدي : [من الوافر]

كأنّ بني أُميّةَ يومَ راحُوا وعُرِّيَ عن منازلهم صرارُ[3]

---

1 يقال : خرج فلان في خِف أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالدال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَماريخُ الجبـالِ إذا تردَّتْ بزينتِهـا وجادَتْهـا القِطارُ[1]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن سَعدٍ الكُرّاني قال حدّثنا العُمَريّ عن العتبيّ قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو يتولّى الكوفة لعثمان بن عفّان : [من الكامل]

مَـنْ مُبْلِـغٌ عنِّـي الأميرَ بأنّني أَرِقٌ بـلا داءٍ سوى الإنْعـاظِ

إن لم تُغِثْني خِفْتُ إثمَكَ أو أرى في الدارِ محـدوداً بزُرْقِ لِحاظِ

يعني دارَ عثمانَ التي تُقام فيها الحدود . فابتا ع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه .

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازي قال حدّثنا الخَرَّاز عن المدائنـي قـال : كان أبو قطيفـة من شعراء قريش ، وكان ممّن نفاه ابن الزبـير مع بنـي أُميّة إلى الشام ، فقال في ذلك : [من الطويل]

ومـا أَخرَجتْنا رَغْبَـةٌ عن بلادنا ولكنَّـه مـا قَـدَّر اللهُ كائـنُ

أَحِـنُّ إلى تلك الوجـوه صَبابَةً كأنّي أسيرٌ في السَّلاسِلِ راهنُ

وكان يتحرَّق على المدينة ؛ فأتى عَبَّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له : إنَّ خاله أخبره أنّ العراقَيْنِ قد فُتحا . فقال عبدُ الملك لأبي قطيفة لِما يعلمه من حُبِّه المدينة : أمَا تسمع ما يقوله عَبَّادٌ عن خاله ؟ قد طابت لك المدينة الآن . فقال أبو قطيفة : [من البسيط]

إنِّي لأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ إن غَرَّني من حياتـي خالُ عَبَّادِ

أَنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا ودونَ ذلـك يـومٌ شَرُّهُ بادِي

قال : وأَذِنَ له ابنُ الزبير في الرجوع ، فرجع فمات في طريقه .

[قصر سعيد بن العاص بالعرصة]

وأمّا خبرُ القَصْرِ الذي تقدّم ذكرُه وبيعُه من معاويةَ ، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكَر مُصعَب بن عمّار بن مصعب بن عُروة بن الزبير : أنّ سعيد بن العاص لمّا حضَرَتْه الوفاةُ وهو في قصره هذا ، قال له ابنه عمرو : لو نزلتَ إلى المدينة ! فقال : يا بنيّ ، إنّ قومي لن يَضنُّوا عليّ بأن يحملوني على رقابِهم ساعةً من نهار ، وإذا أنا مُتُّ فَآذِنْهم ، فإذا وارَيْتني فانطلق إلى معاوية فانعني له ، وانظُر في دَيني ؛ واعلم أنّه سيَعرِض عليك قضاءَه فلا تفعل ، واعـرِض عليه قصري هذا ؛ فإنّي إنّما اتّخذتُه نُزهة وليس بمال .فلمّا مات آذَنَ به الناس ، فحملوه من قصره حتى دُفن بالبقيع ، ورواحل عمرو بن سعيد مُناخَةٌ ، فعزّاه الناس على قبره وودّعوه ، فكان هو أوّل من نعاه لمعاوية ؛ فتوجَّع له وترحَّم عليه ، ثم قال : هل ترك دَيناً ؟ قال نعم .[قال : كم هو ؟

1 شماريخ الجبال : رؤوسها ، واحدها شمراخ . القطار : جمع قطر وهو المطر .

قال] ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنَّ ذلك وأمرني ألاّ أقبله منك ، وأن أَعرِض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكونَ قضاءُ دينه منه . قال : فاعرِض عليّ . قال : قصره بالعرصة . قال : قد أخذته بدَينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وفرّقها في غُرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ . فأتاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصكّ ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطُّه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أُخبرك عنه ، مرَّ سعيدٌ بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : أَلكَ حاجةٌ ؟ قال : لا ، إلاّ أنّي رأيتُك تمشي وحدك فأحببتُ أن أَصِلَ جَناحَك . فقال لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدَّين وقال : إنّك لم تصادف عندنا شيئاً فخُذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأْتِنا . فقال عمرو : لا جَرَمَ واللهِ لا يأخذها إلاّ بالوافية ، أعطه إيّاها ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْني أخذتُ منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فيَنْزو دم وجهه في وجهي فأكره ردّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّي أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصّة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أَعجز من هذا ! يقول له سعيدٌ : خُذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدّيتُها عنك .

[أبو قطيفة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أُمُّه وأُمُّ خالد بن الوليد بن عقبة عَمَّة أَروَى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب : [من الوافر]

أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حين أُنْمَى ... لأَكْرَمِ ضِئْضِىءٍ وأعزِّ جِيلِ[1]

---

1 الضئضىء : الأصل والمعدن .

وأُنْمَى للعَقائل من قُصَيٍّ ومَخْزُومٍ فما أنا بالضَّئِيلِ
وأَرْوَى من كُرَيْزٍ قد نَمتْني وأَروَى الخيرِ بنتُ أبي عَقِيلِ
كِلاَ الحَيَّيْن من هذا وهذا لعمرُ أبيك في الشَّرَفِ الطويلِ
فعدِّدْ مثلهن أبا ذُبابٍ لِيَعْلَمَ ما تقولُ ذوو العقولِ
فما الزَّرْقاءُ لي أُمّاً فأَخْزَى ولا لِيَ في الأَزارِقِ مِنْ سبيلِ

قال : يَعنِي بأبي الذُّبابِ عبدَ الملك . والزرقاء : إحدى أمهاتِه من كندَةَ ، وكان يُعَيَّرُ بها .

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المحرِز قال حدّثنا المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصُه ، فقال : [من الطويل]

نُبِّئْتُ أنّ ابنَ العَمَلَّس عابَني ومَنْ ذا من الناس البَرِيءُ المسلَّمُ ؟
مَنَ ٱنتم مَنَ ٱنتمُ خبِّرونا مَنَ انتُم فقد جَعَلتْ أشياء تبدو وتُكْتَم !

فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننت أنّا نُجْهَل ، والله لولا رِعايتي لحُرمته لألحقتُه بما يعلم ، ولقطَّعتُ جلده بالسِّياط .

[شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتبيّ قال : طلَّق أبو قطيفة امرأته ، فتزوّجها رجلٌ من أهل العراق ، ثم ندِم بعد أن رحَل بها الرجل وصارت له ، فقال : [من الوافر]

فيا أَسَفا لفُرْقة أُمّ عمرٍو ورِحْلَةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليس إلى زيارتها سبيلٌ ولا حتّى القيامةِ من تَلاقِي
وعَلَّ اللهَ يَرْجِعُها إلينا بموتٍ من حَليلٍ أو طلاقِ
فأَرْجِعَ شامتاً وتَقَرَّ عيني ويُجْمَعَ شملُنا بعدَ افتراقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمِّي ومحمد بن جعفر قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن أبي حَسَّان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان ، فلمّا عزله قدِم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السُّغْد ، فأمرهم أن يَبْنُوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابن سَيْحانَ وابنُ زينَةَ وخالدُ بن عُقْبة وأبو قَطِيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه ؛ فقال أبو قطيفة يرثيه ، وقيل إنّها لخالد بن عُقْبة : [من البسيط]

يا عينُ جُودي بدمعٍ منكِ تَهْتانا وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانا
إن ابنَ زينَةَ لم تَصْدُقْ مودّته وفرّ عنه ابنُ أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

[4] ـ ذكر معبد وبعض أخباره

هو مَعْبَدُ بن وَهْب ، وقيل ابن قطنيّ مَولى ابن قطر ، وقيل ابن قَطَن مولى العاص بن وابِصَةَ المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزّهري قال : معبدٌ المغنّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال ابن الكلبيّ : معبدٌ مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان قال : معبد بن وهب مولى ابن قَطَن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيّاً مديد القامة أَحْوَل .

وذكر ابن خُرْداذبهْ أنّه غنّى في أوّل دولة بني أُميّة ، وأدرك دولة ولد العباس ، وقد أصابه الفالِج وارتعش وبطَل ، فكان إذا غنَّى يُضْحَك منه ويُهزأ به . وابن خُرْدَاذْبه قليلُ التصحيح لما يرويه ويُضمِّنه كتبَه . والصحيح أنّ معبداً مات في أيّام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنّه كان أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطَل صوتُه . فأمّا إدراكه دولة بني العبّاس فلم يَرْوِه أحد سوى ابن خُرْداذْبه ولا قاله ولا رَواه عن أحد ، وإنما جاء به مُجازفةً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أيُّوب بن عُمَر أبو سلَمَة المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال حدّثني كَرْدَمُ بن معبد المغنِّي مولى ابن قَطَنٍ قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخْرِجَ نعشُه إلى سَلاَّمَةِ القَسِّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أُضْرِب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير ، وهي تبكي أبي وتقول : [من مجزوء الرمل]

قــد لَعَمْري بتُّ لَيْلي	كأخـي الـدّاءِ الوَجيعِ
ونَجِـيُّ الهَـمِّ منّـي	بات أدنى من ضَجيعي
كلَّمـا أبصرتُ ربعـاً	خاليًا فاضتْ دموعي
قـد خَـلا من سَيِّدٍ كا	ن لنـا غيـرَ مُضِيـعِ
لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنا	أو هَمَمْنـا بخُشُوعِ

قال كَرْدَم : وكان يزيدُ أمَر أبي أن يعلّمها هذا الصوت ، فعلَّمها إيّاه فندبَته به يومئذٍ . قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بن يزيدَ والغَمْرَ أخاه متجرِّدَيْنِ في قميصين ورِداءين يمشيان بين يديْ سريره حتى أُخرِجَ من دار الوليد ؛ لأنّه تولّى أمرَه وأخرجَه من داره إلى موضع قبره .

فأمّا نسبةُ هذا الصوت ، فإنّ الشعرَ للأحوص ، والغِناء لمَعبد ، ذكره يونس ولم يُجنِّسه . وذكر الهشاميّ أنّه ثاني ثَقيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لَحبابة خفيفُ ثقيل ، ولابن المَكّي ثقيلٌ أوّلُ نشيد . وفيه لسلاّمة القسِّ عن إسحاق لَحْنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذكرَ مولًى لآل الزبير ، وكان منقطِعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليّ : أنّ معبداً عاش حتى كَبِر وانقطع صوتُه ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلمّا غنّى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتيان نُزُولٌ[1] من ولد أَسِيد بن أبي العِيص بن أميّة ، فضحكوا منه وهزئوا به ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

فضَحْتم قريشاً بالفِرار وأنتمُ قُمدونَ سُودانٌ عِظامُ المناكِبِ
فأمّا القتالُ لا قتالَ لديكم ولكنَّ سيراً في عِراض المَواكِبِ

وهذا شعرٌ هُجوا به قديماً ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيّ من ذلك وقال : ضَحِكتُم منه حتى إذا أَحْفَظْتُموه أردتُم أن تتناولوه ، لا واللهِ لا يكونُ ذلك . قال إسحاق : فحدّثني ابن سَلاّم قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أصِرْتَ إلى ما أرى ؟ فأشار إلى حَلْقِه وقال : إنّما كان هذا ؛ فلمّا ذهب ذهب كلُّ شيء .

[اعتراف المغنين لمعبد بالتفوّق]

قال إسحاق : كان معبد من أحسن الناس غِناء ، وأجودِهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقاً ؛ وهو فحل المغنِّين وإمامُ أهلِ المدينة في الغِناء ، وأخذ عن سائب خاثرٍ ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْم) ، وكان زوجُها مولًى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر : [من الطويل]

أجادَ طُوَيْسٌ والسُّرَيجِيُّ بعدَه وما قَصَباتُ السَّبْقِ إلاّ لَمعْبَدِ

قال إسحاق قال ابن الكلبيّ عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكّة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيّام مُسْلم بن عُقبة المُرِّيّ ، وقالوا : ما تقولُ فيه ؟ فقال : إن عاش كان مُغَنِّيّ بلاده . ولمَعبدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .
2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزانة 1 : 453 .

فيها مَن تأخّر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيّام رِقّه ، وربّما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطٍ الفارسيّ وسائب خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحِذق وحسن الغناء وطِيبِ الصَّوْتِ . وصنعَ الألحان فأجاد واعتُرف له بالتقدّم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أنّ معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سَقَّاءٌ يحمِل قربةً على الترنُّم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدِر المتّكىءُ أن يترنَّم بها حتى يقعد مستوفِزاً[1] ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أنّ معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغنّاه وقال له : كيف كنتَ تسمَع جُعِلْتُ فداءكَ ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفِيتَ بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسمِعتُ مَنْ لا أُحْصِي من أهل العلم بالغِناء يقولون : لم يكن فيمن غنَّى أحدٌ أعلمُ بالغناء من معبد . قال : وحدّثني أيُّوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة ، فتحدّث فذكرَ معبداً فقال : أدركتُه يلبَس ثوبين مُمشَّقين[2] ، وكان إذا غنَّى عَلا مَنْخَراه . فقالت عاتكة : يا سيّدي أوَ أدركتَ معبداً ؟ قال : إي واللهِ وأَقْدَمَ من معبد . فقالت : استحييتُ لك من هذا الكبر .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : قال معبد : قَدِمتُ مكّة فقيل لي : إنّ ابن صفوان قد سبق بين المغنِّين جائزة ، فأتيتُ بابه فطلبتُ الدخول ؛ فقال لي آذنه : قد تقدّم إليّ ألاّ آذَنَ لأحدٍ عليه ولا أُوْذِنَه به . قال فقلت : دَعني أدنو من الباب فأُغنِّي صوتاً . قال : أمّا هذا فنعَم . فدنوت من الباب ، فغنّيت [صوتاً] ، فقالوا : مَعْبَد ! وفتحوا لي ، فأخذتُ الجائزة يومئذٍ .

أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي : وذكر عَوْرَكٌ ، وهو الحسن بن عُتْبة اللَّهَبيِّ ، أنّ الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدِرُ على الحجّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهلُ المدينة بصوتَيْ معبد : [من البسيط]

القصر فالنخلُ فالجَمَّاءُ بينهما

و«قُتَيْلَةَ» يعني حنَه : [من الخفيف]

---

1 قِعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنّه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالمغرة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جيـ ـدٍ تليـعٍ تَزِينُـه الأَطْواقُ[1]

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغَ الغناء ؟ قال : أرتحِل قعودي وأُوقع بالقضيب على رَحلي وأترنَّم عليه بالشِّعر حتى يستوي لي الصوتُ . فقيل لـه : ما أَبْيَنَ ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدّثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قَطَن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقّى الغنم بظَهر الحرّة ، وكانوا تِجاراً أُعالج لهم التجارة في ذلك ، فآتي صخرة بالحرّة مُلقاة بالليل فأستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأُحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي .

[اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوّق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسختُ من كتاب حمّاد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدَّوْسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسيّ عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنّا جُلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنسانٌ لمالك : أَنْشُدك الله ، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : واللهِ ما بلغتُ شِراكَه قطّ ، والله لو لم يُغنِّ معبدٌ إلاّ قوله : [من الطويل]

لعَمْـرُ أبيهـا لا تقـولُ حَلِيلَتي ... أَلا فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ
وهُمْ يضرِبون الكَبْشَ تبرُقُ بَيضُه ... تَرى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ[2]

لكان حَسْبَه ! قال : وكان مالك إذا غنَّى غِناءَ معبدٍ يُخَفِّفُ منه ، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومطَّطَه ، وحذفتُه أنا . وتمام هذا الصوت : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيهـا لا تقـول حليلتـي ... ألا فـرَّ عنِّي مالكُ بن أبي كعبِ
وهمْ يضربون الكبشَ تَبرُقُ بيضُه ... تَرى حوله الأبطالَ في حَلَق شُهْبِ
إذا أَنْفَدُوا الزِّقَّ الرَّويِّ وصُرِّعُوا ... نَشاوى فلم أَقْطَعْ بقولي لهم حَسْبِي
بَعثـتُ إلى حانُوتهـا فَسبَأْتُـها ... بغير مِكاسٍ في السُّوام ولا غَصْبِ[3]

عَرُوضُه من الطويل . والشعر لمالك بن أبي كَعب بن القَين الخَزرجيّ أحد بني سَلمة . هكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكُر أنّه من مُرادٍ . ولهذا الشعر خبرٌ طويل يُذكر بعد هذا .

---

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .
2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .
3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأوّلين لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سُرَيج . ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثقيل الأوّل بالسَّبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، ومن الناس من ينسُب هذا اللحن إلى معبد ويقول : إنّ مالكاً أخذ لحنَه فيه فحذَف بعضَ نغَمه وانتحله ، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكِر أنّ هذا الشعر لرجل من مُرادٍ ، ورُوي له فيه حديثٌ طويل . وقد أُخرج خبرُه في ذلك وخبرُ مالك بن أبي كعبٍ الخزرجيّ أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أُفرِد له ؛ إذ كانت له أخبارٌ كثيرة ، ولأجله لا تصلُح أن تُذكر هاهنا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان عن يونس الكاتب قال : أقبلتُ من عند معبد ، فلَقيني ابن مُحْرِز ببُطحان[1] ، فقال : من أين أقبلتَ ؟ قلتُ : من عند أبي عَبّاد . فقال : ما أخذتَ عنه ؟ قلت : غنَّى صوتاً فأخذته . قال : وما هو ؟ قلت : [من الكامل]

ماذا تأمَّــلَ واقــفٌ جَمَلاً ... في رَبْــع دارٍ عابَــه قِدَمُهْ

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادخُلْ معي دار ابنِ هَرْمَةَ وأَلْقِه عليّ ، فدخلتُ معه ، فما زلتُ أرَدِّده عليه حتى غنَّاه ، ثم قال : ارجع معي إلى أبي عبَّاد ، فرجعنا فسمِعه منه ، ثم لم نفترِق حتى صنع فيه ابن مُحرز لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

ماذا تأمّــل واقــفٌ جَمَلاً ... في رَبْع دارٍ عابَــه قِدَمُهْ
أَقْوى وأَقْفَرَ غيرَ مُنتصِبٍ ... لِبَدِ الرَّمادَةِ ناصعٍ حُمَمُهْ

غنَّاه معبدٌ ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى يُنسب إلى الغَريض وإلى ابن مُحرِز . وذكر عمرو بنُ بانَة أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه رَمْلٌ بالوسطى يُنسَب إلى سائِبِ خاثرٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإسحاق .

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي قال ابن الكَلْبيّ : قدِم ابنُ

---

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة .

سُرَيج والغَريضُ المدينة يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران مَن بها من صَديقهما من قريشٍ وغيرهم . فلمّا شارفاها تقدّما ثَقَلَهما ليَرْتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلَة ، وهي جبّانةٌ على طَرَف المدينة يُغْسَل فيها الثياب ، إذا هما بغلامٍ مُلتحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه ، بيده حِبالَة يَتَصيَّد بها الطيرَ وهو يتغنّى ويقول : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمّـاء بينهمـا أَشهَى إلى النفسِ من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد . قال : فلمّا سمِع ابنُ سُرَيج والغَريضُ معبداً مالا إليه واستعاداه الصوتَ فأعاده ، فسمِعا شيئاً لم يَسْمَعا بمثله قطّ . فأقبل أحدُهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قَطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيُك ؟ قال ابنُ سُرَيج : هذا غناءُ غلامٍ يَصيدُ الطير ، فكيف بمَنْ في الجوبَة[1] ! يعني المدينة . قال : أمّا أنا فَثكِلَتْه والدتُه إن لم أرجعْ . قال : فكَرّا راجعين .

[قدوم معبد مكّة ومشاهدة الغريض]

قال : وقال معبد : قدِمت مكّةَ ، فذهب بي بعضُ القُرشيِّين إلى الغريض ، فدخلنا عليه وهو متصَبِّح[2] ، فانتبه من صُبْحَتِه وقعَد ، فسلَّم عليه القرشيّ ، وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وأنا أُحِبُّ أن تسمع منه . قال : هاتِ ، فغنَّيتُه أصواتـاً . فقـال بمِدْرًى[3] معه في رأسه ، ثم قال : إنّك يا معبدُ لَمليح الغناء . قال : فأَحفظَني ذلك ، فجَثَوتُ على رُكبتيّ ، ثم غنَّيتُه من صَنْعتِي عشرين صوتاً لم يُسْمَع بمثلِها قطُّ ، وهو مُطْرِقٌ واجِمٌ قد تغيَّر لونُه حسَداً وخجلاً .

[بين معبد وحكم الوادي]

قال إسحاق : وأُخْبِرتُ عن حَكَمٍ الوادي قال : كنت أنا وجماعةٌ من المغنِّين نَختلِفُ إلى معبد نأخذُ عنه ونتعلّمُ منه ، فغنّانا يوماً صوتاً من صنعته وأُعجِبَ به ، وهو : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمّاء بينهما

فاستحْسَنّاه وعَجِبْنا منه . وكنتُ في ذلك اليوم أوّلَ من أخَذه عنه واستحسنه منّي فأَعجَبَتْني نفسي . فلمّا انصرفتُ من عندِ معبد عمِلتُ فيه لَحناً آخر وبكَّرْتُ على معبد مع أصحابي وأنا مُعجَبٌ بلَحني . فلمّا تغنَّينا أصواتاً قلتُ له : إنّي قد عمِلت بعدَك في الشعر الذي غَنَّيْتَناه لَحْناً ، واندفعتُ فغنَّيته صوتي ؛ فوَجَم معبدٌ ساعةً يتعجَّب منّي ثم قال : قد كنتُ أمس أرجى منّـي لك اليـومَ ، وأنـت اليوم عندي أبعـدُ من الفَلاح . قال حَكَمٌ : فأُنْسِيت ، يعلم الله ، صوتي ذلك منذُ تلك الساعة فما ذكرتُه إلى وقتي هذا .

---

1 لعلّها الحومة .

2 التصبّح : النوم بالغداة .

3 المدرى : المشط .

[معبد والأسود]

قال إسحاق : وقال معبد : بَعث إليّ بعضُ أُمراء الحجاز ، وقد كان جُمِعَ له الحَرَمان ، أن آشخَصْ إلى مكّة ، فشخَصْتُ . قال : فتقدّمت غُلامي في بعض تلك الأيّام ، واشتدّ عليَّ الحرُّ والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أَسْوَدُ وإذا حِبابٌ[1] ماء قد بُرِّدَت ، فملتُ إليه فقلت : يا هذا ، اسقِني من هذا الماء . فقال لا . فقلتُ : فأْذَنْ لي في الكِنّ[2] ساعةً . قال لا . فأَنَخْتُ ناقتي ولجأْتُ إلى ظِلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلّي إن حَرَّكْت لساني أن يَبُلَّ حَلْقي رِيقي فيُخفِّف عنّي بعض ما أجدُه من العطش ! فترنّمت بصوتي : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

فلمّا سَمِعَني الأسودُ ، ما شعرتُ به إلاّ وقد احتملني حتى أدخلَني خِباءَه ، ثم قال : أَي ، بأبي أنت وأمّي ! هل لك في سَويق السُّلتِ[3] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منعتني أقلَّ من ذلك ، وشَرْبَة ماءٍ تُجزئُني . قال : فسقاني حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرواح . فلمّا أردتُ الرِّحلة قال : أَي ، بأبي أنت وأمّي ! الحرُّ شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك ، فأْذَن لي [في] أن أحمِل معك قِربةً من ماءٍ على عُنُقي وأسعى بها معك ، فكلَّما عطِشتَ سَقَيتُك صَحْناً وغنَّيتَني صوتاً ! قال : قلت ذاك لك . فوالله ما فارَقَني يَسقيني وأُغَنِّيه حتى بلغت المنزل .

[معبد وابن سريج يلتقيان ببطن مرّ]

نسختُ من كتاب جعفر بن قُدامة بخطِّه : حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال : كان معبد خارجاً إلى مكّة في بعض أَسفاره ، فسمع في طريقه غِناء في «بَطن مَرٍّ»[4] فقصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارِقٌ شعره حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة قد صبغها بزعفران ، وإذا هو يتغنَّى : [من الخفيف]

صوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أَنابا وَدَعا الهَمَّ شَجْوُه فأَجابا

ذاكَ مِنْ منزلٍ لسلمى خَلاءٍ لابِسٍ من خَلائِه جِلبابا

---

1 جمع حُبّ وهو الجرّة .

2 الكِنّ : ما وقاك من حرّ أو برد .

3 السُّلت : شعير لا قشر له .

4 بطن مرّ : موضع على مرحلة من مكّة ويقال له : «مرّ الظهران» .

عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا　　طَمَعاً أن يَرُدّ ربعٌ جوابا
فاستَثارَ المنسيَّ من لَوْعة الحـ　　ـبّ وأبدى الهمومَ والأوْصابا

فقرع معبدٌ بعصاه وغنّى : [من الكامل]

منعَ الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها　　حَدَقٌ تُقَلِّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنّ أفئدةَ الرجالِ إذا رأوْا　　حَدَقَ النساءِ لنَبْلِها أغْراضُ

فقال له ابن سُرَيج : بالله أنت معبد ؟ قال : نعم ، [فسألته] وبالله أنت ابنُ سُرَيج ؟ قال : نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنّيت بين يديك .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا　　ودعا الهمَّ شَجْوُه فأجابا
فاستثار المنسيَّ من لوعة الحـ　　ـبِّ وأبْدى الهمومَ والأوصابا
ذاك من منزلٍ لسلمى خَلاءٍ　　مُكْتَسٍ من عَفائه جِلْبابا
عُجْتُ فيه وقلت للرَّكْب عُوجُوا　　طمعاً أن يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا
ثانياً من زِمامِ وَجْناءَ عَنْسٍ　　قانياً لونُها يُخال خِضابا
جَدُّها الفالِج الأشَمُّ من البُخْـ　　ـتِ وخالاتُها انتُخِبْنَ عِرابا[1]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بالسَّبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

صوت

[من الكامل]

منَع الحياةَ من الرجال ونَفْعَها　　حَدَقٌ تُقلِّبها النساءُ مِراضُ
وكأنّ أفئدةَ الرجال إذا رأوْا　　حَدَقَ النساء لنَبلِها أغراضُ

الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ .

[رحلة معبد إلى الأهواز]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سِياطٍ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كان معبد قد علَّم جاريةً من جواري الحجاز الغِناءَ ، تُدعَى ظَبية ،

1 الفالج : جمل بختي (ذو سنامين) ضخم . والعراب : من أصل عربي .

وغُني بتخريجها ، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأُعجب بها وذهبَت به كلّ مذهب وغلبَت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لمحبَّته إيّاها وأسفه عليها لا يزالُ يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقرُّه ، ويُظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصرِه إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبداً خبره ، فخرج من مكّة حتى أتى البصرة ، فلمّا وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلاّح أن يُجلسه معه في مؤخّر السفينة ففعل وانحدروا . فلمّا صاروا في فَم نهر الأبلة[1] تغدَّوْا وشربوا ، وأمر جواريه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفّان غليظان وزيٌّ جافٍ من زِيّ أهل الحجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانت سُعادُ وأَمسى حبلُها انصَرَما ... واحتَلَّت الغَوْرَ فالأَجْراعَ من إضما[2]

إحدى بَلِيٍّ وما هام الفؤادُ بها ... إلاَّ السَّفاهَ وإلاَّ ذُكْرَةً حُلُما

قال حمّاد : والشعر للنابغة الذبياني ، والغناء لمعبد ، خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجِد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إنّ غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضِب : وأنت ما يُدريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتَلزَم شأنك ! فأمسك ، ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى غنَّت : [من المديد]

صوت

يـا ابنةِ الأَزْدِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهامٌ عندها ما يُنيبُ

ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني ... إنّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبيبُ

إنّما أَبْلَى عِظامِي وجِسْمي ... حُبُّها والحبُّ شيءٌ عَجيبُ

أيُّها العائبُ عِندي هَواها ... أنتَ تَفْدِي مَن أراكَ تَعِيبُ[3]

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لَمعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في مَجرى البِنْصر ، قال :

---

1 الأُبُـلَّة : بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجراع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنوّرة .

3 مَنْ لعلّ صوابها «الذي» .

فأخلَّتْ ببعضه ، فقال لها مَعْبدٌ : يا جاريةُ ، لقد أخللتِ بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فَغضِبَ الرجلُ وقال له : ويلَك ! ما أنت والغناءِ ! ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضول ؟ فأمسك . وغنّى الجواري مَلِيّاً ، ثم غنَّتْ إحداهنّ : [من الطويل]

صوت

خَلِيلَيَّ عُوجا فأبكيا ساعةً معي على الرَّبْع نقضي حاجةً ونُوَدِّعِ[1]

ولا تُعْجِـلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَـةٍ لِعَـزّةَ لاحـتْ لي بِبَيْداءَ بَلْقَعِ

وقُولا لِقلبٍ قد سَلا : راجعِ الهوى ولِلعينِ : أَذْرِي من دموعِك أودَعي

فلا عَيْشَ إلاّ مثلُ عيشٍ مضى لنا مَصِيفاً أَقَمْنا فيـه مِن بعد مَرْبَعِ

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمَلٌ للغَريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تَقْوَين[2] على أداء صوت واحد ؟ فغضِب الرجل وقال له : ما أراك تدَع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسِم بالله لئن عاودتَ لأُخرجنَّك من السفينة ، فأَمْسك معبدٌ ؛ حتى إذا سكتتِ الجواري سكتةً اندفع يغنِّي الصوت الأوّل حتى فرَغ منه ، فصاح الجواري : أحسنتَ والله يا رجل ! فأعِده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغنِّي الثاني ، فقُلن لسيّدهنّ : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناءً ، فسَله أن يعيده علينا ولو مرّة واحدة لعلَّنا نأخذه عنه ؛ فإنّه إنْ فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتُنَّ سوءَ ردِّه عليكنّ وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُداريه . ثم غنّى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبَّل رأسه وقال : يا سيّدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تتثبّت ولا تُسرع إليّ بسوء العِشرة[3] وجفاء القول . فقال لـه : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك ممّا جرى ، وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي . فقال : أمّا الآن فلا . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممّن أخذتَ هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمِن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذنَه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكّة ، وكانت قد أخذت عن أبي عبّاد معبد وعُنيَ بتخريجها ، فكانت تَحُلُّ منّي محلَّ الروح من الجسد ، ثم استأثر اللهُ عزّ وجلّ بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهنّ من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصَّب لمعبد وأُفضِّله على المغنِّين جميعاً وأُفضِّل

1 ديوان كثيّر : 410 .

2 ل : تقومين .

3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلِّ صنعة . فقال له معبد : أو إنكَ لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصَكَّ معبدٌ بيده صلعته ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، ووالله لا قصَّرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأَجعلنَّ لك في كلّ واحدة منهنّ خَلَفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبِّلونها ويقولون : كتمتَنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفَونَاك في المخاطبة ، وأسأْنا عِشرتك ، وأنت سيّدنا ومَن نتمنّى على الله أن نلقاه . ثم غيَّر الرجل زِيَّه وحاله وخلع عليه عِدّة خِلَع ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطِيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حِذقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد للوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ[1] قال حدّثني مهديُّ بن سابق قال حدّثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدّثني عمر القاري بن عديّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجَّه البريد إلى المدينة فأَتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هُيِّئت له فمُلئت بالخمر والماء ، وأُتِي بمعبد فأمر به فأُجلس والبركة بينهما ، وبينهما سِتْر قد أُرخِيَ ؛ فقال له غنِّني يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْفي على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمْ	فمـــا أصابَهُـمُ إلاّ بما شاءوا
ما زال يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ	حتى تَفانَوْا وريبُ الدهر عَدَّاءُ
أبكـــى فِراقُهـــمُ عَيْنِي وأرّقها	إنّ التفـــرُّق للأحباب بَكَّاءُ

الغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ ، وفيه ليحيى المكّيّ رَملٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلّها رواية الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه ، فرفع الوليد السِّتر ونزع مُلاءةً مُطيَّبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلة ، ثم أُتي بأثوابٍ غيرها وتلقَّوه بالمَجامر والطِّيب ، ثم قال غنِّني : [من الكامل]

صوت

يا رَبْعُ ما لكَ لا تُجيبُ متيَّما	قـد عـاج نحوَك زائراً ومُسَلِّما
جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالــةٍ	حتى تُـرى عن زَهْرةٍ[2] متبسِّما

---

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابيّ .

2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعلُّوَيْه ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه . قال : فغنّاه فدعا له بخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ فصبَّها بين يديه ، ثم قال : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت .

وأخبرني بهذا الخبر عمِّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني سليمان بن سعد[1] الحلبي قال : سمعتُ القاري بن عديٍّ يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجَّه إليه إلى المدينة فأُحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر ببركةٍ بين يدي مجلسه فمُلئت ماء وردٍ قد خُلط بمسك وزعفران ، ثم فُرِش للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبُسِط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبد فرأى ستِراً مُرخىً ومجلس رجلٍ واحد . فقال له الحجّاب : يا معبد ، سلِّم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ؛ فسلَّم فردَّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّتْر ، ثم قال له : حيَّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وَجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . قال معبد : أأُغنِّي ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنِّني : [من البسيط]

ما زالَ يَعْدُو عليهم ريبُ دهرِهِمُ حتى تفانَوا وريبُ الدهــر عَدّاءُ

فغنّاه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السَّجْف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرجٍ منها ، فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّني يا معبد : [من الكامل]

يا رَبْعُ ما لك لا تُجيبُ متيَّما قــد عـاج نحوَك زائراً ومسلِّما
جادتــكَ كلُّ سحابــةٍ هَطَّالةٍ حتى تُـرى عن زَهْرةٍ متبسِّما
لو كنتَ تَدْري مَنْ دعاك أجبتَه وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دَما

قال : فغنّاه ، وأقبل الجواري فرفعن السِّترَ ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّني . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنِّني : [من مجزوء الرمل]

عَجِبَــتْ لمّــا رأتني أندُبُ الربــعَ المُحِيلا
واقفــاً في الدارِ أبكِي لا أرى إلاّ طلــولا
كيف تَبْكِــي لأُناسٍ لا يَملُّون الذَّميلا ؟[2]

1 ل : سعيد .
2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كلّما قلتُ اطمأنّتْ دارُهم قالوا الرَّحيلا[1]

قال : فلمّا غنَّاه ألقى نفسه في البركة ثم خرج ، فردُّوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم أقبل عليه الوليد فقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد عند الملوك حظْوةً فليكتم أسرارهم . فقلت : ذلك ما لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، احمِلْ إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تُحَصّلُ له في بلده وألفَيْ دينار لنفقة طريقه ، فحُملت إليه كلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

[معبد والشيخ الشامي]

قال إسحاق : وقال معبد : أرسلَ إليّ الوليد بن يزيد فأُشخِصتُ إليه . فبينا أنا يوماً في بعض حمّامات الشام إذ دخل عليّ رجل له هيبةٌ ومعه غِلمانٌ له ، فاطَّلى واشتغل به صاحب الحمّام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عندي لأكوننَّ بِمَزجَرِ الكلب ؛ فاستدبرتُه حيث يراني ويسمع مني ، ثم ترنَّمت ، فالتفتَ إليّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميع ما ها هنا ، فصار جميع ما كان بين يديه عندي . قال : ثم سألني أن أسير معه إلى منزله فأجبته ، فلم يدَع من البرِّ والإكرام شيئاً إلاّ فعله ، ثم وضع النبيذ ، فجعلت لا آتى بحَسَنٍ إلاّ خرجتُ إلى ما هو أحسنُ منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى منّي . فلمّا طال عليه أمري قال : يا غلام ، شيخَنا شيخنا ، فأُتيَ بشيخ ؛ فلمّا رآه هَشَّ إليه ، فأخذ الشيخُ العود ثم اندفع يُغنِّي :

سِلَّوْرُ في القِدْرِ وَيْلي عَلُوهْ جاء القِطّ أكَلَهْ وَيْلي عَلُوهْ

السلَّور : السمك الجرِّي بلغة أهل الشام . قال : فجعل صاحب المنزل يُصفِّق ويضرب برِجله طرباً وسروراً . قال : ثم غنّاه : [من الوافر]

وتَرْمِيني حَبِيبةُ بالدُّراقِن وتَحْسَبُنِي حبيبةُ لا أَراها

الدُّراقن : اسم الخوخ بلغة أهل الشام . قال : فكاد أن يخرج من جلده طرباً . قال : وانسللتُ منهم فانصرفتُ ولم يَعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قطّ غناءً أضيع ، ولا شيخاً أجهل !

[معبد وابن عائشة]

قال إسحاق : وذَكَر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد : أن ابن عائشة كان يُلقي عليه وعلى رُبَيْحة الشَّمَّاسيَّة ، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً ، فاندفع ابن عائشة يُغنِّيه وقد أخذه منه فغضب معبد وقال : أحسنتَ يا ابن عاهرة الدار ، تُفاخرني ! فقال : لا والله ، جعلني

---

1 قالوا في ل : صاحوا .

الله فداءك يا أبا عبَّاد ، ولكنّي أقتبِس منك ، وما أخذته إلاّ عنك ، ثم قال : أنشُدُك الله يا ابن شَمَّاس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عبّاد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهمّ نعم .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنّى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غِناءً ، فقيل له : وكيف أصبحتَ أحسن الناس غناءً ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عبَّاد أحد عشر صوتاً ، وأبو عبَّاد مُغنّي أهل المدينة والمقدَّم فيهم !

[قدوم معبد إلى مكّة والتقاؤه بالمغنّين بها]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال حدّثني أيُّوب ابن عباية عن رجل من هُذيل قال : قال معبد : غنَّيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذِكر ، فقلت : لآتِيَنَّ مكّة فلأَسْمَعَنَّ من المغنّين بها ولأُغَنِّيَنَّهم ولأتعرَّفَنَّ إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكّة . فلمّا قدمتها بِعتُ حماري وسألت عن المغنّين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقُعَيْقِعانَ[1] في بيت فلان ؛ فجئت إلى منزله بالغَلَس فقرعت الباب ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يُسبِّحُ ويستعيذ كأنّه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجلٌ من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجلٌ أشتهي الغناء ، وأزعمُ أنّي أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أنّ القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببتُ أن تُنزِلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنّه لا مؤونة عليك ولا عليهم منّي . فلَوى شيئاً ثم قال : انزل على برَكَة الله . قال : فنقلت متاعي فنزلت في جانب حُجرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : مَن هذا الرجل ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويطربُ عليه ، ليس عليكم منه غبْنٌ ولا مكروه . فرحّبوا بي وكلّمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنَّوا ، فجعلت أُعجَبُ بغنائهم وأُظهر ذلك لهم ويُعجبهم منّي ، حتى أقمنا أيّاماً ، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أَمْسِك عليّ صوتك : [من مجزوء الخفيف]

قُـلْ لهنـدٍ وتِرْبِهـا قبـلَ شَحْطِ النَّوى غَدا

قال : أَوَتُحْسِنُ شيئاً ؟ قلت : تَنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعتُ فيه فغنّيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلكَ الله ! قلتُ : فأَمْسِك عليَّ صوتَ كذا فأَمسَكوه عليّ ، فغنّيته ، فازدادوا عَجَباً وصِياحاً . فما تركت واحداً منهم إلاّ غنَّيته من غنائه أصواتاً قد تخيَّرتُها . قال :

1 قعيقعان : قرية قرب مكّة .

فصاحوا حتى عَلَت أصواتُهم وهَرفوا بي[1] وقالوا : لأنت أحسن بأداءِ غِنائنا عنّا منّا . قال : قلت : فأَمْسِكوا عليّ ولا تَضحكوا بي حتى تسمعوا من غِنائي ، فأمسَكوا عليّ ؛ فغنَّيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنَّيتهم آخر وآخر فوثبوا إليّ وقالوا : نَحلِفُ بالله إنّ لك لَصيتاً واسماً وذِكراً ، وإنّ لك فيما هاهنا لَسَهْماً عظيماً ، فمن أنت ؟ قلت : أنا معبد . فقبَّلوا رأسي وقالوا : لفَّقتَ علينا وكنّا نتهاون بك ولا نعدُّك شيئاً وأنت أنت . فأقمت عندهم شهراً آخُذُ منهم ويأخذون منّي ، ثم انصرفت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنـدٍ وتِرْبِهـا ... قبلَ شَحْطِ النَّوى غَدا
إنْ تجُـودِي فطالما ... بتُّ لَيْلِـي مُسهَّدا
أنـتِ فِي وُدِّ بيننا ... خيرُ مـا عندَنا يدا
حينَ تُدْلِـي مُضَفَّراً ... حالِكَ اللَّـونِ أَسْودا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[2] ، والغناء لابن سُرَيج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسه . وفيه لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهِشاميّ : فيه لابن مُحرز خفيف ثقيل بالوسطى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية عليّ بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لما جَهَدْتُهُ ... وبَيَّـنَ لـو يَسْطِيـعُ أن يتكلَّما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْـلِي مَكانَـهُ ... وأُوصي بـه ألاّ يُهـانَ ويُكرما
فقلتُ لـه : إنْ ألقَ للعين قُـرَّةً ... فهـان عـليّ أن تكـلَّ وتَسْأَما

---

1 هرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر ـ بيروت) 1961 .

عَدِمتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهجتي لئن لم أَقِلْ قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّما[1]

عروضه من الطويل . قولُه : «لئِن لم أَقِل قَرنا» ، يعني أنّه يجدُّ في سيره حتى يقيل بهذا الموضع ، وهو قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[2] المخزوميّ ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل يقال إنّه ليحيى المكّي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لأحمد بن موسى المنجِّم . وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة . وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته .

أخبرني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : صنع عمرو بن بانة لحناً في «تَشَكِّي الكميت الجري» فأخبرني بعض عجائزنا بذلك ، قالت ، فأردنا أن نعرضه على متيّم لنعلم ما عندها فيه ، فقلنا لبعض مَن أخذه عن عمرو : غنِّ «تشكَّى الكميتُ الجري» في اللحن الجديد ؛ فقالت متيَّمُ : أَيْشِ هذا اللحنُ الجديد والكُمَيت المحدَث ؟ قلنا : لحنٌ صنعه عمرو بن بانة . فغنَّته الجارية ، فقالت متيَّم لها : اقطعي اقطعي ، حسبُكِ حسبُك هذا ! والله لحمار حُنين المكسور أشبه منه بالكميت .

1 أَقِلْ : من القيلولة ؛ وقرن : اسم موضع ، ذكره في المتن .

2 ديوان عمر : 341 .

[5] ـ ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَر بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويُكْنى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطّاب» . وكان أبو ربيعة جدُّه يسمَّى «ذا الرُّمحين» ؛ سُمِّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رمحين .

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمِّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه الضحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . وقيل : إنّه قاتلَ يوم عُكاظ برُمحين فسُمِّي «ذا الرمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفَّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمُسيَّبيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى : [من الهزج]

ألاَ للهِ قــــــومٌ وَ ... لَدَتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبــو عَبْـــدِ ... مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ[1]
وذو الرُّمْحَين أَشْباكَ ... على القــوّة والحَــزْمِ[2]
فهــذان يَــــذُودانِ ... وذا مِـنْ كَثَبٍ يَرْمِي
أُسُودٌ تَزْدَهِي الأقـرا ... نَ مَنَّاعــونَ للهَضْمِ[3]
وهــم يــومَ عُكاظٍ مـ ... ـنعوا الناسَ مــن الهَزْمِ
وهــم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا ... بِسرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ[4]
فإن أحلِفْ وبيتِ اللـ ... ـه لا أحلفْ على إثمِ
لَما مِــنْ إخــوَةٍ بين ... قصــورِ الشأم والرَّدْمِ
بأزْكى من بنــي رَيْطَـ ... ــةَ أو أَوْزَنَ في الحِلْمِ

1 المدره : زعيم القوم .
2 يقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان .
3 تزدهي الأقران : تستخفّ بهم .
4 يقال : أشبى فلان إذا وُلِد ولد كيِّس .

أبو عبد مَناف : الفاكِهُ بن المُغِيرة . ورَيْطة هذه التي عناها هي أُمُّ بني المُغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدتْ من المغيرة هِشاماً وهاشماً وأبا رَبيعة والفاكِهَ .

وأخبرني أحمدُ بن سليمان بن داود الطُّوسي والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَلٍ عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وجئته أطلب منه مَغْرَماً ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأنْشِد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حسّان يُنْشِدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أَفْتَرِيَ على الله ورسوله ، ولكن إن شئتَ أن أقول : سمعتُ عائشة تُنشِدها فعلتُ . فقال : لا ، إلاّ أن تقول : سمعت حسّان يُنشدها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليّ وأَبَيْتُ عليه ، فأَقَمنا لذلك لا نتكلّم عِدّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أميّة . فقلت : سَمِّهم لي ، فسمَّاهم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من الهزج]

ألا لله قــــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سَهْمِ

. . . الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزِّبَعْرى . قال : فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزِّبَعْرى .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزوميّ قال : أخبرني محمد بن طلحة أنّ عمر بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ألا لله قــــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سهمِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال حدّثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شبّة : قال محمد بن يحيى : وأُختُ بني سهم التي عناها رَيطةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وهي أُمُّ بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكِهُ ، وعِدَّةٌ غيرهم لم يُعقِبوا ، وإيّاهم يعني أبو ذؤيب بقوله : [من الكامل]

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنّه عبــدٌ لآل أبــي ربيعةَ مُسْبَعُ

ضَرب بعزِّهم المَثَل . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بَحِيراً ، فسمَّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تلقّبه «العِدْلَ» ؛ لأنّ قريشاً كانت تكسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ، ويكسوها هو من ماله سنةً ، فأرادوا بذلك أنّه وحدَه عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزِّبَعْرى : [من الطويل]

بَحِيرُ بنُ ذي الرُّمْحين قرَّب مجلِسي وراح علَيَّ خيرُه غيرَ عاتِمِ

وقد قيل : إنّ العِدْل هو الوليد بن المُغيرة .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً ، وكان مَتجرُه إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً . وأُمّه أسماء بنت مُخَرِّبَةَ ، وقيل : مُخَرِّمَة ، وكانت عَطّارة يأتيها العِطرُ من اليمن . وقد تزوّجها هشام بن المُغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جَهل والحارث ابنَي هشام ؛ فهي أُمُّهما وأُمُّ عبدِ الله وعيّاش ابنَي أبي ربيعة .

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا : حدّثنا الزبير قال حدّثني عمِّي عن الواقديّ قال : كانت أسماء بنت مُخَرِّبَةَ تبيع العطر بالمدينة . فقالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بن عَفراء الأنصارية ، وكان أبوها قَتل أبا جَهلٍ بن هشام يوم بدر واحتزّ رأسه عبد الله بن مسعود ، وقيل : بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله ، فذكرتْ أنّ أسماء بنت مُخرِّبة دخلت عليها وهي تبيع عِطراً لها في نسوة ، قالت : فسألت عنّا ، فانتسبنا لها . فقالت : أأنتِ ابنةُ قاتل سيِّده ؟ تعني أبا جهل . قلت : بل أنا بنت قاتل عبدِه . قالت : حرامٌ عليّ أن أبيعك من عطري شيئاً . قلت : وحرامٌ عليّ أن أشتري منه شيئاً ؛ فما وجدت لعطرٍ نَتناً غير عطرك ، ثم قمت ؛ ولا والله ما رأيت عِطْراً أطيبَ من عطرها ، ولكنّي أردت أن أَعِيبَه لأَغيظَها .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرّفون في جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً ؛ فرُوي عن سفيان بن عيينة أنّه قيل لرسول الله ﷺ حين خرج إلى حُنين : هل لك في حَبَش بني المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : «لا خيرَ في الحبش إن جاعوا سَرَقوا وإن شَبِعوا زَنَوا ، وإنّ فيهم لخَلَّتَيْن حَسَنَتَين إطعام الطعام والبأس يوم البأس» . واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليفها ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . هذا من رواية الزبير عن عمِّه . قال : وحدّثني ابن الماجِشون عن عمِّه أنّ عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، استعمله أيضاً عليها .

[أمّ عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث]

وأُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمّ ولدٍ يقال لها «مَجْدُ» ، سبيّة من حَضرموت ويقال من حِمْيَر . قال أبو مُحَلِّمٍ ومحمد بن سلاّم : هي من حِميَر ، ومن هناك أتاه الغَزَل ؛ يقال : غَزَلٌ يمانٍ ، ودَلٌّ حجازيٌّ .

وقال عمر بن شبّة : أُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمُّ ولدٍ سوداء من حبشٍ يقال لهم : فرسان[1] .

1 فرسان : من جزائر اليمن .

وهذا غلطٌ من أبي زيد[1] . تلك أُمُّ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُباعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً دَيِّناً وسيّداً من سادات قريش .

قال الزبير بن بَكَّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاّه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أَرْسَلَ عَوْفاً وقَعَد ! «لا حُرَّ بوادي عَوف» . فقال له يحيى بن الحكم : ومَن الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتْ والله أَمَةٌ خيراً ممّا ولدتْ أُمُّه !

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيَّبيّ : أنّ أُمّه ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وُجِد الصليب في عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فإنّ لها أهلَ دِينٍ هم أولى بها منّا ومنكم ؛ فاستُحسن ذلك منه وعجِبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» . . .]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و	لدتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبـو عَبْـدِ	مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرُّمحـين أَشْباكَ	على القـوّة والحَـزْمِ
فهـــذان يَـذُودان	وذا مـن كَثَبٍ يَرْمِي

عروضُه من مَكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حمّاد .

[رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائنيّ عن رُسْتَمَ بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عبّاد ، إنّي أُريد أن أُخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاشَ أن تردَّه عليّ ، فقد أذِنت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يـردُّ عليك إلا مخطىء . قال : إنّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائه انخناثاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أُمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكنّي أُوثر الطرب على كلّ شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التامّ ، فأُغرِّب أنا ويُشرِّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في : [من الهزج]

أَلاَ لله قـــــومٌ و لدَتْ أُختُ بني سَهْمِ

الأربعة الأبيات . وغنّاه ، فصاح يزيد : أحسنتَ والله يا مولاي ! أعِد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأوّل ، فأعاد . ثم قال : أعد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتى وثبَ وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

يـا دارُ دَوِّرينـي يـا قَرقَـرُ امسكيني
آلَيْتِ مُنْـذُ حـينِ حقّـاً لَتَصْرِمِينـي
ولا تُواصِلِينـــي بـــالله فَارْحَمِينـي
لَـمْ تَذْكُـري يَمِيني

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويَدُرن معه ، حتى خرَّ مغشيّاً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدمُ [فأقاموه] وأقاموا مَن كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالحٌ يقال له «جُوان» ، وفيه يقول العَرْجيّ : [من المتقارب]

شَهِيدي جُـوانٌ على حبِّها أليس بعَدْلٍ عليهـا جُوانْ

فأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثَوْبان قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثيّ وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز ، فشَهِد عنده بشهادة ؛ فتمثَّل : [من المتقارب]

شَهيدي جُـوانٌ على حبِّها أليس بعـدلٍ عليها جُوانْ

وهذا الشعر للعَرْجِيّ . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقَبِلَه . وقال غير الزبير : إنّه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرني في شِعرك ! متى أَشْهدتَني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنتُ أنا أشهد في مثل هذا ! قال : وكان امرأً صالحاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بكار بن عبد الله قال: استعمَل بعض وُلاة مكة جوان بن عمر على تَبالَةَ[1]، فحمل على خَثْعَمَ في صدقات أموالهم حَملاً شديداً؛ فجعلتْ خثعم سنة جوانٍ تاريخاً؛ فقال ضُبارَة بن الطُّفَيل: [من الطويل]

أَتَلْبَسُنا ليلى على شَعَثٍ بنا ... من العامِ أو يُرمى بنا الرَّجَوانِ[2]

صوت

[من الطويل]

رأتْني كأَشْلاءِ اللِّجامِ وراقَها ... أخو غَزَلٍ ذو لِمَّةٍ ودِهانِ
ولو شَهِدَتْني في ليالٍ مَضَيْنَ لي ... لِعامَيْنِ مرًّا قبلَ عامِ جُوانِ
رأتْنا كريمَيْ معشرٍ حُمَّ بيننا ... هَوًى فحفِظْناه بحُسْنِ صيانِ[3]
نَذُودُ النفوسَ الحائماتِ عن الصِّبا ... وهُنَّ بأعناقٍ إليه ثَواني

ذكر حَبَشٌ أنّ الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيلٍ بالبِنْصر، وذكر الهشاميّ أنّه لقراريط.

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا: وكان لعمر أيضاً بنتٌ يقال لها: «أَمَةُ الواحِدِ»، وكانت مُسترضَعة في هُذيل، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة، وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق: [من السريع]

لم تَدْرِ ولْيَغْفِرْ لها ربُّها ... ما جَشَّمَتْنا أَمَةُ الواحدِ[4]
جَشَّمَتِ الهَوْلَ بَراذينَنا ... نسألُ عن بيتِ أبي خالدِ
نسألُ عن شيخِ بني كاهلٍ ... أَعْيا خَفاءً نشْدَةَ الناشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامريّ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلَّبي قالا: حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثنا أُسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحَكَم، قال: أراه عن الحسن، قال: وُلد عمرُ بن أبي ربيعة ليلة قُتل عمر بن الخطّاب، رحمة الله عليه، فأيُّ حقٍّ رُفع، وأيُّ باطلٍ وُضِع! . قال عوانة: ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها.

---

1 تبالة: بلدة من أرض تهامة.

2 يرمي به الرجوان: يستهان به، والرجوان جانبا البئر.

3 حمَّ: أتيح وقدر.

4 ديوان عمر: 116.

أخبرني الجوهريّ والمُهلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جُريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر منّي كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهريّ قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفَّان عن إسحاق عن المُسَيَّبي والزبيري والمدائنيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا : قال أيّوبُ بن سيّار ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عمران عن أيّوب بن سيّار عن عمر الركاءِ قال : بينا ابن عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُوَرَّدين أو مُمَصَّرَين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عبّاس فقال أنشِدنا فأنشده : [من الطويل]

أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ غـداةَ غـدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق فقال : الله يا ابن عبّاس ! إنّا نضرب إليك أكبادَ الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقلُ عنّا ، ويأتيك غلام مُترفٌ من مُترفي قريش فيُنشدك : [من الطويل]

رأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَخْـزى وأمّـا بالعشِيِّ فيَخْسَرُ

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحـى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخصَرُ

فقال : ما أُراك إلاّ وقد حَفِظْتَ البيتَ ؛ قال : أَجَلْ ، وإن شئت أن أُنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها . قال فإنّي أشاء ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبَّة : أنّ ابن عبّاس أنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبةً ، وما سمعها قَطُّ إلاّ تلك المرّة صَفْحاً . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قطّ . فقال : لكنّني ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلا رويتُه ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسُدُّ أُذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولامَه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أمِن آل نُعْمٍ . . .» فقال : إنّا نَستجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عبّاس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

---

1 ثوب ممصّر : فيه بعض صفرة .

المُغِيريُّ شيئاً بعدنا ؟

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

فيَضْحَى وأمّا بالعَشيّ فيَخْصَرَ

قال : لا ، بل :

فيَخزى وأمّا بالعشيّ فيخسَرُ

قال عمر بن شَبَّة وأبو هَفَّان والزبير في حديثهم : ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : أنشِد ، فأنشده[1] : [من المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

ولَلدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أفسمعتَه ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن إسحاق قال : كان العرب تُقِرّ لقريش بالتقدّم في كلّ شيء عليها إلاّ في الشعر ؛ فإنّها كانت لا تُقِرُّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تُنازعها شيئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عمّي مُصعباً يحدّث عن جدّي أنّه قال مثل هذا القول . قال : وحدّثني عِدَّةٌ من أهل العلم أنّ النُّصَيْب قال : لَعُمَرُ بن أبي ربيعة أَوصَفُنا لرَبّاتِ الحِجال .

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مَدحنا ؟ قال : إنّي لا أمدح الرجال ، إنّما أمدح النساء . قال : وكان ابن جُرَيج يقول : ما دخل على العواتق في حِجالهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير وحدّثني عمّي عن جدّي ، وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هَفَّان عنه عن المدائني ؛ قال قال هشام بن عُروة : لا تُرَوُّوا فَتياتِكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورَّطن في الزِّنا تورُّطاً ، وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلي عُمَرَكْ

---

1 ديوان عمر : 90 .

أخبرنا عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق عن الزبيريّ[1] قال حدّثني أبي عن سَمُرَةَ الدُّومانيّ[2] من حِمْيَر قال : إنّي لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطَّواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقبَضتُ على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أَكُلَّ ما قلتَه في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عنّي . قلتُ : أسألك بالله قال : نعم وأستغفرُ الله .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية : أنّه سُئل عن شِعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُق المُقشَّر[3] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأتْه وبكتِ الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلمَ ؛ فذُكر يوماً شعرُ عمر بن أبي ربيعة فهَجَّنه . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومرّ بهم حمّادٌ الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال نَنْزُو على أُمّه لعلّها تأتي بمن هو أَمْثَل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوّم الأنصاري : ما عُصِي الله بشيء كما عُصِي بشعر عمرَ بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدّثني قيس بن داود قال حدّثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شابٌّ أُعشَق ولا أَعشَق ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحِسان إلى الممات . ولقد لقيَتني فتاتان مرة فقالت لي إحداهما : أُدْنُ منّي يا ابن أبي ربيعة أُسِرَّ إليك شيئاً . فدنوت منها ودنَت الأُخرى فجعلت تَعَضُّني ، فما شعرت بعَضٍّ هذه من لذّة سِرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن المفضّل الرَّقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أَسلم قال : لقيتُ جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنّ شِعرك رُفع[4] إلى المدينة وأنا أحِبّ أن تُسْمِعَني منه شيئاً . فقال : إنّكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسيب ، وإنّ أَنسب الناس المخزوميّ ؛ يَعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيسٍ ، وبنو أخيه معه وهم

---

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المفسد .

4 ل : وقع .

مُحرِمون ، فقال لبعضهم : خُذ بيدي فأخذ بيده ؛ وقال : ورَبِّ هذه البَنِيَّة[1] ما قلت لامرأةٍ قطُّ شيئاً لم تقله لي ، وما كشفتُ ثوباً عن حرام قطّ . قال : ولّما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جَزِع أخوه الحارث جَزَعاً شديداً . فقال له عمر : أحسِبُكَ إنّما تجزع لما تظنُّه بي ، والله ما أعلم أنّي ركبتُ فاحشةً قطُّ ! فقال : ما كنت أُشفق عليك إلاّ من ذلك ، وقد سَلَّيت عنّي .

قال إسحاق : حدّثني مُصعبٌ الزبيري قال قال مُصعب بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكّة مُعتمرَين أو حاجَّيْن ؛ فلمّا طُفنا بالبيت مَضَينا إلى الحِجر نُصلّي فيه ، فإذا شيخٌ قد فرَج[2] بيني وبين أخي فأَوسعنا له . فلمّا قضى صلاته أقبل علينا فقال : مَن أنتما ؟ فأخبرناه . فرحَّب بنا وقال : يا ابنَيْ أخي ، إنّي موكَّل بالجَمال أَتبعُه ، وإنّي رأيتكما فَراقَني حُسنكما وجمالكما ، فاستمتِعا بشبابكما قبل أن تندما عليه ، ثم قام ؛ فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال : عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة ؛ فتكَ منها أربعين سنة ، ونسَك أربعين سنة .

قال الزبير وحدّثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَجَجْتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعَلَيّ جُمَّة . فلمّا قدِمت مكّة جئتُ عمر بن أبي ربيعة ، فسلَّمتُ عليه وجلست معه ، فجعل يَمُدُّ الخُصلة من شعري ثم يُرسلها فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مراراً . ثم قال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتَني أقول في شعري : قالت لي وقلتُ لها ، وكلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن كنت كشفت عن فَرْجٍ حرام قطُّ ! فقمت وأنا مُتشكِّكٌ في يمينه ، فسألت عن رقيقه فقيل لي : أمّا في الحوك فله سبعون عبداً سوى غيرهم .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثتني ظَبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : مررت بجَدِّك عبد الله بن مُصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر ، فقال : ما هذا معك ؟ ودعاني . فجئتُه وقلت : شعرُ عمر بن أبي ربيعة . فقال : وَيْحَكِ ! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة !! إنّ لشعرِه لَمَوْقِعاً من القلوب ومَدخلاً لطيفاً ، لو كان شعرٌ يَسحَر لكان هو ، فارجعي به . قالت : ففعلتُ .

قال إسحاق : وأخبرني الهيثم بن عديّ قال : قدِمت امرأةٌ مكّة وكانت من أجمل النساء . فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه ؛ فدنا منها فكلَّمها ، فلم تلتفت إليه . فلمّا كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها . فقالت له : إليكَ عنّي يا هذا ، فإنّك

---

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَم الله وفي أيّامٍ عظيمة الحُرمة . فألحّ عليها يُكلّمها حتى خافت أن يُشَهِّرَها . فلمّا كان في الليلة الأُخرى قالت لأخيها : أُخرُج معي يا أخي فأَرِني المَناسِك ؛ فإنّي لستُ أعرفها ، فأقبلتْ وهو معها . فلمّا رآها عمر أراد أن يَعرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها ؛ فتمثّلت المرأة بقول النابغة : [من البسيط]

تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلابَ له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الحامي[1]

قال إسحاق : فحدّثني السِّندي مولى أمير المؤمنين أنّ المنصور قال ، وقد حُدِّث بهذا الخبر ، وَدِدْتُ أنّه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش في خِدرِها إلاّ سمعتْ بهذا الحديث .

قال إسحاق : قال لي الأصمعي : عمر حُجَّةٌ في العربية ، ولم يؤخذ عليه إلاّ قوله : [من الخفيف]

ثم قالوا تُحِبُّها قلْتُ بهْراً عدَدَ الرَّمْلِ والحَصى والتُّرابِ

وله في ذلك مَخرجٌ ؛ إذ قد أتى به على سبيل الإخبار . قال : ومن الناس من يزعم أنّه إنّما قال :

قيل لي هل تُحِبُّها قلت بهراً

[شعر عمر الذي غنّى فيه المغنّون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنَّى فيها المغنّون إذ كانت لم تُنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنَّى فيه من قوله[2] : [من الطويل]

صوت

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها فتُبْلِغَ عُذراً والمقالةُ تُعْذِرُ
أشارت بمِدْرَاها وقالت لأُختِها أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟
فقالتْ : نعمْ لا شكَّ غيَّر لونَه سُرى الليلِ يَطوي نَصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .
2 ديوان عمر : 120-127 .

أخا سفرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... بـه فَلَـواتٌ فَهُوَ أَشْعَـثُ أَغْبَرُ
وليلةَ ذي دَوْران جَشَّمْتِني السُّرى ... وقـد يَجْشَمُ الهولَ المُحبُّ المغرِّرُ[1]
فقلـــتُ : أُبادِيهـم فإمَّا أفوتُهم ... وإمّـا يَنـالُ السيفُ ثأراً فَيثأَرُ

هذه الأبياتُ جُمعت على غير تَوالٍ ؛ لأنّه إنّما ذُكر منها ما فيه صنعةٌ . غنّى في الأوّل والثاني من الأبيات ابن سُريج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن أحمد بن المكّي وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمعبدٍ لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر . وغنّى ابن سُريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لحناً من الهزج بالوُسطى لِحَكَم . وغنّى ابن سُريج في الخامس والسادس لحناً من الرَّمَل بالوسطى عن عمرو بن بانَة . وذكر يونس أنّ في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبِنصر .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عبّاس وهو في المسجد الحرام فقال : مَتّعني الله بك ! إنّ نفسي قد تاقَت إلى قول الشِّعر ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره عليّ . فقال : أنشِدني ، فأنشده : [من الطويل]

أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقُل ما شِئت . قال : وأُنشد عمر هذه القصيدة طَلحة بن عبيد الله بن عوف الزُّهْري وهو راكبٌ ، فوقف وما زال شانِقاً ناقته حتى كُتِبت له .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني الحسين بن إسماعيل قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أُنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنجد وجَد البردَ ، حتى أُنشد قوله : [من الطويل]

رأت رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحى وأمّـا بالعشيّ فيَخْصَرُ
قليـلاً على ظَهـر المطيَّـة ظِلُّـه ... سِوى مـا نَفى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ
وأَعجبَها مـن عَيشها ظِـلُّ غُرفةٍ ... ورَيّـانُ مُلتـفُّ الحدائـقِ أخضَرُ
وَوالٍ كَفاهـا كلَّ شيءٍ يَهُمُّهـا ... فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرَشيّ يَهذِي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : قال لي الرشيد : أَنشِدْني أحسنَ ما قيل في رجل قد لوّحه السفر ؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

1 ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة .

حيث قال : [من الطويل]

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضحى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ
أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتٌ فهو أَشْعَثُ أغبرُ

. . . الأبيات كلّها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعَقِب قدومه من بلاد الرُّوم .

أخبرني الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال أخبرني شُعَيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : إنّ ابنَ أبي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هذه حيث يقول : [من الطويل]

ووالٍ كَفاهــا كلَّ شيءٍ يَهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخرَ الليل تَسْهَرُ

[مجن عمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان قال حدّثني إسحاق عن المدائني قال : عرض يزيدُ بن معاوية جيش أهل الحرَّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ خَلَقٌ سَمْجٌ ، فنظر إليه يزيد وضحك وقال له : وَيْحَك ! تُرْسُ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من تُرْسِك . يريد قول عمر : [من الطويل]

فكان مِجَنِّي دون مَن كنتُ أتّقي ثــلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ ومُعصِرُ

[جمين صاحب النوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمع أبو الحارث جُميْنٌ مُغنيةً تُغَنِّي : [من الطويل]

أشارت بِمدْراها وقالت لأُختها أهذا المُغِيريّ الذي كان يُذكَرُ ؟

فقال جُمَّين : امرأتُه طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلاّ لَتَفْقَأ بها عينه ، هلاّ أشارت إليه بنقانق مُطَرَّفٍ بالخردل ، أو سنْبوسجةٍ مغموسة في الخلِّ ، أو لوزينجةٍ شَرِقَةٍ بالدُّهن ! فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدلُّ على مودّة صاحبته .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أُوَيس عن عطّاف بن خالد الوابصيّ عن عبد الرحمن بن حرملة قال : أُنشِد سعيد بن المسيِّب قولَ عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ورَوَّحَ رُعْيــانٌ ونَــوَّمَ سُمَّرُ

[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له قاتَله الله ! لقد صغَّر ما عظَّم الله ! يقول الله عزّ وجلّ : ﴿والقَمَرَ قَدَّرْناهُ

مَنازِلَ حَتَّى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيم﴾ [يس 36] .

ومنها ما فيه غِناء لم يُنْسَبْ في موضعه من الأخبار فنُسب هاهنا[1] : [من المتقارب]

صوت

تَشُطُّ غـداً دارُ جيرانِنـا ... ولَلـدَّارُ بعـدَ غـدٍ أبعـدُ
إذا سَلَكَتْ غَمْـر ذِي كِنْدَة ... مع الصبحِ قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ[2]
عِراقيَّـةٌ ، وتِهامـي الهَـوى ... يَغُـورُ بمكّـةَ أو يُنجدُ
وحَثَّ الحُـداةُ بهـا عِيرها ... سِراعاً إذا مـا وَنَـتْ تُطْرَدُ
هُنالِكَ إمّـا تُعَـزِّي الفـؤادَ ... وإمّـا عـلى إثْرِهـا تَكْمَدُ
وليستْ بِبِـدْعٍ إذا دارُها ... نـأتْ والعَـزاءُ إذاً أَجْلَدُ[3]
صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى علمـ ... ـتُ أيـن المَصادِرُ والمَوْرِدُ
وجَرَّبْتُ من ذاك حتّى عرفـ ... ـتُ مـا أتوقّى ومـا أحمَدُ
فلمّا دَنَوْنـا لجَـرْسِ النُّبا ... حِ والضوءِ ، والحيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
[نأينـا عـن الحَيِّ حتّى إذا ... تَـوَدَّعَ من نارِهـا المَوْقِدُ][4]
بَعَثْنـا لهـا باغيـاً ناشِداً ... وفي الحـيّ بُغْيَةُ مَـنْ يَنْشُدُ
أَتَتْنـا تَهـادَى على رِقبـةٍ ... من الخوفِ أحشاؤها تُرْعَدُ
تقـول وتُظْهِـرُ وَجْـداً بنـا ... ووَجْدِي وإن أظهـرتْ أَوْجَدُ
لَمِمَّـا شَقائـي تَعَلَّقْتُكُـم ... وقـد كان لي عندكم مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوابِـقَ مـن عَبرةٍ ... على الخَدِّ يَجْري بهـا الإثْمدُ
فـإنّ التـي شَيَّعَتْنا الغَداةَ ... مع الفجرِ قلبي بهـا مُقصَدُ
كـأنَّ أقاحِـيَّ مَوْلِيَّـةً ... تَحَدَّرُ من مـاء مُـزْنٍ نَدِي[5]

غَنَّى معبدٌ في الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصواتٍ قليلاتِ الأَشباه عن إسحاق . وغنَّى فيها أَشْعَبُ المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ . وللغريض في الأبيات الأربعة الأُوَلِ ثاني ثقيل بالوسطى[6] عن عمرو . ولابن سُرَيج في الرابع عشر وهو :

---

1 ديوان عمر : 90-92 في فاطمة بنت الأشعث .
2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكّة .
3 وليست ببدعٍ إذا في ل : وليست نزوعاً لئن .
4 سقط البيت من ل .
5 في البيت إقواء ، ولعلّه دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .
6 ل : بالبنصر .

وكفَّتْ سوابقَ من عَبْرةٍ

ثم الأوّل والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكّي . ولمالك ، ويقال إنّه لمعبد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأوّل عن الهشاميّ . وفي السابع والثامن والأوّل لابن جامع ثقيل أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وفي الأوّل والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه . وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكّي ، وقيل : إنّه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشاميّ . وفي الأوّل والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكّي ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأوّل والثاني رمل من كتابه . ولعُلَيَّة بنت المهدي في الثالث عشر والأوّل ثقيلٌ أوّل . ولابن مِسجَحٍ في الثاني عشر والأوّل رملٌ ، ويقال إنّه للرَّطَّاب ، وذكر حبشٌ أنّه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى معبد وإلى يحيى المكّي ، وزعم حبش أنّ فيها رملاً بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أنّ في :

تَشُطُّ غـــداً دارُ جيرانِنا

خمسة ألحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي عُرِف صحتُه من الغناء فيه سبعة ألحان : ثقيل أوّل ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورملٌ ، وخفيفُه .

أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أنّ الذي أُحصي فيه إلى وقته ستّة عشر لحناً . والذي وجدته فيه ممّا جمعته ها هنا ، سوى ما لم يَذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحناً : منها في الثقيل الأوّل لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمل سبعة ، وفي خفيف الرَّمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجَّت فهَوِيَها وراسلها ، فواصلتْه ودخل إليها وتحدّث معها وخطبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تزوّجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بُدَيْحاً]

أخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزوميّ عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بديحاً يقول : حجَّت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقّاها مساءَ الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يُرسِل رسولاً ، يُعلمُها بمصيره إلى المكان الذي وعدها . قال بُدَيح : فلم أشعر به إلاّ مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، ائتِ بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها ؛ فأبيتُ أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب بغلته عنّي ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زُقاق الحاجّ . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليَّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأتته لموعده ؛ وذلك قوله : [من المتقارب]

وآيــة ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشداً ينشُد

قال بديح : فلمّا رأيتها مقبلةً عرفتُ أنّه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك : [من مجزوء الوافر]

فهــذا سِحْــرُكَ النِّسْوا نَ ، قد خَبَّرْنَني خبرَكْ

قد سَحَرْتَنِي[1] وأنا رجل ، فكيف برقَّة قلوب النساء وضعف رأيهنّ وما آمنك بعدها ، ولو دخلتَ الطَّواف ظننت أنّك دخلته لبليَّةٍ . قال : وحدّثها بحديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك منّي .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهِندام[2] مولى الرَّبَعيِّين عن أبي الحارث بن عبد الله الرَّبَعيّ قال : لَقِي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أخدَعَكَ ابن أبي ربيعة أنّه قُرَشيّ ؟ فقال بُديح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القَسري وصواحبه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إنّ من تغابى لك لِيَغْبى عنك ، فقد ضُمَّت عليه قَبضتُك إن كان لك ذهنٌ ، أمَا رأيت لِمَن كانت العاقبة ؟ والله ما بالى ابنُ أبي ربيعة أوقع عليهنّ أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر المحاربيّ : أنّ فاطمة بنت محمد بن الأشعث حَجَّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسولَ الذي بشَّره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حَجَّت بنتٌ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيحُ] ، وكانت معها أُمُّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها : [من المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ولَلدارُ بعــدَ غــدٍ أَبعدُ

---

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعلّ الصواب «أبو الهيذام» .

وذكر القصة[1] بطولها . قال : وقد كانت لمّا جاءها أرسلتْ بينها وبينه سِتراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشدته ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفَّها الشعر فرفعت السَّجف ، فرأى وجهاً حسناً في جسم ناحل ، فخطبها وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار ، فأبت وحجبتْه وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنّ الفتاة غمّها ذلك ، فقالت لها أُمُّها : قد قتلكِ الوجد به فتزوّجيه . قالت : لا والله لا يتحدّث أهل العراق عنّي[2] أنّي جئتُ ابن أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوّجته . قال : ويقال : إنّها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأَجْمَرَ[3] بيته وأعطى المبشِّر مائة دينار ، فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيِّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلمّا صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيَّعها[4] : [من الكامل]

صوت

قـال الخَليطُ غـداً تَصَدُّعُنا ... أو بعـدَه ، أفـلا تُشَيِّعُنا
أمّا الرَّحيـلُ فدونَ بعد غدٍ ... فمتـى تقـولُ الدارَ تَجْمَعُنا
لِتَشُوقَنا هنـدٌ وقـد علمتْ ... علمـاً بـأنّ البـين يُفْزِعُنا[5]
عجبـاً لِمَوْقفنـا وموقِفِهـا ... وبسَمْـعِ ترْبَيْهـا تُراجعُنا !
ومَقالِها سِرْ ليلـةً معَنـا ... نَعْهَدْ فـإنّ البـينَ فاجعُنا[6]
قلـتُ العيونُ كثيرةٌ معكـم ... وأظـنُّ أنّ السَّيْـرَ مانِعُنا
لا بـل نَزورُكُم بأرضكم ... فيُطـاعُ قائلُكـم وشافِعُنا
قالـتْ أشيءٌ أنت فاعلُـه ... هـذا لَعَمْرُك أم تُخادِعُنا ؟
بالله حَـدِّثْ مـا تُـؤمِّلُـه ... واصدُقْ فإنّ الصِّدق واسعُنا
اضْرِبْ لنا أجـلاً نعـد لـه ... إخْـلافُ موعِـده تقاطُعُنا

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّه للغريض بالوسطى . وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشاميّ ، وذكر حبشٌ أنّه لموسى شهوات .

---

1 ل : القصيدة .
2 ل : خلفي .
3 أجمر البيت : بثّ فيه بخوراً .
4 ديوان عمر : 434 .
5 يفزعنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم).
6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمحيّة]

ومنها ممّا لم يُنسب أيضاً : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أَرْسلتُ جاريتـــي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرَكْ[1]
وقُــولي في مُلاطفـــةٍ لزينـبَ : نَــوِّلي عُمَرَكْ
فَهـــزَّتْ رأسَهـــا عجباً وقالت : مَنْ بـــذا أَمَرَكْ
أهـــذا سِحْـرُكَ النِّسوا نَ ، قد خبَّرَنَـــي خَبَرَكْ[2]

غنّى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنّه للغريض . وفيها لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن ابن المكّي . وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأنّ هذه الأبيات لعُمرَ من قصيدة رائيّـةٍ موصولـة الرّاءات بألـفٍ ، إلاّ أنّ المغنّينَ غيَّروا هذه الأبيات في هذين اللّحنين ، فجعلوا مكان الألـف كافاً ؛ وإنّما هي : [من مجزوء الوافر]

لقـد أرسلتُ جاريتـــي وقلتُ لها : خُذي حَذَرا

وأوّل القصيدة[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

تَصابَى القلـــبُ وادَّكَرا صِبـــاهُ ولم يكـن ظَهِرا
لزينــبَ إذ تُجِـدُّ لنـا صفـــاءً لم يكـن كَدِرا
أليستْ بالتـي قالـتْ لمـولاةٍ لهـــا ظُهُـــرا
أَشِيري بالسَّلام لــــه إذا هُـــوَ نحونــا خَطَرا
لقـــد أَرْسلتُ جاريتـي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرا
وقُــولي في مُلاطفــــةٍ لزينـبَ : نَـوِّلي عُمَـرا
فهَـــزَّتْ رأسَهـا عجبـاً وقالـت : مَنْ بِذا أمَرا !
أهـــذا سِحْـرُكَ النسوا نَ ، قد خبَّرْتني الخبرا

غنّى ابنُ سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبُه في نسخته الثانية إلى دَحمان . وللغريض في الأوّل من الأبيات لحن من

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدتي سحراً» .
2 سحرك في ل : خدعك .
3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما[1] : [من مجزوء الوافر]

طَرِبَتْ وردَّ مَنْ تهوى جمالُ الحَيِّ فابتكرا
فقُلْ للمالكيَّةِ لا تلومي القلبَ إن جَهَرا[2]

وذكر يونس أنّ لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوّله :

تَصابى القلبُ وادّكرا

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشاميُّ : أنّ أحدهما خفيفُ ثقيل والآخر رملٌ . وفي الأبيات التي غنّى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشاميّ ، قال : ويقال إنّه لابنه الزبير . وزينبُ التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أُختُ قُدامة بن موسى الجُمَحِيّ .

أخبرني بذلك محمد بنُ خَلَفِ بن المَرزُبان عن أبي بَكر العامريّ . وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدّثني عمّي عمران بن عبد العزيز قال : شبّب[3] عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجُمَحيّة في قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

يا خَليليَّ مِنْ مَلامٍ دَعانِي وأَلِمَّا الغَداةَ بالأَظْعانِ[5]
لا تلوما في آلِ زينبَ إنّ الـ ـقلبَ رَهْنٌ بآلِ زينبَ عاني
ما أرى ما بقيتُ أنْ أذكرُ المو قِفَ منها بالخَيْفِ إلاّ شجاني

غنّى في هذه الأبيات الغريضُ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساءِ عندِيَ حظّاً غيرَ ما قلتُ مازِحاً بلساني
هي أهلُ الصَّفاء والوُدِّ منّي وإليها الهَوى فلا تَعْذُلاني
حين قالت لأُختها ولأُخرى من قَطينٍ مُوَلَّدٍ : حَدِّثاني[6]

---

1 انظر الديوان : 193–194 .
2 للمالكية في ل : للبربرية .
3 ل : نسب .
4 ديوان عمر : 416 .
5 مَلام في ل : مِ الملام .
6 لأختها في ل : لتربها .

كيفَ لي اليومَ أن أَرى عُمَرَ المرْ سِلَ سِرّاً في القولِ أن يَلْقاني ؟
قالتــا : نَبْتَغِـي رسولاً إليـــه ونُميــتُ الحديــثَ بالكِتمانِ
إنّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها كالمُعَمَّى عن سائــر النِّسْوانِ[1]

[عمر وابن أبي عتيق]

قال : وكان سببُ ذكره لها أنّ ابنَ أبي عتيق ذَكرها عنده يوماً فأَطْراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّب بها ؛ فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتنطِقُ الشعر في ابنة عمّي ؟ فقال عمر[2] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْنِي عتيقُ حَسْبِي الذي بي إنّ بـي يـا عتيقُ ما قد كَفاني
لا تَلُمني وأنــتَ زَيَّنْتَهــا لي أنــتَ مثـلُ الشيطانِ للإنسانِ
إنّ بي داخلاً من الحبّ قد أَبْـ ـلَى عِظامي مكنونُـهُ وبَــرانِي
لــو بعينيك يـا عتيقُ نَظَرْنا ليلــةَ السَّفْح قَـرّتِ العينانِ
إذ بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّ رِّ وفَصْلٌ فيه مـن المَـرْجانِ
قــد قَلى قلبـي النساءَ سواها غيرَ مـا قلتُ مازحاً بلساني[3]

وأوّل هذه القصيدة : [من الخفيف]

إنَّنـــي اليـومَ عـاد لي أحـزاني وتذكَّرتُ مـا مضى من زماني[4]
وتذكَّـــرتُ ظبيـــةً أُمَّ رِئـــمٍ هاج لي الشوقَ ذِكرُها فشجاني[5]

غنّى أبو العنبس بن حمدون في «لا تلمني عتيق . . .» لحناً من الثقيل الأوّل المُطلق . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله : [من الخفيف]

يــا خليــليَّ مِ المـلام دعاني وأَلِمَّــا الغــداةَ بــالأَظْعانِ

---

1 كالمعمّى في الديوان : كالمغنَّى .
2 ديوان عمر : 417 .
3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .
4 وتذكّرت ما مضى في الديوان : وتذكرت ميعتي .
5 أم رئم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ ... قلبَ رَهْنٌ بآل زينبَ عاني

. . . القصيدةَ . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهميّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له : إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا أُقِرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكُرَ امرأةً من بني هُصَيْصٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقَنْدَ على أهل عَدَنَ !

قال الزبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني عَمِّي عِمران بن عبد العزيز قال : شبّب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها : [من الخفيف]

لا تلوما في آل زينب إنّ الـ ... قلبَ رهنٌ بآل زينبَ عاني

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهدٌ عليك .

قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عذَلَ ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره ؛ فقال عُمر : [من الخفيف]

لا تَلُمْني عتيقُ حَسْبِي الذي بي ... إنّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني

لا تلمني وأنت زيّنتها لي ... .

قال : فبدَره ابن أبي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربِّ البيتِ قلتُه . فقال ابن أبي عتيق : إنّ شيطانك وربِّ القبر[1] ربّما ألَمَّ بي ، فيَجِدُ عندي من عِصيانه خلافَ ما يجد عندك من طاعته ، فيُصِيبُ منّي وأُصيبُ منه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرة ، فلمّا كنت بسَرِفٍ[2] لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلَّم عليّ . فقلت له : إلى أينَ أَراك متوجِّهاً يا أبا الخطَّاب ؟ فقال : ذُكِرَتْ لي امرأةٌ من قومي بَرْزَةُ الجمال ، فأردت الحديث معها . فقلت : هل علمت أنّها أُختي ؟ فقال : لا ! واستحيا وثَنى عُنُقَ فرسه راجعاً إلى مكّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط بن

---

1 يعني قبر الرسول ﷺ .

2 سرف : موضع قريب من مكّة .

بكر المُحاربيّ قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر[1] : [من الطويل]

صوت

مَنْ لسَقيمٍ يكتُم الناسَ ما بـه لزينبَ نَجْوى صدرِه والوَساوِسُ
أقولُ لمن يَبْغِي الشِّفاءَ متى تجيء بزينبَ تُدرِكْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ
فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمِي بها فإنّيَ مـن طِـبِّ الأطبَّاء آيسُ
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدار مجلساً لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِسُ
فلمـا بَـدَتْ قَمْراؤُه وتَكشَّفَتْ دُجُنَّتُه وغـابَ مَنْ هو حارِسُ
ومـا نِلتُ منها مَحْرَماً غير أنّنا كِلانا مـن الثوبِ المورَّدِ لابِسُ
نَجيَّيْنِ نَقْضِي اللهوَ في غير مَأْثمٍ وإن رَغِمَتْ مِ الكاشِحِينَ المَعاطِسُ

قال : فقال ابنُ أبي عتيق : أمِنَّا يسخَرُ ابن أبي ربيعة فأيُّ مَحْرَم بقيَ ؟ ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ ، ألم تُخْبرني أنّك ما أتيتَ حراماً قطُّ ؟ قال بلى ! قال : فأخبِرني عن قولك : [من الطويل]

كِلانـا من الثَّوْبِ المورَّد لابسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأخبِرنّك ! خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ تريده ، فالتقينا فاتّعدْنا لبعض الشِّعاب ، فلمّا توسَّطْنا الشِّعْبَ أخذتْنا السماء ، فكرِهتُ أن يُرى بثيابها بَللُ المطر ، فيقال لها : ألا استترتِ بسَقائِف المسجد أن كنتِ فيه ، فأمرتُ غِلماني فستَرونا بكِساء خَزٍّ كان عليّ ؛ فذلك حين أقول :

كلانا مِنَ الثوب المَطارفِ لابسُ[2]

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهِرُ ، هذا البيت يحتاج إلى حاضِنة !

الغناء في هذه الأبيات التي أوّلها : [من الطويل]

مَنْ لِسَقِيم يكتُم النّاسَ ما بـه

لِرَذاذٍ ثقيلٌ أوّلُ ؛ وكان بعض المحدَثين ممّن شاهدناه يدّعي أنّه له ، ولم يُصَدِّق .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوان عمر : 217 .
2 الثوب في ل : من اثواب .
3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينبَ الإعراضُ ... للتعدّي وما بها الإبغاضُ[1]

ووَليدَيْنِ كان عُلِّقَها القلـ ... ـبُ إلى أن علا الرؤوسَ بياضُ[2]

حبلُها عندَنا متينٌ وحَبْلي ... عندها واهِنُ القُوى أنْقاضُ

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو . وقال الهشاميّ : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساء عندي نصيباً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتَ لها بالمودّة ، وللنساء بالدّهفشة . قال : والدّهفشة : التّجْميشُ والخديعة بالشيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهقشة ، مكان الدهفشة .

وممّا قاله عمر في زينب وغُنِّيَ فيه قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الكاشِحُ المعيِّر بالصُّرْ ... مِ تَزَحْزَحْ فما لها الهِجْرانُ

لا مُطاعٌ في آل زينبَ فارجعْ ... أو تَكلَّمْ حتّى يَمَلَّ اللِّسانُ

نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمْسي ... ثم يُخْفِي حديثَنا الكِتْمانُ

كيفَ صَبْري عن بعضِ نَفْسي وهل يَصْـ ... ـبِرُ عن بعضِ نفسه الإنسانُ !

ولقد أشهَدُ المحدَّثَ عند الـ ... ـقَصْرِ فيه تَعفُّفٌ وبَيانُ

في زمانٍ من المعيشة لَدْنٍ ... قد مضى عَصْرُه وهذا زمانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرٍو ودنانير . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لابن مُحرز ولحناً لابن عباد الكاتب ، أوّل لحن ابن عبّاد الكاتب :

لا مُطاعٌ في آل زينبَ . . . .

وأوّل لحن ابن مُحرِز :

ولقد أشهد المحدَّث . . . .

---

1 وما بها في د : وما بنا .

2 بياض في د : البياض .

3 ديوان عمر : 420–421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

وممّا غُنِّيَ فيه لابن مُحرِز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله[1] : [من المنسرح]

صوت

يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ يَهْذِي بخَودٍ مريضةِ النَّظَرِ
تمشي الهُوَينا إذا مشَتْ فُضُلاً وهْيَ كمِثْلِ العُسْلُوجِ في الشَّجَرِ[2]

للغَريض في هذين البيتين خَفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحبش : [من المنسرح]

ما زالَ طَرْفِي يَحارُ إذ بَرَزَتْ حتى رأيتُ النقصانَ في بَصَرِي
أبصرتُها ليلةً ونسْوَتَها يمشِين بين المَقامِ والحَجَرِ
ما إن طمِعْنا بها ولا طَمِعَتْ حتّى التقينا ليلاً على قَدرِ
بيضاً حساناً خَرائِداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيَة البقرِ
قَد فُزْنَ بالحسن والجمال معاً وفُزْنَ رِسْلاً بالدَّلِّ والخَفَرِ
يُنْصِتْنَ يوماً لها إذا نطقتْ كيْماً يُشَرِّفْنَها على البَشَرِ
قالت لتِرْبٍ لها تُحَدِّثها لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمرِ
قُومي تَصَدَّي له ليعرفَنا ثم اغمزِيه يا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبَطَرَّتْ تَسعى على أَثَري[3]
من يُسْقَ بعد المنام ريقتها يُسْقَ بمِسْكٍ وباردٍ خَصِرِ[4]

[غنّى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه ابن سريج رَمَلاً بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَش] .

[ومنها][5] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا يا بَكْرُ قد طَرَقا خيالٌ هاج لي أَرقا[6]

---

1 ديوان عمر : 68–69 .
2 فضلاً في ل : قطفاً .
3 اسبطرت : أسرعت .
4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى بريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .
5 ديوان عمر : 269–270 .
6 أرقا في د : الأرقا .

لزينـب إنّهـا همّـي فكيفَ بحبلِهـا خلَقا
خَدَلَّجـةٌ إذا انصرفتْ رأيـتَ وِشاحَهـا قَلِقا
وساقـاً تَمْـلأُ الخَلْخا لَ فيـه تَـراه مُختَنِقا
إذا مـا زينبٌ ذُكِرَتْ سكَبتُ الدمـع مُتَّسِقا
كأنّ سحابـةً تَهْمِـي بمـاءٍ حُمِّلَـتْ غَدَقا

الغناء لحُنَين رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن عبّاد خفيف ثقيل ، ويقال : إنّه ليونس . وممّا قاله [فيها] أيضاً وغُنِّيَ فيه : [من البسيط]

صوت[1]

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قـد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرَّحيلُ غَدا[2]
قـد حَلَفتْ ليلةَ الصَّوْرَيْنِ جاهدة وما على المرءِ إلاّ الحلْفُ مجتهِدا
لأُختهـا ولأُخرى من مَناصِفِها لقد وجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[3]
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اختير صَفْوُهُمُ شخصاً من الناس لم أَعدِلْ به أحدا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبَّابة والبنصر في الأوّل والثاني عن يحيى المكّيّ ، وله فيه أيضاً خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو ، ولِمَعْبد ثقيلٌ أوّل في الأوّل والثاني عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى الغريض ومالك .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن مصعب الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقْن إليه وتمنَّيْنَه . فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ؛ فبعث إليه رسولاً أنْ يُوافي الصَّوْرَيْن[4] ليلةً سمّتها ، فوافاهنَّ على رواحِلِه ، فحدَّثهنَّ حتى طلع الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكنّي لا أَخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال في ذلك :

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدّمة .

[عود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال : أنشَد جرير قول عمر بن

1 ديوان عمر : 109 .
2 أفد : قرب ودنا .
3 المناصف : الخدم .
4 الصوران : موضع ببقيع المدينة .

أبي ربيعة[1] : [من الخفيف]

صوت

سائلا الربعَ بالبُليِّ وقُولا هِجْتَ شوقاً لِيَ الغَداةَ طويلا[2]
أين حَيٌّ حَلُّوكَ إذ أنتَ مَحْفُو فٌ بهم آهِلٌ أراكَ جَمِيلا ؟
قال سارُوا فأَمْعَنُوا واسْتَقَلُّوا وبرَغْمي لَوِ استطعتُ سبيلا
سئمونا وما سئمنا مُقاماً وأحبُّوا دَماثةً وسُهُولا

فقال جرير : إنّ هذا الذي كنّا نَدُورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشيّ . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسَّبَّابة في مجرى الوُسطى ، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أنّ فيها رَمَلاً ثالثاً بالوُسطى لابن جامع . وقال الهشاميّ : فيها ثلاثة أرمال لابن سُريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العَنْبَس بن حمدون فيها ثاني ثقيلٍ . وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال : وجدتُ كتاباً بخطّ محمد بن الحسن ذُكِر فيه أنّ فُليح بن إسماعيل حدّثه عن معاذٍ صاحب الهَرَويّ أنّ النُّصَيب قال : عمر بن أبي ربيعة أَوصَفُنا لرَبَّاتِ الحِجال .

أخبرني الطوسيّ : قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَمْياءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب قالت : سمعت جَدَّك[3] يقول وقد أُنْشِد قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

صوت

يا ليتني قد أَجزْتُ الحبلَ نَحْوَكُمُ حَبْلَ الُمعَرَّفِ أو جاوزت ذا عُشَرِ
إنّ الثَّواءَ بأرضٍ لا أراكِ بها فاسْتَيقِنيه ثَواءٌ حَقٌّ ذِي كَدَرِ
وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ وما ذكرتُكِ إلاّ ظِلْتُ كالسَّدِرِ[5]
ولا جَذِلتُ بشيءٍ كان بعدَكُمُ ولا مَنَحْتُ سِواكِ الحبَّ من بَشَرِ

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسَلاَّم بن الغَسَّاني رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وقَفَا النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .
2 البليّ : اسم تلّ .
3 ل : خالي .
4 ديوان عمر : 145 .
5 السدر : المتحير .

الأبيات : [من البسيط]

أَدرِي الدموعَ كذي سُقْمٍ يُخامِرُه وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ
قد ذكرتُكِ لو أَجْدى تذكُّرُكُمْ يـا أشبهَ الناسِ كلِّ الناسِ بالقمرِ

قالت : فقال جَدّك : إنّ لشعرِ عمر بن أبي ربيعة لَموقِعاً في القلب ، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعرٌ يَسْحَرُ لكان شعرُه سحراً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عِمامةُ بن عمر[1] قال : رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عُروة بن الزبير يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فجعل يذكُر له شيئاً لا يعرفه ، فيسأله أن يُكْتِبه إيّاه فيفعل ، فرأيته يكتب ويدُه تُرعَد من الفرح .

[مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون عن عمّه يوسف قال : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتِيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبُنا ، يعني الحارث بن خالد ، أشعرهُما . فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابن أخي ، لِشعْرِ عمر بن أبي ربيعة لَوْطَةٌ[2] في القلب ، وعُلُوقٌ بالنفس ، ودَرَكٌ للحاجة ليست لشعْرٍ ، وما عُصيَ الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصيَ بشعر ابن أبي ربيعة ، فخُذْ عنّي ما أصِفُ لك : أشعرُ قريش مَنْ دقّ معناه ، ولُطف مَدخلُه ، وسَهُل مَخرجه ، ومتُن حَشوه ، وتعطّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعربَ عن حاجته . فقال المفضّل للحارث : أليس صاحبُنا الذي يقول[3] : [من الكامل]

إنِّي ومـا نَحَرُوا غَداةَ مِنًى عنـد الجِمار يؤودها العقْلُ[4]
لـو بُدِّلَـتْ أعلَـى مساكِنِها سُفْلاً وأصبـح سُفْلُها يَعْلُو
فَيَكـادُ يعرِفهـا الخَبيرُ بهـا فيرُدُّه الإقْـواءُ والمَحْـلُ[5]
لعَرَفْتُ مَغْناها بمـا احتمَلَتْ منِّـي الضلـوعُ لأهلهـا قَبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استُرْ على نفسك ، واكتُمْ على صاحبك ، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا ؛ أما تَطَيَّر الحارث عليها حين قلَبَ ربعَها فجعل عاليَه سافلَه ! ما بقي إلاّ أن

1 ل : عمرو .
2 لوطة : التلّق والتصاق ؛ ويقال : نوطة والمعنى واحد .
3 ديوان الحارث 77–78 .
4 يؤودها : يثقلها .
5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسألَ الله تبرَك وتعالى لها حجارةً من سِجِّيلٍ . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربع من صاحبك ، وأجمل مخاطبة حيث يقول : [من الخفيف]

سائلا الربعَ بالبُلِيِّ وقولا هِجْتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خَجِلاً مُذْعِناً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقّب بالقباع]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق عن رجاله المسمَّيْنَ ، وأخبرني به الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديّناً من سَرَوات قريش ؛ وإنّما لُقِّب القُباعَ لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّاه البصرة ، فرأى مكيالاً لهم فقال : إنّ مكيالكم هذا لقُباعٌ ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلُقِّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهلَّبي قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدّثنا خالد بن سعيد قال : استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لَقُباعٌ ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدُؤَليّ ، وقد عتَب عليه ، يهجوه ويُخاطب ابن الزبير : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين جُزيتَ خيراً أرِحْنا من قُباعِ بني المُغيرَهْ

بَلَوْناه ولُمناه فأعْيا علينا ما يُمِرُّ لنا مَريرَهْ

على أنّ الفتى نِكْحٌ أكولٌ وَوَلّاجٌ مذاهبُه كثيرَهْ

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبلَ منه ، فأعطاه ألف دينار على ألّا يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلَحْجٍ وأَبْيَنَ[1] مخافة أن يَهيجَه مُقامُه بمكة على قول الشعر . فطَرِب يوماً فقال[2] : [من البسيط]

صوت

هيهاتَ من أَمَةِ الوَهّاب منزلُنا إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ[3]

---

1 لحج وأبين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413–414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلّ أهلُكِ أَجْيـاداً وليس لنا ... إلاّ التذكُّرُ أو حـظٌّ مِنْ الحَزَنِ[1]
لـو أنّها أبصرتْ بالجَزْع عَبْرَتَه ... من أنْ يُغَـرِّد قُمْرِيٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غير مـا ظَنَّتْ بصاحبها ... وأيقنتْ أنّ لَحْجاً ليس من وَطَني
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... وموقفي وكلانـا ثَـمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للثُّرَيَّـا وهـي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدّين ذو سُنُنِ[2]
بـالله قُـولي لـه في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفِرْتَ بها ... فما أخذتَ بتَرْك الحجّ من ثمنِ[3]

قال : فسارتِ القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فَتك وغدَر . قال : وقال ابن جُرَيج[4] : ما ظننتُ أنّ الله عزّ وجلّ ينفَع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشداً يُنشد قوله : [من البسيط]

بالله قـولي لـه في غير معتبـة ... ماذا أردتَ بطول المكث في اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذتَ بترك الحجّ من ثمنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكّة ، فخرجتُ مع الحاجِّ وحَججت .

غَنَّى في أبيات عمرَ هذه ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالبِنصر في مجراها عن إسحاق . وفيها للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[عمر مع الوليد يعرِّفه أحوال الطائف]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان قال حدّثني إسحاق عن السعدي[5] قال : قَدِم الوليد بن عبد الملك مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رَجُلٍ علمٌ بأموال الطائف فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمرُ بن أبي ربيعة . قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه لـه ثمّ ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمرُ رداءه ليُصلحه على كتفه ، فرأى على مَنكِبه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالةٍ من عند جارية أُخرى ، فجعلتْ تُسارُّني ، فغارت التي كنت أُحدّثها فعضَّت مَنكبي ؛ فما وجدتُ أَلَم عَضِّها من لذّة ما كانت تلك تَنفُث

1 أجياد : مكان بمكّة .
2 سنن : طرق .
3 ظفرت في ل : رضيت .
4 ل : ابن جرير .
5 ل : السعيدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنتَ تُضحِكُ أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زِلنا في حديث الزِّنا حتى رجَعنا .

[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكريّ وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه قال : دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحِق ؛ فإنّه لَمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَن أَشعرُ : صاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفلٌ : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبُنا[1] : [من الطويل]

خليليَّ ما بالُ المَطايا كأنّما ... نَراها على الأَدْبارِ بالقومِ تَنْكُصُ

وقد قُطِعَتْ أعناقُهنّ صَبابةً ... فأنفُسُنا مّما يُلاقِينَ شُخَّصُ

وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانتحى ... بهِنّ فما يَأْلُو عَجولٌ مُقَلِّصُ[2]

يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شَوْقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ . فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشعرُ في الغَزَل ، وصاحبنا أكثر أَفانِينَ شعرٍ . فقال سعيد : صدقتَ . فلمّا انقضى ما بينهما من ذِكر الشعر ، جعل سَعيدٌ يستغفر الله ويَعْقِد بيده حتى وفَّى مائةً . فقال البَكريّ في حديثه عن عبد الجبَّار ، قال مُسلِم : فلمّا انصرفنا قلت لنوفل : أتُراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاَّ هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه .

[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عَوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثَّقَفيّ : أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قولُ جَميلٍ[3] : [من الطويل]

يموتُ الهوى منّي إذا ما لَقِيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

1 ديوان عمر : 218 .

2 مقلّص : مشمّر ثيابه .

3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .

4 ديوان عمر : 100 .

كأنَّني حينَ أُمْسِي لا تُكلِّمُني ذو بُغْيةٍ يَبْتَغِي ما ليس موجودا

فقال الوليد : حسبُك والله بهذا ! أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال : وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يـا أبا الحارثِ قلبـي طائـرٌ فأْتَمِـرْ أمـرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال : شهِدتُ عمرَ بن أبي ربيعة ، وجميل بن عبد الله بن معمر العُذْرِيّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطَح ؛ فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

لقَد فَرِحَ الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حبلي بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقولون مَهْلاً يـا جميـلُ وإنَّني لأُقْسِمُ مـالي عـن بُثَيْنَةَ من مَهْلِ

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطَّاب ، هل قلت في هذا الرَّوِيّ شيئاً ؟ قال نعم . قال : فأنْشِدْنِيه ؛ فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقرَّبني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي[3]

فطارتْ بحَدٍّ من فؤادي وقارنت قرينتُها حبـلَ الصَّفاء إلى حبلي[4]

فلمّا تواقَفنـا عرفـتُ الذي بها كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ

فقُلْـنَ لهـا هـذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ ألَمَّا تَسْأمي مَركَبَ البَغْلِ

فقالتْ فما شِئتُنّ قلن لهـا انزلي فَلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ

نُجـومٌ دَراريٌّ تَكَنَّفْنَ صـورةً من البدر وافت غيرُ هُوجٍ ولا عُجْلِ

فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفَةَ أن يَرى عدوٌّ مُقامِي أو يـرى كاشحٌ فِعْلِي

فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنّما معي فَتَكَلَّمْ غيرَ ذي رِقْبَـةٍ أَهْلِي

فقلتُ لهـا مـا بي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُـه مثلي

فلمّا اقتصرْنـا دونهـنّ حديثَنا وهُنّ طَبِيباتٌ بحاجة ذي الشِّكْلِ[5]

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان عمر : 293–294 .

3 الحصاب أو المحصب : موضع رمي الجمار .

4 فؤادي في ل : سهامي .

5 الشكل : الدلّ .

عَرَفْنَ الذي تَهْوى فقلن ٱئذَنّي لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ[1]
فقالـتْ فـلا تَلْبَثْنَ قُلْـنَ تَحَدَّثي ... أتيناكِ ، وانْسَبْنَ انسِيابَ مَها الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقـد أفهمْـنَ ذا اللُّبِّ أنّما ... أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ من ذاك من أَجْلِي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيسَ الليالي[2] ، والله ما يُخاطب النساء مخاطبتك أحدٌ . وقام مُشمِّراً .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمّي مُصعب : كان عمر يُعارض جميلاً ؛ فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها . فيقال : إنّه في الرائية والعَيْنيّة أشعرُ من جميل ، وإنّ جميلاً أشعر منه في اللاّميّة ، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً ؛ قال جميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

وقال عمر : [من الطويل]

فقالت وأرختْ جانبَ السِّتْرِ إنّما ... معي فتكلّم غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي

[حين سمع الفرزدق بيتاً لعمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفّان عن إسحاق عن المدائنيّ قال : سمِع الفرزدقُ عمر بن أبي ربيعة يُنْشد قوله : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها ... فقرّبني يوم الحِصابِ إلى قتلي

[ولمّا بلغ قوله : [من الطويل]

فَقُمْنَ وقد أفهمنَ ذا اللبّ أنّما ... أَتَيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي]

صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته ، وبكتْ على الديار .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر ، واستنشده ما له في وزنها : [من الطويل]

صوت

خليـلَيَّ فيمـا عشْتُما هـل رأيتُما ... قتيلاً بكـى مـن حبِّ قاتِله قبلي
أَبيتُ مـع الهُلاَّكِ ضيفاً لأهلِها ... وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ[3]

---

1 تهوى قد تقرأ : نهوى .
2 سجيس الليالي : أبد الدهر .
3 الهلاّك : المتسوّلون أو طالبو المعروف .

أَفِقْ أيّها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجَهْلِ ودَعْ عنك «جُمْلاً» لا سبيلَ إلى جُمْلِ
فلو تَرَكَتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكنْ طِلابِيها لِما فات من عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأوّل والثاني من الأبيات . وذكر الهشاميّ الأبيات كلَّها ووصف أنّ الثقيل الثاني الذي يُغَنَّى به فيها لمعبد . وذكر يحيى المكّي : أنّ لابن مُحرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخِنصر والبِنصر . وفي هذه الأبيات التي أوّلها الثالث هزج بالبِنصر يَمانٍ عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طُنبورةَ خفيف رَمَلٍ عن الهشاميّ . وفيها لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً . وذكر حمّادٌ عن أبيه : أنّ لنافع الخَيْرِ مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً ، ولم يُجَنِّسْه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الأوّل لابن طُنبورة .

ومنها في شعر جميل أيضاً : [من الطويل]

صوت

لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرَمتْ حبلي بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البخلِ
فلوْ تركتْ عقلي ما طلبتُها ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أوّل الخبر : [من الطويل]

صوت

فقالت وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما معي فتحدّثْ غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من تَرقُّبٍ ولكنّ سرِّي ليس يحمله مثلي
جرى ناصحٌ بالوُدّ بيني وبينها فقرَّبني يوم الحِصاب إلى قتلِ

غنّى في هذه الأبيات ابن سُريج ، ولحنه رَمَلٌ مُطلَقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر يونس : أنّ فيه لحناً لمالكٍ لم يُجَنِّسه ، وذكر الهشاميّ : أنّ لحنَ مالك خفيف ثقيل . وذكر حبشٌ : أنّ لمعبد فيه لحناً من الثَّقيل الأوّل بالبِنصر ، ولابن سُريج ثاني ثقيل بالوسطى . [وليس حبشٌ ممّن يُعتمد في هذا على روايته] .

[رأي مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : أدركتُ مَشيخة من قريش لا يزِنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلّي بمودّته ، والابتيار في شعره . والابتيار : أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل .

[نقد ابن أبي عتيق أبياتاً لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله[1] : [من الرمل]

صوت

بينمـــا يَنعَتْنَنـــي أَبصَرْنَنـــي ... دونَ قِيدِ المِيلِ يَعْدُو بي الأَغَرّ

قالتِ الكبرى أتَعْرِفْـنَ الفَتى ... قالتِ الوُسْطى نعمْ هـذا عمرْ

قالــت الصغرى وقــد تَيَّمْتُها ... قد عرفناه وهــل يَخفَى القمرْ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُريج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدها ، أنت لم تَنسُب بها ، وإنّما نَسَبْتَ بنفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ خَدِّي فوَطِئتْ عليه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : لم يذهب على أحدٍ من الرواة أنّ عمر كان عفيفاً يَصِف ولا يقف[2] ، ويَحوم ولا يَرِد .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابيّ ، وحدّثني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق المَوصليّ عن رجاله ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلمّا انصرف من الحجّ أَلْفَى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمرُ فسلَّم عليه وجلس إليه . فقال له : أنشِدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلّ ما قلتُ وهما لك . قال : ائتني بهما ففعل ؛ فأنشداه قوله : [من الطويل]

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فطرب الوليدُ واهتزّ لذلك ، فلم يزالا يُنشدانه حتى قام ، فأجزل صلتَه ورَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مميّزات شعر عمر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقّب «كِيلَجَةَ» قال حدّثني أبو هفّان قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصعب بن عبد الله الزبيريّ ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب أنّه قال : راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس

---

1 ديوان عمر : 174 .

2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدّة الأَسْر ، وحُسن الوصف ، ودقّة المعنى ، وصواب المَصْدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وإنطاق القلب ، وحُسْن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفّة المقال ، وقلّة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشكّ في موضع اليقين ، وطُلاوة الاعتذار ، وفَتْح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المَساءة على العُذّال ، وحُسْن التفَجُّع ، وبَخّل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصَّفاء ؛ إن قَدَح أَورى ، وإن اعتذر أَبرا ، وإن تَشَكَّى أَشْجى ، وأَقدم عن خِبرة ولم يعتذر بغِرَّة ، وأَسَر النوم ، وغَمَّ الطَّير ، وأَغَذ السَّير ، وحيَّر ماءَ الشباب ، وسهَّل وقَوَّل ، وقاس الهوى فأَربى ، وعَصى وأَخْلى وحالف بسَمعه وطرْفِه ، وأَبْرَم نَعْتَ الرسل وحَذّر ، وأعلن الحبَّ وأَسَرّ ، وبطَن به وأَظْهَر ، وأَلَحَّ وأَسَفَّ ، وأَنْكَح النومَ ، وجَنى الحديثَ ، وضربَ ظهره لبَطْنِه ، وأذلَّ صعبَه ، وقَنِع بالرَّجاء من الوفاء ، وأَعلى قاتِلَه ، واستبكى عاذِله ، ونفَّض النوم ، وأَغْلَق رَهْن مِنًى ، وأَهْدَر قَتلاه ؛ وكان بعد هذا كلِّه فَصِيحا .

فمن سُهولة شعرِه وشِدّة أَسْرِه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

فلمّا تَواقَفْنا وسلّمتُ أشرقَتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تَتَقَنَّعا
تَبالَهْـنَ بالعِرْفـان لَمّا رأينَنِي وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجَنَّس عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قولُه[2] : [من البسيط]

لها مـن الرِّيـم عيناه وسُنَّتُهُ ونَخوةُ السابق المُخْتال إذ صَهَلا[3]

ومن دقّة معناه وصواب مصدره قولُه[4] : [من السريع]

صوت

عُوجـا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلا والرَّبْعَ مِـنْ أسمـاء والمنزلا
بسابِـغِ البَوْبـاةِ لم يَعـدُه تَقـادُمُ العهـدِ بـأن يُؤْهَلا[5]

---

1 ديوان عمر : 228 .
2 ديوان عمر : 308 .
3 سنته في رواية : ولفتته .
4 ديوان عمر : 310 .
5 البوباة : الفلاة .

الغناء لابن سُريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعني أنّه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيّين : يُحيِّيه بأن يَؤْهَل ، أي يدعو له بذلك .

ومن قصده للحاجة قولُه[1] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْـرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ[2]

هي شاميّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْـلٌ إذا استقلَّ يَماني

ويُروى : «هي غوريَّة» . الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكّي .

ومن استنطاقه الربعَ قوله : [من الخفيف]

صوت

سائِلا الرَّبْعَ بالبُلَيِّ وقُولا ... هِجتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو ... فٌ بهم آهـلٌ أراكَ جميلا

قال ساروا فأمعَنوا واستقلُّوا ... وبِرَغْمِي لو قد وجدتُ سبيلا

ويروى : ... وبكُرهِي لَـو آستطعتُ سبيلا

سئِمُونا ومـا سَئِمْنا جِواراً ... وأحبُّـوا دَماثَـةً وسُهـولا

فيه رَمَلان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر ، وفيه لأبي العَنْبس ابن حمدون ثاني ثقيل . وقد شرحتُ نسبتَه مع خبره في موضع آخر . قال إسحاق : أُنشِدَ جريرٌ هذه الأبيات فقال : إنّ هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطاقه القلب قولُه[3] : [من المديد]

قال لي فيهـا عَتِيقٌ مقالاً ... فجرتْ ممّـا يقولُ الدموعُ

قال لي وَدِّعْ سُلَيْمى ودَعْها ... فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ

الغناء للهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . قال : وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوّل نُسِبَ إلى مَعْبَد وهو من مَنحوله .

---

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

ومن حسن عَزائه قولُه[1] : [من الطويل]

أألحقُّ إنْ دارُ الرَّبـاب تباعدتْ ... أو انْبَتَّ حبـلٌ أنّ قلبَك طائرُ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ... ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ[2]
زعِ النفسَ واستبقِ الحياءَ فإنّما ... تُباعِدُ أو تُدني الرَّبـابَ المَقادِرُ[3]
أمِتْ حُبَّها واجعل قَدِيمَ وِصالِها ... وعِشْرَتِها كمثـل مَـن لا تُعاشِرُ
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... بـه الدارُ أو مَـنْ غيَّبتْه المقابرُ
وكالناسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكن ... أحاديثَ مَنْ يَبْدُو ومن هو حاضرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوّلُه «زَعِ النفسَ» لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لعمرَ الواديِّ رملٌ بالبنصر عن ابن المكّي . وفيه لـ«قُدارٍ» لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مُجَنَّس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكُثَيِّر[4] ، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسديّ ، وذكر بعضها الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة لكُثَيِّر في أخباره ؛ [ولكلّ فيها أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة[5] النساء ، قال مُصعب الزبيري : وقد أجمع أهلُ بلدنا ممّن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا ؛ قوله[6] : [من المتقارب]

صوت

تقولُ غَـداةَ التَقَيْنا الرَّبـابُ ... أيـاذا أَفَلْـتَ أفـولَ السِّماكِ
وكَفَّـتْ سوابـقَ مـن عَبْرةٍ ... كما ارفَضَّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاكِ
فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديقِ ... أعـداءَه يَجْتَنِبْـه كذاكِ
أغَـرَّكِ أنّي عصَيتُ المَلامَ ... فيـكِ وأنّ هوانـا هـواكِ
وألاّ أرى لَـذَّةً في الحيـاةِ ... تَقَـرُّ بهـا العينُ حتـى أراكِ
فكان من الذنـب لي عندكم ... مُكارَمَتِـي واتِّباعـي رِضاكِ

---

1 ديوان عمر : 133 .
2 بالرجال في ل : بالرحيل .
3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .
4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .
5 ل : مخاطبته .
6 ديوان عمر : 287 .

فليـــتَ الذي لامَ في حُبّكم وفي أن تُزاري بقَــرْنٍ وَقاكِ[1]
هُمُـــومَ الحيــاة واسقامَهــا وإن كان حَتْــفٌ جَهيزٌ فَداكِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكَر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحَكَم . وقيل : إنّ فيه لحناً آخر لابن جامع .

ومن عِفّة مقاله قوله[2] : [من الخفيف]

صوت

طالَ لَيْلِي واعتادَنِي اليومَ سُقْمُ وأصابتْ مَقاتِــلَ القلبِ نُعْمُ
حُرَّةُ الوجـهِ والشمائلِ والجو هرِ تكليمُها لمــن نــال غُنْمُ
وحديث بمثلــه تُنْزَلُ العُصْـ ـمُ رَخِيـم يَشُوبُ ذلك حِلْمُ
هكذا وَصْفُ مـا بدا لي منها ليس لي بالــذي تَغَيَّبَ علْمُ
إن تَجُودي أو تَبْخَلي فبحَمْدٍ لستِ يا نُعْمُ فيهما مَــن يُذَمُّ

الغناء لابن سُريج رَمَلٌ عن الهشاميّ .

ومن قلّة انتقاله قوله[3] : [من المديد]

صوت

أيّها القائــلُ غيرَ الصــوابِ أمْسِكِ النُّصْحَ وأَقِلِــلْ عِتابي
واجتَنِبْني واعلَمَنْ أن ستُعْصى ولَخَيْــرٌ لـك طـولُ اجتنابي
إن تَقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غِشٍّ دائِـم الغِمْرِ بعيــدِ الذّهاب[4]
ليس بي عِـيٌّ بمـا قلتَ إنّي عالِـمٌ أفقـهُ رَجْـعَ الجوابِ
إنّمـا قُـرَّةُ عينـي هواهـا فـدَعِ اللّومَ وكِلْني لِمـا بي
لا تَلُمْني في الرَّبابِ وأمستْ عَدَلتْ للنفس بَـرْدَ الشَّراب
هـي واللهِ الذي هـو ربِّـي صادقاً أحلِـفُ غيرَ الكِذابِ
أكـرمُ الأحيـاء طُـرّاً علينا عند قُـرْب منهـمُ واجتنابِ

---

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .
2 ديوان عمر : 374 .
3 ديوان عمر : 60 .
4 الغمر : الحقد .

خاطبتْني ساعــةً وهي تبكي ثم عَزَّتْ خُلَّتي في الخِطابِ[1]
وكفى بي مِدرَهــاً لخصُومٍ لِسواهــا عنــد حَــدِّ تَبابِي[2]

الغناء لكَرْدَمٍ ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مَجرى الوُسطى عن إسحاق في الأوّل والخامس ثم الثاني والثالث . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن يحيى المكيّ .

ومن إثباته الحُجّة قولُه[3] : [من الطويل]

خليليَّ بعضَ اللـوم لا تَرْحَلا بــه رفيقكما حتى تقولا على عِلْمِ[4]
خليليّ مَنْ يَكلف بآخــرَ كالذي كَلِفْتُ بــه يَدمُلْ فؤاداً على سُقْمِ
خليليّ مــا كانت تُصابُ مَقاتِلي ولا غِرَّتي حتى وَقعتُ على نُعْمِ
خليليّ حتى لُــفَّ حَبْلِي بخادِعٍ مُوَقّىً إذا يُرْمى صَيُودٍ إذا يَرْمِي
خليليّ لــو يُرْقَى خليلٌ من الهوى رُقيتُ بما يُدْنِي النَّوارَ من العُصْمِ
خليليّ إن باعدتُ لانَتْ وإن أَلِنْ تُباعِدْ فلم أَنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سَلْمِ

ومن ترجيحه الشكَّ في موضع اليقين قوله[5] : [من الطويل]

صوت

نظرتُ إليهــا بالمُحصَّب مــن مِنًى ولي نظــرٌ لــولا التَّحَــرُّجُ عارِمُ
فقلــتُ : أشمسٌ أم مصابيحُ بيعَــةٍ بدتْ لك خَلْفَ السَّجْف أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْــوى القُـرْطِ إمّــا لَنوْفَلٌ أبوهــا وإمّا عبــدُ شمسٍ وهاشمُ[6]
ومَــدَّ عليها السَّجْفَ يــومَ لَقِيتُها على عَجَــلٍ تُبّاعُهــا والخــوادِمُ
فلــم أَسْتَطِعْها غيرَ أنْ قـد بـدا لنا عَشيّــةَ راحــتْ وجهُهـا والمعاصمُ
مَعاصمُ لم تَضْرِبْ على البَهْم بالضُّحى عَصاهـا ووجــهٌ لم تَلُحْـهُ السَّمائِمُ[7]

---

1 عزّت : بخلت .
2 المدره : القوي الحجّة .
3 ديوان عمر : 357 .
4 لا ترحلا به رفيقكما : لا تثقلا عليه به (أي باللوم) .
5 ديوان عمر : 348-349 .
6 بعيدة مهوى القرط : يعني أنّ عنقها طويل .
7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضار تَـرى فيـه أَساريــع مائــه صَبِيحٌ تُغاديــه الأَكُـفُّ النَّواعمُ[1]
إذا مــا دَعـتْ أترابَهـا فاكتنفْنها تَمايَلْـنَ أو مالـتْ بهـنَّ المآكِمُ
طَلَبـن الصِّبـا حتى إذا مـا أصَبْنه نَزَعْـنَ وهـنّ المُسْلِمـات الظّوالمُ

الغناء لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكّي . وفيها لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومن طُلاوة اعتذاره قولُه[2] : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ بعضُ مـا قد شَجاهُ مِـن حبيبٍ أمسى هَوانـا هواهُ
يـا لقَومــي فكيف أصبرُ عمَّنْ لا تَرى النفسُ طِيبَ عيشٍ سِواهُ
أرسَلـتْ إذ رأتْ بعـاديَ ألاّ يَقْبَلْـنْ بـي مُحَرِّشا إن أتاهُ[3]
دونَ أن يسمَـع المقالـةَ مِنّـا ولْيُطعْنِـي فـإنّ عنـدي رضاهُ
لا تُطِعْ بـي فَدَتْكَ نَفْسِي عدوّاً لحديــثٍ على هَــواهُ افْتَراهُ
لا تُطِعْ بي مَنْ لـو رآني وإيّا كَ أَسِيرَيْ ضَرُورةٍ مــا عَناهُ
ما ضِراري نفسي بهَجْرِيَ مَنْ ليـ ـس مُسيئـاً ولا بعيــداً ثراهُ[4]
واجتنابي بيتَ الحبيبِ وما الخُلْـ ـدُ بأَشْهَى إليَّ مـن أن أراهُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للهُذَليّ . وفيه لابن مُحرزٍ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتداؤه نشيدٌ أوّله : «ما ضراري نفسي» . وقال الهشاميّ : وفيه لعُلَيَّةَ بنتِ المَهديّ وسعيد بن جابر لَحنانِ من الثقيل الثاني .

[ومن نهجه العلل]

ومن نهجه العِلَل قولُه[5] : [من المتقارب]

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .
2 ديوان عمر : 440 .
3 المحرش : المحرض .
4 ثراه في ل : نواه .
5 ديوان عمر : 91 .

وآيـــةُ ذلكِ أنْ تسمَعــي ... إذا جئتُكـــم ناشداً يَنْشُدُ[1]
فرُحْنـا سِراعـاً وراح الهوى ... دليـــلاً إليهـا بنـا يَقْصِدُ
فلمّا دَنَوْنـا لجَرس النُّبـا ... ح والصوتِ ، والحيُّ لم يَرْقُدوا
بَعَثْنـا لهـا باغيـاً ناشداً ... وفي الحـيّ بُغْيَـةُ مـن يَنْشُدُ

وقد نُسبتْ هذه الأبيات إلى مَنْ غَنَّى فيها مع :

تَشِطُّ غـداً دارُ جيراننـا

ومن فتحه الغزلَ قولُه[2] : [من الطويل]

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكُنَّ حجراً من يابس الصَّخْرِ جَلْمَدا

ومن عطفه المساءَة على العُذّال قولُه[3] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبي الذي بي ... إنّ بي يـا عَتِيقُ ما قد كَفاني
لا تَلُمْنــي وأنــت زيَّنْتَها لي ... أنت مثــلُ الشيطان للإنسانِ

الغناء لأبي العَنْبس ابن حمدون ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ من مجموع أغانيه . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مُحْدَث . وفيه هَزَجٌ لأبي عيسى ابن المتوكِّل .

ومن حسن تفجّعه قوله[4] : [من الطويل]

صوت

هَجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْتَرَمْ ... وقَطَّعْتَ من ذي وُدِّكَ الحبلَ فانصرمْ
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ ... مَقالةَ واشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِـنْ نَدَمْ[5]
أتـاني رسولٌ كنـتُ أحسَبُ أنّـه ... شَفِيقٌ علينـا ناصـحٌ كالذي زَعَمْ
فلمّـا تباثَثْنا الحديـثَ وصَرَّحَتْ ... سَرائِرُه عن بعض مـا كان قـد كَتَمْ
تَبَيَّـــنَ لي أنّ المُحَـــرِّشَ كاذبٌ ... فعندي لكِ العُتْبى على رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

1 ناشداً ينشد في رواية : منشداً ينشد .
2 ديوان عمر : 118 .
3 ديوان عمر : 417 .
4 ديوان عمر : 356 .
5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فمِلآنَ لُمْتُ النفسَ بعــد الذي مَضى   وبعــد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قَسَمْ[1]
ظلمْــتَ ولم تُعْتِــبْ وكان رسولُهــا   إليك سريعــاً بالرِّضا لــكَ إذ ظَلَمْ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج لحنان ، وذكر الهشاميّ أنّ لحنَه الآخر ثقيلُ أوّلُ ، وأنّ لعَلُّويَه فيه رملاً آخر .

ومن تبخيله المنازل قوله[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفْتُ مَصيفَ الحيِّ والمُتَرَبَّعا   ببَطْــنِ حُلَيَّــاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا[3]
إلى السَّرْح من وادي المُغَمَّس بُدِّلَتْ   مَعالِمُهــا وَبْــلاً ونَكْبـاءَ زَعْزَعا[4]
فَيَبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعدمـا   نَكَـأْنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومن اختصاره الخبر قوله[5] : [من الطويل]

صوت

أمِــن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ   غَداةَ غــدٍ أم رائــحٌ فمُهَجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها   فتُبلِغَ عــذراً والمقالــةُ تُعذِرُ
أشارت بِمدْراها وقالت لتربها   أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكرُ
لئن كان إيّاه لقــد حال بعدَنا   عن العهد والإنسانُ قـد يَتَغيَّرُ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البِنصر ، وله أيضاً في بيتين آخرين من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمتِني السُّرى   وقــد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المُغَرِّرُ
فقلــتُ أبادِيهــم فإمّــا أفوتُهــم   وإمّــا ينــالُ السَّيفُ ثــأراً فيثأرُ

رَملٌ آخرُ بالوسطى عن عمرو . قال الزبير حدّثني إسحاق الموصلي قال : قلتُ لأعرابيٍّ ما معنى قول ابن أبي ربيعة : [من الطويل]

---

1 فملآن : فمن الآن .
2 ديوان عمر : 227 .
3 حليات : اسم موضع ، لعلّه قرب مكّة .
4 المغمس : موضع قرب مكّة في الطريق إلى الطائف .
5 ديوان عمر 120–127 .

لحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عُـذْراً والمقالـةُ تُعذِرُ

فقال : قام كما جلَس .

ومن صدقه الصفاء قوله[1] : [من الخفيف]

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأُنثى غيرِها وصلُها إليها أداءُ
كلُّ أُنثى وإن دنتْ لوصالٍ أو نأتْ فَهْيَ للرَّباب الفِداءُ

وقوله[2] : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبِّكِ مَـن لم يكنْ صَفِيّاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبـذُلُ مـالي لَمرْضاتِكم وأُعْتِبُ مَـنْ جاءكم عاتبا
وأرغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن إلى وُدّه قبلَكـم راغبـا
ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ من الأرضِ واعتزلتْ جانِبا
لَيَمَّمْـتُ طِيَّتَهـا إنّنـي أرى قُربَها العجبَ العاجِبا

الغناء لابن القَفَّاص رملٌ عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وفيه للرَّبَعيِّ لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مُجَنَّس .

ومما قَدَحَ فيه فأورَى قوله[3] : [من الرمل]

صوت

طالَ لَيْلِـي وتَعَنَّاني الطَّرَبْ واعتراني طـولُ هَمٍّ ووَصَبْ
أرْسلَتْ أسمـاءُ في مَعْتَبةٍ عَتَبَتْها وهي أحلى مَنْ عَتَبْ
أنْ أتـى منهـا رسولٌ مَوْهِناً وجَـد الحـيَّ نيامـاً فانقلبْ
ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ بـه أحـدٌ يفتح بابـاً إذ ضَرَبْ
قـال : أيقـاظٌ ، ولكن حاجةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ منّا فاحتجبْ
ولَعَمْـــداً ردَّني ، فاجتَهـدَتْ بِيَمِينٍ حَلْفَـةً عنـد الغضبْ

1 ديوان عمر : 14 .
2 ديوان عمر : 66 .
3 ديوانه 28–29 .

يَشهَد الرحمـــنُ لا يجمعُنا سَقْفُ بيتٍ رَجَباً بعد رجبْ
قلــتُ حِـلاًّ فاقْبَلي مَعْذِرتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أحبّ
إنّ كفَّـــيَّ لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فاقْبَلي يا هندُ ، قالت قد وجَبْ

الغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمعبدٍ لحن من كتاب يونس لم يُجنِّسه ، وذكر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشاميّ .

قال مَن حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايتُهُ التي رواها عليُّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن رجاله والحرميُّ عن الزبير عن عمِّه : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها . ثم وعدته أن تزوره ، فتأهّب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته[1] عينُه فنام ، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه ؛ فلم تَلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها ، فوقفت حَجرَةً[2] وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ . فقالت لها : تطلَّعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مُضطجعٌ وإلى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حَوْلا ؛ فقال في ذلك : [من الرمل]

طال ليلي وتَعَنّاني الطَّرَبْ

قال أبو هَفَّان في حديثه : وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جَزْلَةً[3] من النساء ، فصدَقَتْها عن قصَّته وحلفت لها أنّه لم يكن عنده إلاّ جاريته ، فرضيت . وإيّاها يَعني عمر بقوله : [من الرمل]

فأتتهـا طَبَّـةٌ عالمـــةٌ تَخلِطُ الجِـدَّ مِـراراً باللَّعِبْ
تُغْلِظُ القولَ إذا لانــتْ لها وتُراخي عندَ سَوْراتِ الغضبْ
لم تَـزَلْ تَصْرِفُها عن رأيها وتأنَّاهــا برِفْـــقٍ وأدبْ

قال إسحاق في خبره : وحدّثني ابن كُناسَةَ قال أخبرني حَمَّاد الراوية قال : استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعادني إلاّ قصيدة عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

طال لَيلي وتعنَّاني الطربْ

---

1 ل : حملته .
2 حجرة : ناحية .
3 جزلة : عاقلة .

فلمّا أنشدته قوله : [من الرمل]

فأتتْهــــا طَبَّـــــةٌ عالمَــــةٌ تَخلِطُ الجِــدّ مِـراراً باللّعِبْ

إلى قوله :

إنّ كفّـــي لكِ رَهْـنٌ بالرِّضا فاقبَلي يا أُخت قالت قد وجبْ[1]

فقال الوليد : وَيْحَكَ يا حَمَّاد ! أُطلُبْ لي مثلَ هذه أُرسِلها إلى سلمى . يعني امرأته سلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلّقها ليتزوّج أُختَها ثم تَتَبَّعَتْها[2] نفسُه .

قال إسحاق وحدّثني جماعة منهم الحرميُّ والزبيريُّ وغيرهما : أنّ عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ؛ فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتِل عثمان في صفة قَوَّادتِك هذه يدبّر أمورَهم فما يجدونه ! .

رَجْعٌ إلى خبر عمر الطويل

قالوا : ومن شعره الذي اعتذرَ فيه فأبرأ قوله[3] : [من الخفيف]

فالتقينا فَرَحَّبَتْ حــين سلّمـ ـتُ وكَفّتْ دمعاً من العين مارا[4]

ثــم قالــتْ عنـد العِتابِ رَأَيْنا منـكَ عنّـا تَجَلُّـداً وازوِرارا

قلتُ كلاّ لاهِ ابنُ عمِّك بل خِفْـ ـنا أُمـوراً كنّـــا بهـا أَغْمارا[5]

فجعلنـا الصُّدُودَ لَمّـا خَشينا قالـةَ النـاسِ للهــوى أَسْتارا

ليس كالعهــد إذ عَهدْتِ ولكن أوقـدَ الناسُ بالنميمــة نــارا

[فلِذاكِ الإعراضُ عنكِ وما آ ثَرَ قلبي عليكِ أُخْرى اختيارا]

مـا أُبـالي إذا النّـوى قَرَّبَتْكم فدنَوْتُم مَنْ حَـلَّ أو مَـنْ سارا

فالليـالي إذا نَـأَيــتِ طِـوالٌ وأَراهـــا إذا قَرُبْـتِ قصارا

ومن تَشَكّيه الذي أشجى فيه قوله[6] : [من الطويل]

1 يا أُخت في رواية : يا هند .
2 ل : تبعتها .
3 ديوان عمر : 160–163 .
4 مار الدمع : جرى .
5 لاه ابن عمّك : لله ابن عمّك .
6 ديوان عمر: 48–49 .

صوت

لَعَمْرُكِ مــا جاورتُ غُمْدانَ طائعاً وقَصْرَ شَعُوبٍ أن أكونَ به صَبّا[1]
ولكنَّ حُمَّى أَضْرَعَتْني ثلاثــةً مُجَرَّمَــةً ثــم استمــرَّتْ بنا غِبّا[2]
وحتى لو ٱنّ الخُلْدَ تَعْرِضُ إنْ مشت إلى الباب رِجْلِي ما نقلتُ لها إربا
فإنّــكِ لــو أبصرتِ يومَ سُوَيقَةٍ مُناخي وحَبسي العِيسَ داميةً حُدْبا[3]
ومَصْــرَعَ إخــوانٍ كأنّ أَنينَهــم أنينُ المَكاكِي صادفتْ بلداً خِصْبا
إذاً لاقْشَعَرَّ الرَّأسُ منـك صَبابَةً ولاستفرغتْ عيناكِ من سَكْبةٍ غَرْبا[4]

غَنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبدٌ ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لمالك ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ ، ونسبه يونس إلى مالك ولم يُجنِّسه .

ومن إقدامه عن خِبرة ولم يعتذر بغِرَّة قوله[5] : [من المتقارب]

صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى عرفــتُ أيــن المَصادِرُ والمَورِدُ
وجَرَّبتُ مــن ذاك حتى عرفــتُ مــا أتوقّى ومــا أَعمِدُ

ومن أَسْره النومَ قوله[6] : [من الخفيف]

نامَ صَحْبي وباتَ نومي أسيرا أرقُب النَّجمَ مَوْهِناً أن يغُورا

ومن غَمِّه الطيرَ قوله[7] : [من الطويل]

فَرُحْنا وقلنا للغلام افضِ حاجةً لنــا ثــم أَدْرِكْنا ولا تتغبَّرِ
سِراعاً تَغُمُّ الطيرَ إن سَنَحَتْ لنا وإن تَلْقَنا الرُّكْبانُ لا نَتَخَبَّرِ

نتغبّر ، من قولهم : غبرَ فلان أي لبِث .

ومن إغْذاذه السيرَ قوله[8] : [من الخفيف]

---

1 غمدان وشعوب : قصران باليمن .
2 أضرعتني : أذلّتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .
3 حدبا في ل : جربا .
4 صبابة في ل : عجابة .
5 ديوان عمر : 90 .
6 ديوان عمر : 160 .
7 ديوان عمر : 130 .
8 ديوان عمر : 160–163 .

قلتُ سِيرا ولا تُقِيما بِبُصْرى وحَفِيرٍ فمـا أُحِـبُّ حَفِيرا[1]
وإذا مـــا مررتُمـا بمَعـــانٍ فأقِـلاَّ بـــه الثَّـــواءَ وسِيرا
إنّما قَصْرُنا إذا حَسَّرَ السيـ ـــرُ بعيـــراً أن نَستجِدَّ بَعِيرا[2]

ومن تحبيره ماءَ الشباب قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أبرَزوها مثـــلَ المَهاةِ تَهادى بين خَمْسٍ كَواعِـبٍ أتْرابِ
ثـم قالـوا تُحِبُّهـــا قلتُ بَهْراً عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ
وهـــي مكنونـــةٌ تحَيَّر منهـــا في أَدِيمِ الخَدَّيْنِ ماءُ الشبابِ

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ ، وقيل : بل هو هذا .

ومن تَقويله وتَسْهيله قوله[4] : [من البسيط]

قالتْ على رِقْبـةٍ يومـاً لجارتها ما تأمُرينَ فإنّ القلـبَ قـد تُبِلا
وهل لي اليومَ منْ أختٍ مُواخِيةٍ منكنَّ أَشْكُو إليها بعضَ ما فَعلا
فراجعتْهـــا حَصـــانٌ غير فاحشةٍ برَجْعِ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلا
لا تذكُري حُبَّـه حتـى أُراجعَه إنّي سَأَكْفِيكِه إنْ لم أمُتْ عَجَلا
فاقْنَيْ حياءَكِ في سَتْرٍ وفي كَرَمٍ فلستِ أوَّلَ أُنثـــى عُلِّقتْ رجُلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله[5] : [من الطويل]

وقَرَّبْـنَ أسبابَ الهـــوى لمتيَّم يَقِيسُ ذراعاً كلّما قِسنَ إصبَعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله[6] : [من الخفيف]

وأَنُصُّ المَطِـــيَّ يَتْبَعْنَ بالرَّكْـ ـبِ سِراعاً نَواعِـمَ الأظْعانِ

---

1 بصرى : مدينة بالشام . حفير : نهر بالأردن .
2 قصرنا : غايتنا . حسَّره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .
3 ديوان عمر : 59 .
4 ديوان عمر : 315–317 .
5 ديوان عمر : 228 .
6 ديوان عمر : 419 .

فَنَصِيدُ الغَرِيرَ مِـن بقر الوَحـ ـشِ ونَلْهُـو بلـذّة الفِتْيانِ
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضَجيعي غيرَ شَكٍّ عَرَفتِ لي عِصْيانِي
وتَقَلّبـتِ في الفِراشِ ولا تَـدْ رِينَ إلاّ الظُّنـونَ أَين مكاني

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله[1] : [من البسيط]

سَمْعِي وطَرْفِي حَلِيفاها على جسدي فكيف أصْبِرُ عن سَمْعِي وعن بَصَرِي
لــو طاوعـاني عـلى ألاّ أُكَلِّمَهـا إذاً لَقَضَّيْتُ مـن أَوْطارِهـا وَطَرِي

ومن إبرامه نعتَ الرسلِ قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

فبعثتُ كاتمـةَ الحديـ ـثِ رَفِيقـةً بَجَوابِها
وحْشِيَّـةً إنسيَّـةً خَرَّاجـةً مـن بابهـا
فَرَقَـتْ فسهَّلتِ المَعـا رِضَ من سبيل نِقابِها

ومن تحذيره قوله[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقـد أرسلتُ جاريتـي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُـولي في مُلاطَفَـةٍ لزينـبَ نَـوِّلي عُمَـرَكْ
فإنْ داويـتِ ذا سَقَمٍ فأخزى اللهُ مَنْ كَفَرَكْ
فهَزَّتْ رأسَها عجبـاً وقالتْ مَنْ بِـذا أمرك
أهـذا سِحْـرُك النِّسْوا نَ ، قـد خبَّرْنني خَبَرَكْ
وقُلْـنَ إذا قضى وَطَراً وأَدْرَكَ حاجـةً هَجَرَكْ

غنّى ابن سُرَيج في هذه الأبيات ، ولحنُه خَفيف ثقيل . ولابن المَكّي فيها هزج بالوسطى . وفيها رملٌ ذكر ذُكاءُ وجهُ الرُّزَّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنّه لابن جامع ، وذكر قُمْرِيٌّ أنّه له وأنّ ذُكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُرَوُّوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .
2 ديوان عمر : 27 .
3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطن في الزِّنا تورُّطاً ؛ وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقـد أرسلتُ جاريتــي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ

. . . الأبيات .

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قوله[1] : [من الطويل]

شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه وأخفيـتُ منـه في الفؤادِ غَلِيلا

ومِمّا أبطن به وأظهر قوله[2] : [من الرمل]

حُبُّكم يـا آل لَيْلى قاتِـلي ظهـرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ مـا أحببتُكُم غيرَ أنْ أَقْتُـلَ نفسي أو أُجَنّ

ومِمّا أَلَحَّ فيه وأَسَفَّ قوله[3] : [من الخفيف]

ليت حَظِّي كطَرْفة العين منها وكثيرٌ منهـا القليـلُ المُهَنّا
أو حديثٌ على خَلاءٍ يُسَلِّي ما يُجِـنُّ الفؤادُ منهـا ومِنّا
كَبُرَتْ رَبِّ نعمةً منكَ يوماً أنْ أراها قبـلَ المماتِ ومَنّا

ومن إنكاحه النومَ قوله[4] : [من الكامل]

صوت

حتّى إذا مـا الليلُ جَـنّ ظلامُه ونظـرتُ غَفلـةَ كاشحٍ أن يغفلا
واستَنْكَح النومُ الذين نَخافُهم وسَقى الكَرى بَوَّابَهُـمْ فاستُثْقِلا
خرجتْ تَـأَطَّرُ في الثيابِ كأنّها أَيْـمٌ يسيبُ على كَثيبٍ أَهْيَلا[5]

الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ لغيره وقد نُسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدِّعْ لُبابَةَ قبل أن تترحَّلا

ومن جَنْيِه الحديثَ قوله : [من الخفيف]

---

1 ديوان عمر : 313 .
2 ديوان عمر : 414 .
3 ديوان عمر : 406 .
4 ديوان عمر : 312 .
5 الأيم : الحية .

وجَوارٍ مُساعِفــاتٍ على اللَّهْـ ــو مُسِرَّاتِ باطِــنِ الأَضْغانِ
صُيَّدٍ للرجال يَرْشُقْن بالطَّرْ فِ حِسانٍ كخُــذَّل الغِزْلانِ
قد دَعاني وقــد دَعاهُنَّ لِلَّهـ ــوِ شُجُونٌ مُهِمَّـــةُ الأَشجانِ
فاجتَنَيْنا مــن الحديـــث ثِماراً ما جنَى مثلَهـــا لَعَمْرُك جاني

ومن ضَرْبِه الحديثَ ظهرَه لبطنه قولُه[1] : [من الخفيف]

في خَــلاء مــن الأَنِيسِ وأَمْنٍ فَبَثَثْنـــا غَلِيلَنــــا واشْتَفَيْنا
وضربْنا الحديثَ ظهــراً لبطنٍ وأتينا مــن أمرنــا مــا اشْتَهَيْنا
فمكثنــا بــذاكَ عَشْرَ ليـــالٍ في قضـــاءٍ لِدَيْنِنا واقتَضيْنا

ومن إذلاله صعبَ الحديث قوله[2] : [من الطويل]

فلمّــا أَفَضْنا في الهــوى نستبينُه وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولا
شكوتُ إليها الحبَّ أُظْهِرُ بعضَه وأخفيتُ منــه في الفؤادِ غَليلا

ومن قَناعتِه بالرجاء من الوفاء قوله[3] : [من الخفيف]

فِعِــدي نائــلاً وإن لم تُنِيلي إنّـــه ينفــعُ المُحِــبَّ الرجاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثيِّر[4] : [من الطويل]

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـــلٍ ولا أرضَى لــه بقليلِ

ومن إعلائه قاتلَه قوله[5] : [من الكامل]

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهَبي فاشْكِي إليها مـــا علمتِ وسَلِّمِي
قُولي يقــولُ تحرَّجِي في عاشقٍ كَلِفٍ بكــم حتّى المماتِ مُتَيَّمِ
ويقول إنّكِ قــد علمتِ بأنّكُمْ أصبحتُمُ يا بِشْرُ أَوْجَــهَ ذي دمِ
فُكّــي رَهِينَتَــه فــإنْ لم تَفْعَلِي فاعْلِي على قَتْلِ ابنِ عمِّك واسْلَمِي

---

1 ديوان عمر : 430 .
2 ديوان عمر : 313 .
3 ديوان عمر : 15 .
4 لم يرد البيت في ديوان كثيِّر .
5 ديوان عمر : 364–365 .

فتضاحكتْ عَجَباً وقالتْ حقُّه ... ألاّ يُعلِّمَنـــا بمـــا لم نَعْلَمِ
علمي بـه ، واللهُ يَغفِـرُ ذنبَه ، ... فيما بـدا لي ، ذو هَوًى مُتَقَسَّمِ
طَرِفٌ يُنازِعـهُ إلى الأَدْنى الهوى ... ويُبتُّ خُلَّةَ ذي الوِصالِ الأَقْدَمِ[1]

ومن تنفيضه النومَ قولُه[2] : [من الطويل]

فلمّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأُطفِئتْ ... مَصابيحُ شُبَّتْ بـالعشاءِ وأَنْوُرُ
وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجـو غُيوبَه ... وروَّح رُعْيـانٌ ونَـوَّم سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عنِّي النومَ أقبلْتُ مِشْيَةَ الـ ... ـحُباب ورُكْني خَشْيَةَ القومِ أَزْوَرُ[3]

ومن إغلاقه رَهْنَ منًى وإهداره قَتْلاً قوله[4] : [من الطويل]

فَكَـمْ من قَتيلٍ مـا يُبـاءُ به دمٌ ... ومـن غَلِقٍ رَهْناً إذا لفَّـه مِنى[5]
ومـن مالىءٍ عينيه من شيءٍ غيره ... إذا راح نحو الجَمْرةِ البيضُ كالدُّمى

وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً شاعراً مِقوَلاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمِّي ، وأخبرنا به عليّ بن صالح عن أبي هفَّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلِّم امرأة في الطَّواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال له : إنّها ابنة عمّي . قال : ذاك أشنعُ لأمرك . فقال : إنِّي خطَبْتُها إلى عمِّي ، فأَبى عليّ إلاّ بصَداقٍ أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك ، وشكا إليه من حبِّها وكَلَفِه بها أمراً عظيماً ، وتَحَمَّلَ به على عمِّه . فسار معه إليه فكلَّمه . فقال له : هو مُمْلِق ، وليس عندي ما أُصْلِحُ به أَمرَه . فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمائة دينار . فقال له : هي عليّ فزوِّجْه ، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حين أَسَنَّ حلَف ألاّ يقولَ بيتَ شعر إلاّ أعتق رقبةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يحدِّث نفسَه ؛ فجعلتْ جاريةٌ له تكلّمه فلا يردّ عليها جواباً . فقالت له : إنّ لك لأمراً ، وأراك تريد أن تقول شعراً ؛ فقال[6] : [من الوافر]

1 طرف : ملول .
2 ديوان عمر : 123 .
3 الحباب : الحية .
4 ديوان عمر : 18 .
5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقّ أجله ولم يفكَّ .
6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تقــولُ وَليدتِــي لمّا رأتْني ... طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِينا
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقاً ... وهــاجَ لكَ الهوى داءٌ دَفِينا
وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزاءٍ ... إذا مــا شئتَ فارقتَ القَرِينا
بربِّكَ هــل أتاك لهــا رسولٌ ... فشاقَكَ أم لَقِيتَ لهــا خَدِينا
فقلتُ شكا إليّ أخٌ مُحِــبٌّ ... كبَعْضِ زَمانِنــــا إذ تَعْلَمِينا
فقَصَّ عليّ مــا يَلْقى بهند ... فذكَّــرَ بعضَ مــا كنّا نَسِينا
وذو الشَّوْقِ القديم وإنْ تَعَزّى ... مَشُوقٌ حــين يلقى العاشقينا
وكَم مــن خُلَّةٍ أعرضتُ عنها ... لغيرِ قِلىً وكنتُ بهــا ضَنِينا
أردتُ بعادَها فصَدَدْتُ عنها ... ولــو جُــنَّ الفؤادُ بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكلّ بيتٍ واحدٌ . الغناء لابن سريج رَمَلَ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيه ثقيل أوّلُ يقال : إنّه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ فيه لدَحمان خفيف رَمَلٍ .

[عمر وعروة]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال : ذكرَ ابنُ الكلبيّ أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُساير عُروة بن الزبير ويُحادثه ، فقال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عُروة ، وكان يسمَّى بذلك لجماله . فقال له عروة هو أمامَك ؛ فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطَّاب ، أوَلَسنا أكفاءَ كِراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بَلى بأبي أنت وأمّي ! ولكنّي مُغْرًى بهذا الجمال أَتْبَعُه حيث كان . ثم التفت إليه وقال[1] : [من البسيط]

إنِّي امــرؤٌ مُولَعٌ بالحسن أتبعُه ... لا حظَّ لي فيــه إلاّ لَذَّةُ النَّظَرِ

ثم مضى حتى لَحِقَه فسار معه ، وجعَل عروة يضحك من كلامه تعجّباً منه .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : رأى عمرُ بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بن أسماءَ بن خارجة . فجاءه فسلَّم عليه وقال له : يا ابن أخي ، ما زلت أتشوّقكَ

1 ديوان عمر : 212 .

منذ بلغني قولُك : [من الخفيف]

إنَّ لي عنــدَ كلِّ نَفْحَــةِ بستا ... نٍ مــن الوَرْد أو من الياسِمِينا
نظــرةً والتفاتـــــةً أَتمنَّــى ... أنْ تكــوني حلَلْتِ فيما يَلِينا

ويروى : «. . . أترجَّى ... أن تكوني حللت . . .» .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولًى لزياد قال : حَجَّ أبو الأسود الدُّؤليّ ومع امرأته وكانت جميلة . فبينا هي تَطوف بالبيت إذ عرَض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً . فلمّا عادت إلى المسجد عاد فكلَّمها ، فأخبرتْ أبا الأسود ؛ فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له : [من الطويل]

وإنّي لَيَثْنِيني عن الجهل والخَنا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائــقُ أربعُ
حيــاءٌ وإسلامٌ وبُقْيــا وأَنَّني ... كريمٌ ومثلي قــد يَضُرُّ وينفعُ
فشَتَّانَ مــا بيني وبينَك إنَّني ... على كلّ حــالٍ أستقيمُ وتَظْلَعُ

فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عَمِّ لكلامِها بعد هذا اليوم . ثم عاود فكلَّمها ، فأَتَتْ أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له : [من الطويل]

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى ... وسَيِّدُنــا لــولا خَلائِــقُ أربعُ
نُكُولٌ عن الجُلَّى وقُرْبٌ من الخنا ... وبُخْــلٌ عــن الجَدْوى وأنّك تُبَّعُ

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُشتَمِلاً على سيف . فلمّا رآهما عمر أعرض عنها ؛ فتمثَّل أبو الأسود : [من البسيط]

تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلابَ له ... وتتَّقِي صَوْلَــةَ المستأسِدِ الحامِي

[رأي الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المَرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم الفِراسيّ قال حدّثنا العُمَريّ قال أخبرنا الهيثم بن عديّ قال : قَدِم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، وُصِفا له فقصدهما ، وكان عندهما قِيانٌ ؛ فسلَّم عليهما وقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرعون ، وقال الآخر : أنا هامان . قال : فأين منزلكُما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر ؛ فضحك ونزل ، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدّة . ثم سألهما أن يَجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا ، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

فلمّـا التَقَيْنا واطمأنَّتْ بنا النَّوى وغُيِّبَ عنَّا مَـنْ نخافُ ونُشْفِقُ

حتى انتهى إلى قوله :

فقُمْـنَ لكـيْ يُخْلِينَنا فترقرقتْ مَدامِـعُ عَيْنَيْهـا وظَلَّـتْ تَدَفَّقُ

وقالت أمَـا ترحَمْنَنِي لا تَدَعْنَنِي لَدى غَـزِلٍ جَـمٍّ الصَّبابة يَخْرُقُ

فقلنَ اسْكُتِي عنَّـا فلَسْتِ مُطاعَةً وخِلُّكِ منَّا ، فاعلمي ، بِكِ أَرْفَقُ

فصاح الفرزدق : أنتَ والله يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس ، لا يُحسن والله الشعراءُ أن يقولوا مثل هذا النَّسيب ولا أن يَرْقوا مثل هذه الرُّقْية ؛ وودّعه وانصرف .

[عمر وابن عياش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه : أنّه حَجَّ مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسَنَّ وشاخ ، فسلَّم عليه وساءله ثم قال له : أيَّ شيء أحدثتَ بعدي يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده[2] : [من الطويل]

يقولون : إنِّي لستُ أصدُقُكِ الهوى وإنِّـيَ لا أرعـاكِ حـين أَغيبُ

فما بالُ طَرْفِي عَفَّ عمّا تَساقطتْ لـه أعـينٌ مـن مَعْشَرٍ وقُلوبُ

عَشِيَّةَ لا يَسْتَنْكِفُ القومُ أن يَرَوْا سَفاهَ امـرىءٍ ممّن يقـال لبيبُ

ولا فِتْنَةً مـن ناسكٍ أَوْمَضَتْ له بعـينِ الصِّبا كَسْلى القيامِ لَعُوبُ

تَـرَوَّحَ يَرْجُـو أن تُحَطَّ ذُنوبُـه فآبَ وقـد زِيـدتْ عليه ذنوبُ

وما النُّسْكُ أَسْلانِي ولكنَّ للهوى على العـينِ منِّـي والفؤادِ رقيبُ

[عمر والنسوة اللاتي واعدهنّ بالعقيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : واعد عمر بن أبي ربيعة نسوةٌ من قريش إلى العقيق ليتحدَّثن معه ؛ فخرج إليهنّ ومعه الغَريضُ ، فتحدّثوا مَلِيّاً ومُطِروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلُّوا عليهنّ بمِطرَفِه وبُردَيْن له حتى استتَرنَ من المطر إلى أن سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى أُغنِّي فيه ؛ فقال عمر[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألـم تسألِ المنــزلَ المُقفِـرا بيانـــاً فيكتُــمَ أو يُخبِرا
ذكرتَ به بعض ما قد شَجاكَ وحُقَّ لذي الشَّجْو أن يَذْكُرا
مُقــامَ الحبيبين قـد ظاهَــرا كِساءً وبُرْدَيْـنِ أن يُمْطَرا[1]
ومَمْشى الثلاثِ بــه مَوْهِناً خرجـن إلى زائــرٍ زُوَّرا
إلى مجلسٍ مـن وراء القِبابِ سَهْــلِ الرُّبـا طيِّـبٍ أَعْفَرا
غَفَلْنَ عن اللَّيـلِ حتّى بدتْ تَباشيرُ مــن واضــحٍ أسْفَرا
فقُمْــنَ يُعَفِّــينَ آثارَنــا بأكسيــة الخَـزِّ أن تُقْفَرا
مَهاتــانِ شيَّعتـا جُــؤْذُراً أَسيــلاً مُقَلَّـــدُه أحْـوَرا[2]
وقُمْنَ وقُلْـنَ لَـوَ آنّ النهارَ مُـدَّ لـه اللَّيـلُ فاستأخَرا
قَضَيْنــا بــه بعضَ أَشْجانِنا وكان الحديـــثُ بــه أَجْدَرا

ذكر ابن المكيّ أنّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن للغريض ، وأنّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : ولدَحْمانَ فيه أيضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيها لابن الهِرْبِذِ خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبشٌ : فيها لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خَلَفَ بن المرزبان قال حدّثني أبو العبّاس المَدِينيّ قال أخبرنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله[3] : [من الطويل]

ومَنْ كان مَحْزوناً بإهــراق عَبْرةٍ وَهَى غَرْبُهــا فَلْيأتِنا نبكــه غَدا
نُعِنْه على الإثْكال إنْ كان ثاكِلاً وإن كان مَحْروباً وإنْ كان مُقْصَدا[4]

قال : فلمّا أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخِرِّيتَ وقال له : قُمْ بنا إلى عمر . فَمضَيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأيُّ موعدٍ بيننا ؟ قال : قولُك : «فليأتِنا نُبْكِهِ غدا» . قد جئناك ، والله لا نبرَحُ أو تَبْكِي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك

---

1 الحبيبين في رواية : المحبين .
2 جؤذراً في ل : ربرباً .
3 ديوان عمر : 114 .
4 مقصداً في رواية «محزونا» . والمقصد : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالدٌ الخِرِّيت هو خالد بن عبد الله القَسْرِيّ .

[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عيّاش الهمداني قال : لَقِيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطّاب ، أكُلُّ ما قلته في شِعرك فعلته ؟ قال : نعم ، وأستغفر الله .

[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفَّان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم عمر بن أبي ربيعة الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلالٍ الذي كان يقال له صاحبُ إبليس ، وكان له قَيْنتان حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ؛ فقال في ذلك[1] : [من الكامل]

يا أهلَ بابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ ... من عَيشِكم إلاّ ثلاثَ خِلالِ

ماءَ الفُراتِ وطِيبَ ليلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لابن هِلالِ[2]

[وصف عمر وغيره للبرق]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفَّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المُصْطَلِقِيّ ورجلاً من بني مَخزوم وابن أُخت الحارث بن خالد ، خرجوا يُشَيِّعونَ بعض خلفاء بني أُميّة . فلمّا انصرفوا نزلوا «بَسِرِفٍ» فلاح لهم برقٌ ؛ فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ . فقال أبو ربيعة : [من الطويل]

أرِقْتُ لبرقٍ آخِرَ الليلِ لامِعٍ ... جَرى من سَناه ذو الرُّبا فيُنابعُ[3]

فقال الحارث : [من الطويل]

أرِقتُ له ليلَ التَّمامِ[4] ودونَه ... مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ بَلاقِعُ[5]

فقال المخزوميّ : [من الطويل]

يُضِيءُ عِضاهَ الشَّوْكِ حتّى كأنّه ... مَصابِيحُ أو فجرٌ من الصُّبحِ ساطِعُ

فقال عمر : [من الطويل]

---

1 ديوان عمر : 336 (م) .

2 مسمعتيْن في ل : محسنتين .

3 ينابع : موضع ببلاد هذيل .

4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .

5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيـا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِـداً لأسماءَ فاصْنَعْ بي الذي أنتَ صانعُ

ثم قال : مالي وللبرق والشوك !

[تتمّة خبر عمر ونسوة واعدنه بالعقيق]

أخبرني عمِّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالدٌ القَسْرِيّ معه ، وهو خالد الخِرِّيتُ ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما مَلِيّاً ، فأخذتْهم السماء ومُطِروا . ثم ذكر مثل خبرٍ تقدّم ، ورويته آنِفاً عن هاشم بن محمد الخزاعيّ ، وذكرَ الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغَرِيض . وحكى أنّه قال في ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

أفي رَسْمِ دارٍ دَمْعُـــكَ المُتَرَقْـرِقُ سَفاهــاً وما استنطاقُ مـا ليس يَنْطِقُ

بحيثُ التقى «جَمْعٌ» ومُفْضى «مُحَسِّرٍ» مَغانِيَ قــد كادَتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ

ذكرتُ به مـا قــد مضى من زماننا وذِكْــرُكَ رَسْمَ الدارِ مِمَّــا يُشَوِّقُ

مَقامــاً لنــا عند العِشاء ومجلساً بــــه لم يُكــدِّرْه علينــا مُعَـوِّقُ

ومَمْشى فَتــاةٍ بــالكِساءِ تَكُنُّنـا بــه تحــت عَيْنٍ بَرْقُهـا يتألَّــقُ

يَبُــلُّ أعالِــي الثوبِ قَطْـرٌ وتحتَـه شُعاعٌ بَدا يُعْشِي العيــونَ ويُشْرِقُ

فأحسنُ شيءٍ بَــدْءُ أوّلِ ليلِنـــا وآخــــرُه حُــــزْنٌ إذا نتفــرّقُ

ذكر يحيى بن المكيّ أنّ الغناء في ستّة أبيات متواليةٍ من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى .

[عمر وليلى بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني مصعب قال : لَقِي عمرُ بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكريّة وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسَب بها ، فقـال : جعلني الله فِداكِ ، عَرِّجي ها هنا أُسْمِعْكِ بعض ما قلته فيك . قالت : أوَ قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هاتِ . فأنشدها[2] : [من الوافر]

صوت

أَلا يــا لَيْلُ إنّ شِفاءَ نفسي نَوالُــكِ إن بَخِلْـتِ فَنَوِّلِينا

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقــد حضرَ الرَّحِيلُ وحانَ منَّا	فِراقُكِ فانظُـرِي مـا تأمُرِينا

فقالت : آمُرك بتقوى الله وإيثار طاعتِه وتَرْكِ ما أنت عليه . ثم صاحتْ ببغلتها ومضتْ .

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ أنّه من مَنْحوله إلى ابن سريج . وفيهما رملٌ طُنبوريٌّ لأحمد بن صَدَقة .

أخبرني بذلك جَحظة عنه . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن ابن الأعرابيّ : أنّ ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام ، فرأتْ عمر بن أبي ربيعة ، فوجّهت إليه مَولًى لها فجاءها به . فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتّى متى لا تزال سادراً في حَرَم الله تُشَبِّبُ بالنساء وتُشيد بذكرهنّ ؟ أمَا تخاف الله ؟ قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلتُ . قالت وما قلتَ ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة . فقالت له القول الذي تقدَّم أنّها أجابته به . قال : وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلت فيك ، ثم أنشدها قوله[1] : [من الرمل]

أمِــنَ الرَّسْمِ وأطْـلالِ الدِّمَنْ	عاد لِي وَجْدِي وعاودتُ الحَزَنْ
إنّ حُبِّــي آلَ ليــلى قاتــلي	ظهــرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
يا أبــا الحارث قلبــي طائـرٌ	فأْتَمِرْ أمـرَ رشيــدٍ مؤتَمنْ
الْتَمِسْ للقلبِ وصلاً عندها	إنّ خيرَ الوَصْلِ مـا ليس يُمَنْ
عَلِقَ القلبُ ، وقــد كان صَحا	من بني بَكْرٍ غزالاً قـد شَدَنْ[2]
أحــورَ المُقْلــةِ كالبــدرِ ، إذا	قُلِّـد الدُّرَّ فقلبــي مُمْتَحَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ مــا أحببتُكم	غيرَ أنْ أقتُـلَ نفسي أو أُجَنّ
خُلِقَتْ للقلــبِ منّــي فِتْنَــةً	هكـذا يُخْلَــقُ معروضُ الفِتَنْ

قال : وفيها يقول[3] : [من الخفيف]

إنّ ليــلى وقــد بلغتُ المَشيبا	لم تَــدَعْ للنساء عندي نصيبا
هاجِـرٌ بيتَهــا لأنفِــيَ عنها	قولَ ذي العيبِ إن أرادَ عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونيَّة لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ ، يقال : إنّه أوّلُ ثقيلٍ غنّاه ، كان يُغنّي الخفيف ، فعِيبَ بذلك فصنع هذا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 شدن : شبَّ .

3 لم يرد البيتان في ديوانه .

اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأُبُـلّي رَملٌ عن الهشاميّ .

والغناء في : [من الخفيف]

إنّ ليلى وقد بلغتُ المشيبا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثقيل أوّلُ بالوسطى عن عمرو أيضاً . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحنا لعَطَرَّدٍ ، ولم يجنسه .

[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني محمد بن منصور الأَزْديّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المُزدلِفة يريد مِنًى إذ بَصُر بامرأة في رِحالةٍ ففُتِن ، وسمع عجوزاً معها تُناديها : يا نَوارُ استتري لا يَفْضَحْك ابن أبي ربيعة . فاتَّبعها عمر وقد شَغَلَت قلبه حتى نزلت بمِنًى في مِضرَب قد ضُرِب لها ، فنزل إلى جنب المِضرب ، ولم يزل يَتَلطَّف حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناس وجهاً وأحلاه مَنطِقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذّر ذلك عليه ، وكان آخر عهده ؛ فقال فيها[1] : [من الكامل]

صوت

عَلِـقَ النَّوارَ فُـؤادُهُ جَهْلا ... وصَبا فلم تترك لـه عقلا

وتعرّضتْ لي في المَسيرِ فما ... أمسى الفؤادُ يَرى لها مِثْلا

ما نعجةٌ من وحش ذِي بَقَرٍ ... تَغْذُو بسَقْط صَريمةٍ طِفْلا[2]

بألَـذَّ منهـا إذ تقـول لنا ... وأردتُ كَشْفَ قِناعها : مَهْلا

دعْنا فإنّـك لا مُكارمـةً ... تَجزي ولَسْتَ بواصلٍ حَبْلا

وعليكَ مَنْ تَبَلَ الفؤادَ وإن ... أمسى لقلبك ذِكرُه شُغْلا

فأجبتُها إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ ... فدَعِي العِتابَ وأحدِثِي بَذْلا[3]

الغناء لابن مُحرِز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثاني ثقيل بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة .

1 ديوان عمر : 334 .
2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : منتهاها .
3 مكلّف : مثل كلف .

[عمر وأمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو عبد الله السَّدوسيّ عن عيسى بن إسماعيل العَتَكِيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : حجَّت امرأة من بني أُميّة يقال لها أُمُّ الحَكَم ، فقدِمتْ قبل أوانِ الحجّ مُعتمِرةً . فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها إذ مرَّت على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدّثون وقد فَرَعهم[1] طولاً وجهَرهم جمالاً وبهَرهم شارةً وعارضةً وبياناً ، فمالت إليهم ونزلت عندهم ، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت . ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيّام الحجّ ، فرحلت إلى الشام . وفيها يقول عمر : [من المتقارب]

تـأوّب لَيْـلي بنَصبٍ وهَمّ ... وعاودتُ ذِكْرى لأُمّ الحَكَمْ[2]
فبِتُّ أُراقِبُ ليلَ التَّمام ، ... مَنْ نـام من عاشقٍ لم أَنَمْ
فإن تَرينـي على ما عَـرا ... ضعيفَ القيامِ شديدَ السَّقَمْ
قـد كتبَ فـوقَ الفِـراش ... مـا إن تُقِـلُّ قيامِي قَدَمْ
بآنسةٍ طيّـبٍ نَشْرهـا ... هَضيمِ الحَشا عَذْبةِ المُبتَسَمْ

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت : [من المتقارب]

صوت

وفتيانِ صدقٍ صِباحِ الوجو ... ه لا يَجِدون لشيءٍ أَلَـمْ[3]
مِن آل المُغيرةِ لا يَشْهدُون ... عند المَجازِرِ لحمَ الوَضَمْ[4]

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخُوريُّ ، عن عمرو . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودَحمان . وفيه لابن المكيّ خفيف رَمَلٍ .

[حديث عمر مع سكينة بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف ، فتذاكَرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشِعره وظَرفه وحسن حديثه ، فتَشَوّقْن إليه وتمنَّيْنَهُ ؛ فقالت سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام : أنا لَكُنّ به . فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصَّوْرَين ، وسمّت له الليلة والوقت ، وواعدت

1 فرعهم : زاد عليهم طولاً .
2 النصب : العناء . لم ترد هذه الأبيات في الديوان .
3 ديوان عمر : 389 .
4 الوضم : خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم ؛ ولحم الوضم : لحم يقطع للميسر ، وهو يفرق على الفقراء .

صواحباتها ؛ فوافاهنّ عمر على راحلته ، فحدّثهنّ حتى أضاء الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال[1] : [من الكامل]

صوت

قالت سُكَينةُ والدموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخَدَّيْـنِ والجِلْبابِ
ليـتَ المُغيريَّ الذي لم أَجزِه ... فيما أطـال تصيُّدِي وطِلابِي
كانت تـردُّ لنا المُنَـى أيّامنا ... إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابي
خُبِّرتُ مـا قالتْ فبتُّ كأنّما ... تَرْمِـي الحَشا بنوافِـذِ النُّشّابِ
أسُكَيْنَ مـا ماءُ الفُراتِ وطِيبُه ... مِنِّـي على ظمإٍ وفَقْدِ شَرابِ
بألذّ منكِ وإن نأيـتِ وقلّما ... ترعَى النساءُ أمانَـةَ الغُيّابِ

الغناء للهُذَليّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال وقال فيها : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبّكِ مَـنْ لم يكن ... صَفِيّـاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبـذُلُ نفسي لِمَرْضاتكـم ... وأُعتِبُ مَـنْ جـاءكم عاتِبا
وأرغَبُ في وُدِّ مَـنْ لم أكن ... إلى وِدِّه قبلَكـم راغِبـا
ولـو سلَك الناسُ في جانبٍ ... مِن الأرض واعتزلـتْ جانبا
ليَمَّمْـتُ طِيَّتَهـا ، إنّني ... أرى قُربَها العَجَـبَ العاجبا
فمـا ظبيةٌ مـن ظبـاء الأَرا ... كِ تَقْرُو دَمِيثَ الرُّبَى عاشِباً[2]
بأحسنَ منهـا غـداةَ الغَمِيمِ ... وقد أبـدتِ الخَدَّ والحاجبا[3]
غـداةَ تقـولُ على رِقْبَـةٍ ... لخادِمِها : يـا احْبِسي الراكبا
فقالت لها : فِيمَ هـذا الكلامُ ... وأبـدتْ لهـا عابساً قاطِبا
فقالـت كريـمٌ أتى زائـراً ... يَمُـرُّ بكـم هكـذا جانبا

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنّه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .
2 يقرو : يتتبّع ، ودميث الربى : السهل اللين منها .
3 الغميم : اسم موضع بين مكّة والمدينة .

شريــفٌ أتــى رَبْعَنــا زائــراً فأَكْـــرَهُ رجعتَـــــه خائبــا

[بغوم وأسماء]

غنّى في الأوّل والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفّاص المكّيّ ، ولحنه رملٌ من رواية الهشاميّ : وحدّثني وَكيعٌ وابن المرزبان وعمّي قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحراميّ قال حدّثنا محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قال حدّثني سُفيان بن عُيينة قال : بينا أنا ومِسْعَرُ بن كِدامٍ مع إسماعيل بن أميّة بفِناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد طلعت علينا عَوراء متّكئةً على عصاً يُصفق أحد لَحْيَيها على الآخر ، فوقفت على إسماعيل فسلّمت عليه ، فردّ عليها السلام ، وساءلها فأحفى[1] المسألة ، ثم انصرفتْ . فقال إسماعيل : لا إله إلاّ الله ؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها ؟ ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا والله ، ومَن هي ؟ قال : هذه «بَغُومُ» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها : [من الخفيف]

حَبَّــذا أنتِ يــا بَغُــومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنــا وخَــلاءُ[2]

أُنظرا كيف صارت ، وما كان بمكّة امرأة أجمل منها . قال : فقال له مِسعر : لا وربِّ هذه البَنِيَّة ، ما أُرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قطُّ . وفي هذه الأبيات يقول عمر[3] : [من الخفيف]

صوت

صَرَمتْ حَبْلَكَ البغومُ وصَدَّتْ عنـــكَ في غير رِيبَـةٍ أسماءُ
والغَوانِــي إذا رأينَــك كَهْلاً كان فيهنّ عن هَــواكَ الْتِواءُ
حَبَّذا أنتِ يـــا بَغُـــومُ وأسما ءُ وعِيــصٌ يكُنُّنــا وخَلاءُ
ولقـــد قلتُ ليلــةَ الجَزْلِ لَمّا أخضلتْ رَيْطَتِي عليّ السماءُ[4]
ليتَ شِعْرِي ، وهل يَرُدَّنَّ لَيْتٌ ، هــل لهــذا عند الرَّباب جزاءُ
كُلُّ وَصْلٍ أَمْسى لديَّ لأنثى غيرهــا وَصْلُها إليهـــا أداءُ
كلّ خَلْقٍ وإنْ دنـــا لِوصَالِ أو نــأى فهو للرَّبــابِ الفِداءُ
فعِـــدِي نائــلاً وإن لم تُنِيلِي إنّمــا يَنْفَعُ المحـــبَّ الرجــاءُ

1 أحفى المسألة : بالغ وأطال في السؤال .
2 العيص : الشجر الكثيف .
3 ديوان عمر : 15 .
4 الجزل : اسم موضع قرب مكّة .

لِمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ ودَنانيرَ ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحَرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَبية مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أَمَةِ الواحد أو أَمَة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنْبُذ[1] الذي في بيت سُكَيْنة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنّيان ، يقال لإحداهما البَغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أَمةُ المَجيد بنت عمر تحت محمد بن مُصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنبذ هذه الأبيات . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الخفيف]

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا أَخْضَلَتْ رَيْطَتِي عليَّ السماءُ

خرجتِ البَغُوم ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعم أنّك بالجَزْل وأنت في جُنْبُذ محمد بن مصعب ، وتزعم أنّ السماء أَخْضَلَتْ رَيطَتَك وليس في السماء قَزَعةٌ[2] ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلاَّم أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله : [من الخفيف]

حَبّذا أنتِ يا بغومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخلاءُ

فقال له : ما أبقيتَ شيئاً يُتمَنّى يا أبا الخطَّاب إلاّ مِرجَلاً يُسَخَّن لكم فيه الماءُ للغُسْل .

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المرزُبان قال حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال : حَجَّتْ أُمُّ محمدٍ بنتُ مروان بن الحَكَم ، فلمّا قَضَتْ نُسُكَها أتتْ عمر بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نِسوة ، فحدّثها مَلِيّاً . فلمّا انصرفت أَتْبَعَها عمرُ رسولاً عرَف موضعها وسأل عنها حتى أَثْبَتها ؛ فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها . فقالت : نَشَدتُكَ الله أن تُشَهِّرَني بشِعرك ؛ وبَعَثتْ إليه بألفِ دينار ، فقَبِلها وابتاع بها حُلَلاً وطِيباً فأَهْداه إليها ، فردَّتْه . فقال لها : واللهِ لئِنْ لم تَقْبليه لأُنْهِبَنّه ، فيكونُ مشهوراً ؛ فقبِلَتْه ورحَلَتْ . فقال فيها[3] : [من الخفيف]

---

1 الجنبذ : بناء مرتفع مستدير .

2 القزع : ما تناثر من الغيم .

3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أيُّها الراكبُ المُجِدُّ ابتِكارا قد قَضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا
من يَكُنْ قلبُه صَحيحاً سَلِماً ففُؤادِي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا
ليتَ ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا كلَّ يومَين حِجَّةً واعتِمارا

الغناء لابن مُحْرِزٍ ولحنُه من القَدر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لذُكاءَ وَجْهِ الرُّزَّة المُعْتَمِدِيّ ثقيل أوّل من جيِّد الغناء وفاخِرِ الصَّنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثلُه . وأُنشِد ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : الله أَرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليَتمَّ لك فسْقُك .

[عمر وحميدة جارية ابن تفاحة]

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشيّ عن أبي الحسن الأَزديّ عن جماعة من الرواة : أنّ عمر كان يهوى حُمَيدة جارية ابن تُفَّاحة ؛ وفيها يقول[1] : [من الخفيف]

صوت

حُمِّلَ القلبُ من حُمَيدةَ ثِقْلا إنّ في ذاكَ للفؤادِ لشُغْلا
إنْ فعلتُ الذي سألتِ فقُولي حَمْدُ خيراً وأَتْبِعي القولَ فِعْلا
وصِلِيني فأُشْهِدُ اللهَ أَنّي لستُ أُصفِي سواكِ ما عشتُ وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ . وفيها يقول[2] : [من الكامل]

صوت

يا قلبُ هل لك عن حُمَيدةَ زاجرُ أم أنتَ مُدَّكِرُ الحياء فصابرُ
فالقلبُ من ذِكْرى حميدةَ مُوجَعٌ والدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ وعَظْمِي فاترُ
قد كنتُ أحسِبُ أنّني قبل الذي فعلتْ على ما عند حَمْدَةَ قادرُ
حتى بَدا لي من حُميدةَ خُلَّتي بَينٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

1 ديوان عمر : 337 .
2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جواري بني أميّة في موسم الحجّ]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني أبو مُسلمٍ المُسْتَمْلي عن ابن أخي زُرقان عن أبيه قال : أدركتُ مولًى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حَدِّثْني عن عمر بحديثٍ غريب ؛ فقال : نعمْ ، كنتُ معه ذات يوم ، فاجتاز به نِسْوَةٌ من جواري بني أُميّة قد حَجَجْنَ ، فتعرَّض لهنّ وحادثهنّ وناشدهنّ مُدّة أيّام حجِّهنّ ؛ ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطّاب ، إنّا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرةً تكون عندك تذكُرنا بها . فسُرَّ بذلك ووجَّه بي إليهنّ في السَّحَرِ ، فوجدتُهنّ يَركبن ، فقُلْن لعجوز معهنّ : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطّاب التذكرة التي اتحَفْناه بها . فأخرجت إليّ صُندوقاً لطيفاً مُقفلاً مختوماً ؛ فقلن : ادفعه إليه وارتحلنَ . فجئته به وأنا أظنُّ أنّه قد أُودِعَ طِيباً أو جَوهراً . ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضارِبِ (وهي الكِيرِنْجاتُ)[1] ، وإذا على كلِّ واحد منها اسم رجل من مُجّان مكّة ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أميرُ مكّة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحِك وقال : تَماجَنَّ عليَّ ونَفَذَ[2] لهنَّ . ثم أصلح مأْدُبةً ودعا كلَّ واحد ممّن له اسم في تلك المضارب . فلمّا أكلوا واطمأنّوا للجلوس قال : هاتِ يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق ؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكِيرِنْجَ الذي عليه اسمُه . فلمّا أخذه وكشف عنه غطاءه فَزِع وقال : ما هذا أخزاك الله ! فقال له : رُوَيداً ، اصْبِرْ حتى ترى . ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرّقها فيهم ؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي . فقالوا له : وَيحَك ! ما هذا ؟ فحدّثهم بالخبر فعَجِبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه .

[قومي تصدي له]

قال وحدّثني هذا المولى قال : كنت مع عمر وقد أَسَنَّ وضعُف ، فخرج يوماً يمشي متوكّئاً على يدي حتى مرّ بعجوزٍ جالسة ، فقال لي : هذه فلانة وكانت إلْفاً لي ، وعدل إليها فسلّم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها[3] : [من المنسرح]

صوت

أبصرْتُهـا ليلـةً ونسْوَتَهـا   يَمْشِينَ بـين المَقـام والحَجَرِ

---

1 الكيرنجات : ما كان في شكل عضو الرجل .

2 نفذ لهن التماجن : أي جاء نافذاً مصيباً .

3 ديوان عمر : 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات .

بيضاً حِساناً نَواعِمــاً قُطُفــاً يَمْشِينَ هَوْنــاً كمِشْيَةِ البَقَرِ
قالــتْ لِتِرْبٍ لهــا تُلاطِفُهــا لَنُفْسِدَنَّ الطَّــوافَ في عُمَرِ
قُومِــي تَصَدَّي لــه لِيَعْرِفَنــا ثــم اغمزيه يا أُختِ في خَفَرِ
قالت لهــا قــد غمزْتُهُ فأَبى ثــم اسبَطَرَّت تَشْتَدُّ في أَثَري[1]
بــل يــا خليليَّ عادني ذِكَرِي بــل اعترتْنِــي الهُمُــومُ بالسَّهَرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأوّل والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسنانٍ الكاتب رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأَبْجَر خفيف رملٍ بالوسطى عنه . وفي : [من المنسرح]

قالت لتربٍ لها تُلاطِفها

لعبد الله بن العبّاس خفيف رمل بالبِنصر عن الهشاميّ ، وفيه للدَّلالِ خفيفُ ثقيلٍ عنه أيضاً . ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً ، ومن الناس من يَنسُب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .

[ملأ فمه ماء ومجّه في وجوههنّ]

قال : وجلس معها يحادثها ، فأطلعتْ رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطّاب عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتُنَّ تشتهينَ أن ترَيْنَه فتعالَيْن . فجئن إلى مِضْربٍ قد حُجِزنَ به دون بابها فجعلن يَثقُبْنه ويَضَعْنِ أعينهنّ عليه يُبصرنَ . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : الماء . فأُتِيَ بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهنّ في وجوههنّ من وراء الحاجز ؛ فصاح الجواري وتهارَبنَ وجعلنَ يضحكنّ . فقالت له العجوز : ويلَك ! لا تَدَع مُجونَك وسَفَهك مع هذه السنّ ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكتُ نفسي لمّا سمعت من حَرَكاتهنّ أن فعلتُ ما رأيتِ .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمدانيّ قال حدّثني عليُّ بن طريف الأَسَديّ قال : سَمِعتُ أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبَها . فقالت : إنّ هذا لا يصلُح هاهنا ، ولكن إن جئتَني إلى بلدي وخطَبتني إلى أهلي تزوّجتُك . فلمّا ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

1 اسبطرّت : أسرعت .

إنّ لي إليكَ حاجةً أُريد أن تُساعدني عليها ؛ فقال له نعم . فأخذ بيده ولم يذكرُ له ما هي ، ثم أتى منزله فركِب نَجيباً له وأركبه نجيباً آخر ، وأخذ معه ما يُصلحه ، وسارا لا يشُكُّ السَّهْمِيّ في أنّه يريد سفر يوم أو يومين ؛ فما زال يَحْفِد[1] حتى لحِق بالرُّفقة ، ثم سار بسيرهم يُحادث المرأة طولَ طريقه ويُسايرها وينزل عندها إذا نزلَتْ حتى ورَد العِراق . فأقام أيّاماً ، ثم راسلها يَتَنَجَّزُها وعدَها ؛ فأعلمتْه أنّها كانت متزوّجة ابن عمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوّج ، وأنّها تخاف فُرْقة أولادها وزوال النعمة ؛ وبَعَثتْ إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ؛ فردّها عليها ورحَل إلى مكّة ؛ وقال في ذلك قصيدته التي أوّلها[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

نـام صَحْبِي ولم أَنَمْ مـن خَيـالٍ بنا أَلَمّ

طافَ بالركبِ مَوْهِناً بين خاخٍ إلى إضَمْ[3]

ثـم نَبّهـتُ صاحباً طَيِّبَ الخيم والشِّيَمْ

أَرْيَحِيّـاً مُساعِـداً غيرَ نِكْسٍ ولا بَرَمْ

قلتُ يـا عَمْرُو شَفَّني لاعـجُ الحُبِّ والأَلَمْ

ايتِ هِنداً فقُـلْ لها ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ

الغناء لمالك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف رملٍ من رواية عمرو بن بانةَ ، وذكر حبشٌ أنّ لحنَ عبد الله بن العبّاس رملٌ آخر عن الهشاميّ .

[شهادة جرير في شعر عمر ثانية]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان جريرٌ إذا أُنْشِد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنْجد وَجَد البَرْدَ ، حتى أُنْشِد قوله : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فَيَضْحَـى وأمّـا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

. . . الأبيات . فقال : ما زال هذا يَهْذِي حتى قال الشعر .

---

1 يحفد : يسعى ويسرع .

2 ديوان عمر : 395 .

3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسك]

أخبرني حبيب بن نُصر المهلَّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العُتْبيّ عن أبي زيد الزبيريّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال : أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق القوم ، ثم دنوتُ منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي : تَعالَ حتى نَهِيجَه على ذكر الغَزَل ، فننظرَ هل بقي في نفسه منه شيءٌ . فقال له صاحبي : يا أبا الخطّاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العُذريّ وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأْسي في مَوَدَّتها ... لَمرّ يَهْوِي سريعاً نحوَها راسي[1]

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : ولله دَرُّ جُنادة العُذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحَك ؟ فقلت : حيث يقول : [من البسيط]

سَرَتْ لَعَيْنِكَ سَلْمى بعد مَغْفاها ... فبِتَّ مُستنبِهاً من بعد مَسْراها
وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَداكِ لنا ... إن كنتِ تِمْثالَها أو كنتِ إيَّاها
مِن حبِّها أتمنَّى أن يلاقِيَني ... مِنْ نَحْوِ بلدتِها ناعٍ فيَنْعاها
كيما أقولَ فراقٌ لا لِقاءَ له ... وتُضمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلاها
ولو تموتُ لراعَتْنِي وقُلْتُ أَلا ... يا بُؤْسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيَّجْتُما عليَّ ساكناً ، وذكَّرْتُماني ما كان عنّي غائباً ، ولأحدّثنّكما حديثاً حُلْواً :

[عمر وهند بنت الحارث المرية]

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ ، إذ أتاني خالدٌ الخِرِّيتُ ، فقال لي : يا أبا الخطّاب ، مَرّت بي أربعُ نُسوة قُبَيل العِشاء يُرِدْن موضع كذا وكذا لم أَرَ مثلهنّ في بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هند بنت الحارث المُرِّيّة ، فهل لك أن تأتيَهنَّ متنكِّراً فتسمع من حديثهنّ وتتمتّع بالنظر إليهنّ ولا يعلَمنَ مَن أنت ؟ فقلت له : وَيحك ، وكيف لي أن أُخفي نفسي ؟ قال : تلْبس لِبسةَ أعرابيّ ثم تجلس على قَعُود [ثم ائتهنّ فسلِّم عليهنّ] ، فلا يشعُرنَ إلاّ بك قد هَجَمتَ عليهنّ . ففعلت ما قال ، وجلستُ على قَعُود ، ثم أتيتهنّ فسلَّمت عليهنّ ثم وقفتُ بقُربهنّ . فسألنني أن أُنشدهنَّ وأُحدِّثهنّ ، فأنشَدتَهنّ

---

1 مختلف في نسبته . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجبة بن جنادة العذري .

لكُثيِّر وجَمِيل والأَحوص ونُصَيب وغيرهم . فقلن لي : وَيْحَكَ يا أعرابيّ ؛ ما أملَحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدّثتَ معنا يومَنا هذا ؛ فإذا أَمْسَيت انصرفت في حفظ الله . قال : فأنَخْتُ بعيري ثم تحدّثت معهنّ وأنشدتُهنّ ، فسُرِرْن بي وجَذِلنَ بقُربي وأعجبهنّ حديثي . قال : ثم إنّهنّ تغامَزْنَ وجعل بعضُهنّ يقول لبعض : كأنّا نعرف هذا الأعرابيّ ؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهنّ : فهو والله عمر ، فمدَّتْ هندٌ يدَها فانتزعت عِمامَتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هِيهِ بالله يا عمر ؛ أتُراك خدعتَنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك لتأتيَنا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى . قال عمر : ثم أخذنا في الحديث ؛ فقالت هند : ويحك يا عمر ؛ اسمع منّي ، لو رأيتني منذ أيّام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلتُ رأسي في جيبي ، فنظرتُ إلى حِرِي فإذا هو مِلءُ الكفِّ ومُنْيَةُ المتمنّي ، فناديت يا عُمراه يا عُمراه ، قال عمر : فصِحْتُ يا لبَيَّكاهْ يا لَبَّيكاه[1] ؛ ثلاثاً ومددتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتْ . وحادثتُهنّ ساعة ، ثم ودَّعتهنَّ وانصرفتُ . فذلك قولي[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفتُ مَصِيفَ الحيِّ والمتربَّعا	ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعا
إلى السَّفْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلتْ	مَعالِمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذِ الهوى	جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتَصدَّعا
وإذ نحن مثلُ الماء كان مِزاجُه	كما صَفَّق الساقي الرحيقَ المُشَعْشَعا[3]
وإذْ لا نُطِيعُ الكاشحين ولا نرى	لواشٍ لدينا يطلب الصُّرْمَ موضِعا[4]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن جامع وابن عبَّادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء : [من الطويل]

صوت

فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ	وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتَقنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا رَأَيْنَني	وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلَّ وأَوضعا[5]

---

1 ل : يا للبيك للبيك (مع تصحيف) .

2 ديوان عمر : 227–229 .

3 كما في ل : إذا .

4 موضعا في ل : مطمعا .

5 في رواية : لما عرفنني . أكلَّ : تعب ؛ أوضعا : أسرع .

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصبَعا

الغناء لابن عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامعٍ لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّسٍ . [هذه الأبيات مقرونةٌ بالأُولى ، والصنعةُ في جميعها مختلفةٌ ، يُغَنِّي المُغَنُّون بعضَ هذه وبعضَ تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قَدَّمْتُ ذِكرَه] . وهي قصيدة طويلة ، ذَكرتُ منها ما فيه صَنْعةٌ .

وممّا قاله في هند هذه وغُنِّيَ فيه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

ألم تسألِ الأَطْلالَ والمنزلَ الخَلَق ببُرْقَةِ ذي ضالٍ فَيُخبِرَ إنْ نَطَقْ ؟[2]

ذكرتُ بـه هنداً فظِلْتُ كأنّني أخو نَشْوةٍ لاقَى الحوانيتَ فاغتَبَقْ

الغناء لعَطَرَّدٍ ولحنُه من القَدرِ الأوسط من الثقيل الأوّلِ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

أصبح القلبُ مَهِيضا راجَعَ الحُبَّ الغَرِيضا[4]

وأجـدَّ الشوقَ وَهْنـاً أن رأى بَرْقـاً وَمِيضا

ثم بـاتَ الرَّكْبُ نُوَّا مـاً ولم أَطْعَمْ غُموضا

ذاك مـن هنـدٍ قديماً تَرْكُها القلبَ مَهِيضا[5]

وتَبدَّتْ ثـم أَبْدتْ واضحَ اللَّوْنِ نَحِيضا[6]

وعِـذابَ الطَّعْمِ غُـرّاً كأَقاحِي الرّمـلِ بِيضا

الغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبابة في مَجْرى البِنْصر . وفيه لحَكَمٍ هزج بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه يَمانٍ . ومن الناس من يَنسُبُ لحنَ ابن مُحرِزٍ إلى ابن مِسْجَحٍ .

---

1 ديوان عمر : 278 .

2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .

3 ديوان عمر : 221 .

4 مهيضا في رواية : «مريضا» .

5 تركها في ل : رجعها .

6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

أَرِبْتُ إلى هندٍ وتِرْبَيْنِ مرّةً ... لها إذ تواقَفْنا بِفَرْعِ المُقَطَّعِ[2]
[لِتَعْريج يومٍ أو لتَعْريس ليلةٍ ... علينا بجَمْع الشَّمْل قبلَ التَّصَدُّعِ
فقُلنَ لها لولا ارتقابُ صَحابةٍ ... لنا خَلْفَنا عُجنا ولم نَتورَّعِ]
وقالت فتاةٌ كنتُ أحسِبُ أنّها ... مُغَفَّلةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرَّعِ
لهنّ ، وما شاوَرْنَها ، ليس ما أرى ... بحُسْنٍ جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ
فقلن لها لا شَبَّ قَرْنُكِ فافْتَحِي ... لنا بابَ ما يَخْفى من الأمر نَسْمَعِ[3]

وهي أبياتٌ . الغناء للغريض ولَحْنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر ابن المَكّي أنّه لابن سريج . ومنها[4] : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمَّتْ بأصحابي وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْطَ رِحالِ القوم عَطّارا
فقلتُ مَنْ ذا المُحَيِّي وانتبهتُ له ... ومَنْ مُحَدِّثُنا هذا الذي زارا ؟
ألاَ انزِلوا نَعِمَتْ دارٌ بقربكُمُ ... أهلاً وسَهْلاً بكم مِنْ زائرٍ زارا
فبُدِّلَ الرَّبْعُ مِمّن كان يسكنُهُ ... عُفْرَ الظِّباءِ به يَمشِينَ أَسْطارا

الغناءُ لابن سريج رَمَلٌ بالخِنصر في مَجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه ليونس خفيف ثقيل . وفيه لأبي[5] فارَةَ هَزَجٌ بالبِنصر . وأوّل هذه القصيدة التي فيها ذكرُ هند قولُه[6] : [من البسيط]

يا صاحبيَّ قِفا نَسْتَخْبِرِ الدارا ... أَقْوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ تَذْكارا
وقد أرى مَرَّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجآذِرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارا
فِيهنَّ هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها ... فيمَنْ أقام من الأحياء أو سارا

---

1 ديوان عمر : 234 .
2 أربت : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .
3 لا شبّ قرنك : لا كبرت .
4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ل : لابن .
6 ديوان عمر : 142–143 .

تقولُ ليتَ أبــا الخَطَّابِ وافقنا   كي نَلْهُوَ اليـومَ أو نُنْشَدَ أشعارا
فلم يَرُعْهُــنَّ إلاّ العِيسُ طالعـةً   بالقومِ يَحمِلْنَ رُكْبانًا وأكْوارا[1]
وفارسٌ يحمـل البازِي فقُلْنَ لهـا   ها هُمْ أولاءِ ومـا أكثَرْنَ إكثارا
لمــا وَقَفْنـا وعَنّـنَّا ركائبنـــا   بُدِّلْنَ بالعُرْفِ بعد الرَّجْعِ إنكارا[2]

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرْبَعْ على الطَّلَــلِ   ومَغْنــى الحــيِّ كالخِلَلِ
لهنــدٍ إنّ هنــداً حُبُّـــ   ـها قــد كان من شُغُلي
[فلمّا أن عرَفْــتُ الدا   رَ عُجْتُ لِرَسْمِها جَمَلي
وقلتُ لصُحْبَتي عُوجُوا   فعاجُوا هِـــزَّةَ الإبلِ]
وقالــوا قِفْ ولا تَعْجَلْ   وإن كُنَّــا عــلى عَجَلِ
قليــلٌ في هـــواكَ اليو   مَ مـا نَلْقَى مــن العَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ عن الهشاميّ وحَبَش . ومنها[4] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هـــاجَ ذا القلبَ منزلُ   بــالبُلَيَّيْــنِ مُحْــولُ
غَيَّرتْ آيَــــهُ الصَّبــا   وجَنُـــوبٌ وشَمـــألُ
إنّ هنداً قَــدَ ٱرسَلتْ   وأخـــو الشوقِ مُرْسِلُ
أرسَلَـــتْ تَسْتَحِثُّنــي   وتُفَـــدِّي وتَعْـــذُلُ
أَيُّنـــا بـــاتَ ليلَــه   بــين غُصْنَيْنِ يُوبَـــلُ
تحــــتَ عَيْنٍ يكُنُّنــا   بُــرْدُ عَصْــبٍ مُهَلْهَلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى البِنصر ، ذكر إسحاق أنّه لمالك ، وذكر

---

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .
2 وعنّنّا في ل : وغيبنا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجع : ترديد النظر .
3 ديوان عمر : 291 .
4 قارن بديوان عمر : 299–300 وفيه أنّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنّه لابن مُحْرِز . وذكر يونس أنّ فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنّه لابن زُرْزُر الطّائِفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، وروتْ مثلَ ذلك دَنانيرُ عن فُلَيح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعه ورواية الهشاميّ . وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ بالخِنصر والبِنصر عن ابن المَكّيّ . وفيه للحجبِيّ[1] رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ نسَبه ابن المكّي إلى ابن مُحرِز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه خفيف رَمَل ذكر الهشاميّ أنّه لحن ابن مُحْرِز . ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ هل تدري وقد جَمَدتْ ... عَيني بما أَلْقَى من الوَجْدِ[3]

لّما رأيتُ دِيارَها دَرَستْ ... وتبَدَّلتْ أعلامُها بَعْدِي

وذكَرتُ مَجْلِسَها ومجلسَنا ... ذاتَ العِشاء بمَهْبِط النَّجْدِ

ورسالةً منها تُعاتِبُني ... فرَدَدْتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ

الغناء ليحيى المَكّيّ رَمَلٌ بالوُسطى . وفيه لغيره ألحان أخَرُ . ومنها[4] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً انْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجدْ

وآسْتَبدَّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ

ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... ذاتَ يومٍ وتَعرَّتْ تَبْتَرِدْ

ويروى : زعَمُوها سألتْ جاراتِها

أكَما يَنْعَتُني تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ

فَتَضاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدّ

حسداً حُمِّلْنَه من أَجْلِها ... وقديماً كان في الناسِ الحَسَدْ

الغناء لابن سريجٍ رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غيرُ مجنس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنّه لحنٌ

1 ل : ليحيى .
2 ديوان عمر : 104–105 .
3 ألقى في ل : أخفي .
4 ديوان عمر : 101 .

لمالكٍ ، ويقال إنّه لمُتَيَّمَ . ومنها[1] : [من مجزوء الرجز]

صوت

هــاجَ القَرِيضَ الذِّكْرُ لَمّا غَـدَوْا فانْشَمَرُوا[2]
عـلى بِغــالٍ شُحَّجٍ قــد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ[3]
فيهنّ هنــدٌ ليتني مــا عُمِّرتْ أعَمَّرُ
حتّى إذا مــا جاءها حَتْــفٌ أتــاني القَدَرُ

لابن سُرَيْج فيه لَحنان : رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيفُ رملٍ عن الهشاميّ . ومنها[4] : [من السريع]

صوت

يـا مَـنْ لِقَلْبٍ دَنِـفٍ مُغْرَمِ هــامَ إلى هِنْـدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِيــمٍ هَضِيمِ الحَشا عَذْبِ الثّنايـا طَيِّـبِ المَبْسِمِ
لم أَحْسَبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ ولا ذي دَمِ
قالـت أَلا إنَّــكَ ذو مَلَّــةٍ يَصْرِفُكَ الأدْنــى عــن الأقْدَمِ
قلــتُ لهـا بــل أنــتِ مُعْتَلَّةٌ في الوَصْلِ يا هندُ لكي تَصْرِمي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لبُدَيح لحنٌ قديمٌ . وقيل : إنّ فيه رَمَلاً آخر لعَمّارة مولاةِ عبد الله بن جعفر . ومنها[5] : [من الطويل]

صوت

تَصابَى وما بعضُ التَّصابي بطائِلِ وعاوَدَ مـن هندٍ جَوًى غيرُ زائِلِ
عَشِيَّةَ قالتْ صَدَّعَتْ غَرْبَةُ النَّوى فما من تَلاقٍ قد أَرى دونَ قابِلِ
وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ مَجْلِساً لنــا مَـرّةً منهـا بقَــرْنِ المنازلِ
بنَخْلَــةَ بــين النَّخْلتــين يَكُنُّنـا من العَيْنِ عند العين بُرْدُ المَراجِلِ[6]

---

1 ديوان عمر : 196–197 .
2 انشمروا : مضوا مسرعين .
3 الشحيج : صوت البغل .
4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ديوان عمر : 302 .
6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه للعُمانيّ خفيفُ ثقيلٍ عن دنانير والهشاميّ . ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

لَـجَّ قلبِي في التَّصابِي وازْدَهـى عنِّـي شَبَابِي
ودَعانِـي لِهَـوى هنـ ـدٍ فـؤادٌ غيرُ نابي
قلتُ لَمّا فاضَتِ العَيْـ ـنانِ دَمْعاً ذا انْسِكابِ
إنْ جفَتْنِي اليومَ هندٌ بعــدَ وُدٍّ واقتــرابِ
فسبيلُ النـاسِ طُـرّاً لفَنـــاءٍ وذَهـــابِ

الغناء لأهل مكّة رَمَلٌ بالوُسطى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عليّ الأسديّ ، وهو بِشْرُ بن موسى بن صالح ، قال حدّثني أبي موسى بنُ صالح عن أبي بكر القُرَشيّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمِنىً في فِناء مِضْرَبه وغلمانه حوله ، إذ أقْبلتِ امرأةٌ بَرْزَةٌ[2] عليها أثرُ النَّعْمةِ ، فسلَّمتْ ، فردَّ عليها عمرُ السلام ، فقالت له : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت له : حيَّاكَ اللهُ وقَرَّبَك ! هل لك في محادثة أحسنِ الناس وجهاً ، وأتمِّهم خَلْقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حَسَباً ؟ قال : ما أَحَبَّ إليّ ذلك ! قالت : على شرطٍ . قال : قُولي . قالت : تُمْكِنُني من عينيك حتى أَشُدَّهما وأقودَك ، حتى إذا توسَّطْت الموضع الذي أُريد حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مِضْرَبك . قال : شأنَكِ ، ففعلتْ ذلك به . قال عمر : فلمّا انتهتْ بي إلى المِضْرَب الذي أرادت كشَفَتْ عن وجهي ، فإذا أنا بامرأة على كرسيّ لم أرَ مثلَها قطُّ جمالاً وكمالاً ، فسلَّمْتُ وجلستُ . فقالت : أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر . قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاكِ جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : ألستَ القائل[3] : [من الكامل]

صوت

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي لأُنَبِّهَــنّ الحَـــيَّ إن لم تَخرُجِ[4]

---

1 ديوان عمر : 31 .

2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدّثهم .

3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .

4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوفَ يمينِها فتبسَّمَتْ ... فَعلِمـتُ أنّ يمينَهـا لم تَحْرَجِ
فتناولـتْ رأسي لِتعـرِف مَسَّه ... بمُخَضَّبِ الأطـرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[1]
فَلثِمْتُ فاهـا آخِـذاً بقُرونِها ... شُرْبَ النَّزِيف ببَرْدِ ماء الحَشْرَجِ[2]

الغناء لمعبد ثقيل أوّلُ بالبنصر عن يونس وعمرٍو .

ثم قالت : قم فاخرج عنِّي ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشدَّت عينيّ ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مِضرَبي ، وانصرفتْ وتركتني . فحلَلتُ عينَيّ وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبِتُّ ليلتي ، فلمّا أصبحتُ إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك في العَوْد ؟ فقلت : شأنَكِ . ففعلتْ بي مثل فِعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلمّا دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسيّ . فقالت : إيهِ يا فَضّاحَ الحَرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وناهِدَةِ الثَدْيَيْنِ قلتُ لهـا اتَّكِي ... على الرملِ مِـن جَبَّانةٍ[3] لم تَوَسَّدِ[4]
فقالت على اسمِ اللهِ أمرُك طاعةٌ ... وإن كنتُ قـد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلمّا دنا الإصباحُ قالتْ فضحتَني ... فقُمْ غيرَ مطرودٍ إن شئتَ فازْدَدِ

الغناء لأهل مكّة ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشاميّ . ثم قالت قُمْ فاخرج عنِّي . فقمتُ فخرجتُ ثم رُدِدْتُ . فقالت لي : لولا وَشْكُ الرحيل ، وخوفُ الفَوت ، ومحبَّتي لمُناجاتك والاستكثار من محادثتِك ، لأَقْصَيتُك ؛ هاتِ الآن كلِّمني وحدِّثني وأنشدني .

فكلَّمتُ آدبَ الناس وأعلمهم بكلّ شيء . ثم نهضتْ وأبطأت العجوز وخلا لي البيتُ ، فأخذتُ أنظر ، إذا أنا بتَوْرٍ[5] فيه خَلوقٌ[6] ، فأدخلت يدي فيه ثمّ خبأْتُها في رُدني . وجاءت تلك العجوز فشدَّت عينيّ ونهضتْ بي تقُودني ، حتى إذا صرت على باب المِضرب أخرجتُ يدي فضربتُ بها على المِضرب ، ثم صرتُ إلى مِضربي ، فدعوت غلماني فقلتُ : أيُّكم يَقِفُني على باب مِضرب عليه خَلُوقٌ كأنّه أثر كَفٍّ فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .
2 النزيف : الشديد العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .
3 الجبانة هنا : الصحراء .
4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .
5 تور : إناء صغير .
6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريَّةً ، وإذا المِضربُ مضربُ فاطمة بنت عبدالملك بن مروان . فأخذت في أُهبة الرَّحيل ؛ فلمّا نَفَرتْ نفرتُ معها ، فبصُرَتْ في طريقها بقِبابٍ ومِضرب وهيئة جميلة ، فسألتْ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه : قولي له نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحم أن تَصحَبني ، ويحَكَ ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصَرِف ولا تفضَحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوَجِّه إليَّ بقميصها الذي يلي جلدها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجَّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفاً . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك[1] : [من الكامل]

ضاق الغَداةَ بحاجتي صَدْري ويئستُ بعد تقارُبِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةَ التي عُلِّقتُها عَرَضاً فيا لَحوادث الدَّهْرِ

وفي هذه القصيدة ممّا يُغَنَّى فيه قوله : [من الكامل]

صوت

مَمْكُورةٌ رَدْعُ العبير بها جَمُّ العِظام لطيفةُ الخَصْرِ[2]
وكأنّ فاها عند رَقْدَتِها تَجْرِي عليه سُلافَةُ الخَمْرِ[3]

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيلٍ من جامعه . وفيه لمُتَيَّمَ رَملٌ من جامعها أيضاً . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة : [من الكامل]

فسَبَتْ فؤادي إذ عرَضْتُ لها يومَ الرَّحيلِ بساحة القَصْرِ
بمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبير به حَسَنِ التَّرائبِ واضِحِ النَّحْرِ
وبجيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ يَرْعى الرِّياضَ ببلدةٍ قَفْرِ[4]
لمّا رأيتُ مَطِيَّها حِزَقاً خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبرِ[5]
وتبادرَتْ عَيْناايَ بعدهم وانهلَّ دمعُهما على الصَّدْرِ

---

1 ديوان عمر : 179–180 .
2 ممكورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .
3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .
4 آدم : أسمر . والشادن : الظبي . خرق : ذو حيرة .
5 الحزق : الجماعات .

ولقد عَصَيتُ ذَوِي القرابةِ فيكمُ طُــرًّا وأهــلَ الوُدِّ والصِّهْرِ[1]
حتى لقــد قالوا ومـا كذَبوا أجُنِنتَ أم بك داخلُ السِّحْرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق عن محمد بن أَبان قال حدّثني الوليد بن هشام القحذميّ عن أبي معاذٍ القُرَشيّ قال : لمّا قَدِمتْ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكّةَ جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحَجَّاج ؛ لأنّه كان كتب إليه يتوعَّدُه إن ذكرها أو عرَّض باسمها . فلمّا قضت حجَّها وارتحلت أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

صوت

كِدْتُ يومَ الرَّحِيل أَقضِي حياتِي ليتَنِي مُتُّ قبلَ يــومَ الرَّحِيلِ
لا أُطِيقُ الكلامَ من شدّة الخو فِ ودَمْعِي يَسِيلُ كلَّ مَسِيلِ
ذَرَفتْ عينُها وفاضَتْ دُموعِي وكِلانـا يَلْقـى بلُبٍّ أَصِيلِ[3]
لــو خَلَـتْ خُلَّتِي أصبتُ نَوالاً أَوْ حديثاً يَشْفِـي مِنَ التَّنْوِيلِ[4]
ولَظَـلَّ الخَلْخالُ فـوقَ الحَشايا مثــلَ أثنـاءِ حَـيَّـةٍ مَقْتُولِ
فلَقَـدْ قالــتِ الحبيبــةُ لــولا كثرةُ الناسِ جُــدْتُ بالتَّقْبِيلِ

غنّى فيه ابن مُحْرِزٍ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشْباهِ عن إسحاقَ وفيه لِعَبادِلَ خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ويقال إنّه للهُذَليّ . وفيه لعبيد الله بن أبي غسَّان ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني أبو عليّ الحسن بن الصَّبَّاح عن محمد بن حَبيب أنّه أخبره : أنّ عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مَروان[5] : [من المديد]

صوت

يــا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكَـرُ وحُمُولُ الحــيِّ إذ صَدَرُوا
ضَرَبوا حُمْــرَ القِبابِ لهـا وأُدِيــرتْ حولَهــا الحُجَرُ

---

1 ذوي القرابة في ل : ذوي أقاربها .
2 ديوان عمر : 296–297 .
3 يلقى في ل : يلهى .
4 التنويل : الاعطاء .
5 ديوان عمر : 184–186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سلَكُوا شِعْبَ النِّقابِ بهـا زُمَـراً تَحْتَثُّهـا زُمَـرُ[1]
وطَرَقْـتُ الحَـيَّ مُكتَتِماً ومَعِـي عَضْبٌ بـه أثُرُ
وأخٌ لم أخْشَ نَبْوَتَـه بنَواحـي أمرِهِـمْ خَبَرُ
فـإذا ريـمٌ على فُـرُشٍ في حِجال الخَزِّ مُخْتَدِرُ[2]
حَوْلَـه الأَحْـراسُ ترقُبه نُـوَّمٌ من طولِ مـا سَهِرُوا
شبَـهُ القَتْـلى ومـا قُتِلُوا ذاكَ إلاّ أنّهـم سَمَـرُوا
فَدَعتْ بالوَيْل ، ثم دَعَتْ حُـرَّةً مـن شأنها الخَفَرُ
ثـم قالـت لِلّتـي مَعَها وَيْحَ نَفْسي قـد أتى عمرُ
مالَـه قـد جـاء يَطْرُقُنا ويَرَى الأعداء قد حَضَرُوا
لِشَقائِـي كانَ عُلِّقَنـا ولِحَيْنِـي ساقـه القَدَرُ
قلتُ عِرْضي دُونَ عِرضِكُمُ ولِمَـنْ ناواكُـمُ الحَجَـرُ

هذا البيت الأخير ممّا فيه غناء مع :

وطَرَقْـتُ الحَـيَّ مُكتتِماً

للغَريض

وفي : يـا خَليـلي شَفَّنِي الذِّكَرُ
وفي : قلتُ عِرْضي دونَ عِرضِكمُ
وفي : ثـمَّ قالـتْ للتـي معها
وفي : مالـه قـد جـاء يطرُقنا

[ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو]

وفي : ضَربوا حُمْـرَ القِبابِ لهـا

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ خفيفُ رملٍ بالوُسطى للهُذليّ .

وفي : «وطرقتُ» وبعده : «فإذا ريم» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها بعَيْنِها ثقيلٌ أوّلُ يقال إنّه للأَبجَر ، ويُنسب إلى غيره عن الهشاميّ .

---

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .

2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الرُّكن تستلمُه ، فبُهِت لمّا رآها ورأته ، وعلمتْ أنّها قد وقعت في نفسه ، فبعثتْ إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتَّقِ الله ولا تَقُل هُجْراً ؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيتَ . فقال للجارية : أقْرِئيها السلامَ وقولي لها : ابن عمّك لا يقول إلاّ خيراً[1] . وقال فيها[2] : [من الوافر]

صوت

لعائشةَ ابنــةِ التَّيْميّ عنـدي ... حِمًى في القلبِ ما يُرْعَى حِماها

يُذَكِّرُني ابنـةَ التَّيْمِـيّ ظبـيٌ ... يَـرُودُ برَوْضَةٍ سَهْـلٍ رُباها

فقلتُ له ، وكاد يُراعُ قلبي ، ... فلــم أرَ قَـطُّ كاليوم اشتِباها

سِوى حَمْشٍ بِساقِكَ مُستبينٍ ... وأنّ شَواكَ لم يُشْبِــهْ شَواها[3]

وأنّــكَ عاطــلٌ عــارٍ وليستْ ... بعاريــةٍ ولا عُطُـلٍ يَــداها

وأنّكَ غيرُ أفْرَعَ وهــي تُدْلِي ... على المَتْنَيْنِ أسحمَ قـد كَساها[4]

ولــو قَعَدتْ ولم تَكْلَفْ بــوُدٍّ ... سوى ما قد كَلِفتُ بـه كَفاها

أظَـــلُّ إذا أُكَلِّمُهـا كأنّــي ... أُكَلِّـــم حيّـــةً غَلَبَـتْ رُقاها

تَبيتُ إليَّ بعــد النــوم تَسْري ... وقد أمسيت لا أخشى سُراها

الغناء في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيل أوّل . وفيهما لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف ثقيلٍ جميعاً عن الهشاميّ . وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسَب إلى معبد ؛ وهو يُشبه غناءه إلاّ أنّه لم يَرْوِه عن ثبَتٍ[5] ولم يذكُر طريقتَه . قال : وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فِتيان بني تميم ، أبلغهم إيّاه فتًى منهم قال لهم : يا بني تَيم بن مرّة ، هالله ليَقذِفَنَّ بنو مَخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ، فمشى ولدُ أبي بكر وولدُ

---

1 ل : حسناً .

2 ديوان عمر : 442 .

3 حمش : دقّة الساقين .

4 أفرع : طويل الشعر .

5 ثبت : ثقة .

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي أوّلها[1] : [من البسيط]

صوت

يـا أمّ طَلْحةَ إنّ البَيْنَ قـد أَفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحِيلُ غَدا[2]

أمسى العِراقيّ لا يَدْرِي إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أو سجَدا

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر يَنسُب بعائشة أيّام الحجّ ويطوف حولها ويتعرّض لها وهي تكره أن يرى وجهَها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أمَا والله لقد كنتُ لهذا منكَ كارهة يا فاسقُ ، فقال[3] : [من الكامل]

صوت

إنّي وأوّلَ مـا كَلِفْتُ بذِكْرِها ... عَجَبٌ وهل في الحبِّ من مُتَعَجَّبِ[4]

نَعَتَ النساءُ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ ... شَبَهاً لهـا أبـداً ولا بمُقَرِّبِ

فمكَثْنَ حِيناً ثـم قُلْنَ تَوجَّهَتْ ... للحَجِّ ، موعِدُها لِقاءُ الأَخْشَبِ[5]

أقبلتُ أَنظرُ مـا زعمنَ وقُلْنَ لي ... والقلبُ بـين مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبِ[6]

فلَقِيتُها تَمْشي تَهـادى مَوْهِنـاً ... ترمـي الجمارَ عَشِيَّةً في مَوْكِبِ

غَـرَّاءَ يُغْشي الناظريـنَ بياضُها ... حَـوْراءَ في غُلَواءِ عيشٍ مُعْجِبِ

إنَّ التي مِـنْ أرضِهـا وسمائهـا ... جُلِبَـتْ لحَيْنِك ليتَهـا لم تُجْلَبِ

الغناء لمعبدٍ في الأوّل والثاني والرابع والسابع ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيها للغريض خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، يُبْدأ فيه بالثالث .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفّان عن إسحاق قال أخبرني مُصْعب الزبيريّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكّة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قِفِي حتى

---

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : اقترب .

3 ديوان عمر : 49 ، 50 .

4 في الحب في ل : في الدهر .

5 الأخشب : أحد جبلين بمكّة .

6 زعمت في ل : عزمن .

أُسمِعك ما قلتُ فيك . قالت : أَوَقد قُلْتَ[1] يا فاسق ؟ قال : نعمْ ، فوقفتْ فأنشدها[2] : [من البسيط]

صوت

يا ربَّة البغلة الشَّهباءِ هل لكِ في أن تُنْشِري مَيِّتاً لا تُرْهِقِي حَرَجا[3]

[ويروى : هــل لكُــمُ في عاشقٍ دَنِفٍ]

قالت بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجُه فما نَــرى لكَ فيما عندنا فَرَجا

قَــد كنــتَ حمَّلتَنا غيظاً نُعالِجُه فإن تُقِدنــا فقــد عَنَّيْتَنا حِجَجا[4]

حتَّى لَوَ اسْطِيعُ ممَّا قــد فعلتَ بنا أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجا

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاقُ ولم يُجنِّس منها إلاّ واحداً ، وذكر الهشاميّ أنّ أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أنّ الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا وربٍّ هذه البَنِيَّة ! ما عنَّيْتَنا طَرْفَةَ عينٍ قطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسْ[5] ، وسارتْ . وتمام هذه الأبيات : [من البسيط]

فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له مــا مَجَّ حُبُّكِ من قلبي ولا نَهِجا

ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسَرُّ به مُــذْ بانَ منزلُكم منَّــا ولا ثَلِجا

ضَنَّتْ بنائلها عنه فقــد تَرَكتْ في غير ذنبٍ أبا الخَطَّاب مُخْتَلِجا

قال : فلم تَزل عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرَّض لها حتى قضت حجَّها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك[6] : [من الرمل]

إنّ مَنْ تَهْوى مع الفجرِ ظَعَنْ لِلْهَوى والقلبُ مِتْباعُ الوَطَنْ

بانتِ الشمسُ وكانت كلَّما ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنْ[7]

---

1 ل : أو قد فعلت .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أقاد به : قابله بالقصاص ؛ عنّاه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أُخرى في الديوان ص 414 .

7 الددن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ   فأتَمِـرْ أمـرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ
نظَرَتْ عَيني إليهـا نظرةً   تَركتْ قلبي لَديْها مُرتَهَنْ
ليس حبٌّ فوقَ ما أَحببتُها   غيرَ أنْ أَقتُلَ نفسي أو أُجَنّ

فيها ثاني ثقيل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سُريج ، ونسبه ابن المكّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مكّة .

وممّا يُغَنّى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أوّلُها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـــنْ لقلبٍ أَمْسى رهيناً مُعَنّى   مُستكيناً قـد شَفَّـه مـا أَجَنّا[2]
إثْرَ شخصٍ نفسي فَدَتْ ذاك شخصاً   نـــازِح الدّارِ بالمدينـــة عنّــا
ليتَ حَظّي كطَرْفــةِ العينِ منها   وكثيرٌ منهــا القليـــلُ المُهَـنّا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ومحمد بن خَلَف قالا حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن التَّيميّ عن هشام بن سليمان بن عِكرِمة بن خالد المخزوميّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعدٍ المخزوميّة ، فأرسل إليها رسولاً فضربتْها وحَلَقَتْها وأحلفتَها ألاّ تُعاود ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسُلُه . فابتاع أَمَةً سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكَساها وآنسَها وعرَّفها خبرَه وقال لها : إنْ أَوصلتِ لي رُقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنتِ حُرّةٌ ولكِ معيشتك ما بَقِيتِ . فقالت اكتُب لي مُكاتبةً واكتُب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضتْ بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أَمَـةٌ لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مُكاتبةٌ[3] لبعض أهل مولاتك جئتُ أَستعينُها في مُكاتبتي ، وحادثـتْها وناشدتها حتى ملأتْ قلبَها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إنّ بالباب مُكاتبةً لم أَرَ قطُّ أجمل منها ولا أكملَ ولا آدَبَ . فقالت : ائذَني لها ،

---

1 ديوان عمر : 406 .
2 رهينا في ل : حزيناً .
3 المكاتبة : أمة قد كتب لها سيدها أن يحررها لقاء مبلغ تدفعه مقسّطاً .

فدخلت . فقالت : مَن كاتَبَكِ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فاقرئي مكاتبتي . فمدّت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئيها ؛ فإن كان منكِ إليّ شيءٌ ممّا أُحِبُّه وإلاّ لم يَلحَقْنِي منكِ مكروهٌ ؛ فعاهدتها وفَطِنَتْ . وأعطتْها الكتاب ، فإذا أوّله[1] : [من السريع]

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى قـد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَم
رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى إليـكِ للحَيْـنِ ولم أَعْلَم
قَتَلْتِنا ، يـا حبَّـذا أنتـم ، في غيرِ مـا جُرْمٍ ولا مَأْثَم
واللهُ قـد أَنْزَلَ في وَحْيِهِ مُبيِّنـاً في آيـهِ المُحْكَم
مَنْ يَقْتُلِ النفسَ كذا ظالماً ولم يُقِدْهـا نفسَه يَظْلِم
وأنتِ ثَأْرِي فتَلافَيْ دَمِـي ثم اجعلِيـه نعمـةً تُنْعِمِي
وحَكِّمِـي عَـدْلاً يكُنْ بيننا أو أنتِ فيما بينَنا فاحكُمِي
وجالِسِيني مَجْلِساً واحـداً من غيرِ مـا عارٍ ولا مَحْرَم
وخبِّريني مـا الذي عندَكم باللهِ في قتلِ امرىءٍ مُسْلِم

قال : فلمّا قرأتِ الشعر قالت لها : إنّه خدّاعٌ مَلِقٌ ، وليس لما شَكاه أصلٌ . قالت : يا مولاتي ، فما عليكِ من امتحانه ؟ قالت : قد أذِنْتُ له ، وما زال حتّى ظَفِرَ ببُغْيَتِه ؛ فقولي له : إذا كان المساءُ فَلْيَجلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيَه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهّب لها . فلمّا جاءه رسولُها مضَى معه حتى دخل إليها وقد تهيّأت أجمل هيئة ، وزيَّنت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء سِتر ، فسلَّم وجلس . فتركته حتى سكن ، ثـم قالت له : أخبِرني عنكَ يا فاسق ! ألستَ القائلَ[2] : [من الكامل]

هلاَّ اسْتَحَيْتِ فتَرْحَمِي صَبّا صَدْيانَ لم تَدَعِي له قَلْبا[3]
جَشِمَ الزيـارةَ في مَودّتِكم وأرادَ ألاّ تُرْهَقِـي ذَنْبـا
ورَجا مُصالحَةً فكان لكم سِلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبا[4]
يا أيّها المُعْطِـي مودّتَـه مَنْ لا يَراكَ مُسامياً خِطْبا[5]

1 ديوان عمر : 389–390 .
2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .
3 استحيتِ في ل : ارعويت .
4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .
5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنْ أحداً عليك إذا أحببتَه وهَوِيتَه ربَّا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ به واطوِ الزيارةَ دونَه غِبَّا
فَلَذاكَ أحسنُ من مُواظَبَةٍ ليستْ تَزيدُكَ عنده قُرْبا
لا بل يَمَلُّكَ عند دَعْوته فيقولُ هاهِ وطالما لَبَّى[1]

فقال لها : جُعِلتُ فِداك ، إنّ القلب إذا هَوِي نطق اللسان بما يَهوى . فمكث عندها شهراً لا يدري أهلُه أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن[2] فَضَحْتَني ؟ لا والله لا تخرج إلاّ بعد أن تتزوّجني . ففعل وتزوّجها ؛ فولدت منه ابنين أحدهما جُوانٌ ؛ وماتت عنده .

[عمر ولبابة بنت عبد الله بن العبّاس]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المهلَّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد قال حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه : أنّ عمر رأى لبابة بنت عبدالله بن العبّاس امرأة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خَلْق الله ، فكاد عقلُه يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها[3] : [من الكامل]

صوت

وَدِّعْ لُبابَةَ قبلَ أن تَتَرحَّلا واسْأَلْ فإنَّ قُلالَةً أن تَسْأَلا[4]
إلبَثْ بِعَمْرِك ساعةً وتأنَّها فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
لَسْنا نُبالي حين تَقْضي حاجةً ما باتَ أو ظَلَّ المَطِيّ مُعَقَّلا
حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلامُه ورَقَبْتُ غفلةَ كاشحٍ أن يَمحُلا[5]
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنّها أَيْم يَسِيبُ على كثِيبٍ أَهْيَلا[6]
رحَّبْتُ حينَ رأيتُها فتبسَّمَتْ لتحيَّتي لَمّا رأتْني مُقبِلا
وجَلا القِناعُ سَحابةً مشهورةً غَرّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمّلا

1 هاه : كلمة وعيد .
2 ل : أبعد ما .
3 ديوان عمر : 311 .
4 قلالة : قليلة .
5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .
6 تتأطر : تتثنى . الأيم : الحية .

فَلَبِثْتُ أُرْقِيها بما لو عاقِلٌ يُرقَى به ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزِلا

غنَّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، ابتداؤه نشيدٌ . وفيها لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً . وفيها لابن سريج في الأوّل والرابع من الأبيات رمل عن ابن المكّيّ ، ولأبي دُلَفَ القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ بالسبابة والبنصر ، وابتداؤه نشيد من رواية ابن المكّيّ . وفيه لمحمد بن الحسن بن مُصعبٍ هزجٌ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا حَجَّ الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبد فغنّاه : [من الكامل]

وَدِّعْ لبابــةَ قبـــل أن تترحَّلا

فلم يزل يُردِّده عليه ، ثم أخرجه معه لمّا رَحل عن المدينة ، فغنّاه في المنزل به حتى أراد الرَّحِيل ، فحمله على بغلةٍ له وذهب غلامٌ له يَتبعُه ؛ فقال : إلى أين ؟ فقال : أمْضِي معه حتى أجيءَ بالبغلة . فقال : هيهات ! ارجع يا بنيّ ، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك . وقد رُوي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو : [من الطويل]

تشكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

[عمر والثريا]

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنتِ عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس بن عبد مَناف ، وهم الذين يقال لهم العَبَلاتُ ؛ سُمُّوا بذلك لجَدّةٍ لهم يقال لها عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازِل بن قيس بن مالك بن حَنظَلَةَ بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم ، وهي من بطنٍ من تميم يقال لهم البراجِم ، غيرُ براجِمِ بني أسد .

[نسب الثريا بنت علي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة ، عند رجل من بني جُشَمَ بن معاوية ، فبعثها بأنحاء[1] سمنٍ تبيعها له بعكاظ ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما ، وشربتْ بثمنها الخمر . فلمّا نفِد ثمنُها رهنتِ ابنَ أخيه وهربَتْ ، فطلَّقها . وقالت في شُرْبِها الخمر : [من المتقارب]

1 أنحاء : جمع نحي وهو الزق .

شَرِبتُ براحلَتَيْ مِحْجَنٍ فيا وَيْلتي ، مِحْجَنٌ قاتِلِي
وبابنِ أخيه على لذّةٍ ولم أَحْتَفِلْ عَذَلَ العاذِلِ

قال : فتزوّجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدتْ له أُميَّةَ الأصغر وعبدَ أُميَّةَ ونَوْفَلاً ، وهم العَبَلاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بكّار عن عمّه : أنّ الثُّرَيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وأنّها أُختُ محمد بن عبد الله المعروف بأبي جِرابٍ العَبْليّ الذي قتله داود بن عليٍّ ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكّي : [من الوافر]

ثلاثُ حوائجٍ ولَهُنَّ جِئنا فقُمْ فيهنّ يا ابن أبي جِرابِ
فإنّكَ ماجدٌ في بيتِ مجدٍ بَقِيّةُ مَعْشَرٍ تحتَ الترابِ

قال : وله يقول ابن زيادٍ المكّي أيضاً : [من الطويل]

إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بعُرْفٍ قرابةٌ ولم يَبْقَ في الدنيا رجاءٌ لسائِلِ

قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إنّما أَدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وورِث بقُعْدُدِه[1] في النَّسب دار عبد شمس بن عبد مناف ، وحَجَّ معاويةُ في خلافته ، فجعل ينظر إلى الدار ، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمِحْجَنٍ ليضربه به وقال : لا أَشْبَعَ اللهُ بطنَك ، أما تَكفيكَ الخلافة حتى تطلب هذه الدار ؟ فخرج معاوية يضحك .

[ترجيح المؤلّف لنسب الثريا]

قال مُؤلِّف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبير عندي ، والثريّا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أَشبه من أن تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ ؛ لأنّها ربَّتِ الغريض المُغنِّي وعلَّمته النَّوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرَّة . وإذا كانت قد ربَّتِ الغريض حتى كبِرَ وتعلَّم النَّوح على قتلى الحرّة [وهو رجل] ، وهي وقعةٌ كانت بعَقِب موت معاوية ، فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة ، وبين ذلك وبين مَنْ قتله داود بن عليّ من بني أُميّة نحو ثمانين سنة ، وقد شَبَّب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية ، وأَنشد عبد الله بن عبّاس شِعره فيها ، فكيف تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ وقد أَدركتْ عبد الله بن عبّاس وهي امرأةٌ كبيرةٌ ! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأنّ عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير ؛ فقولُ مَن قال : إنّها بنتُه ، أصوب من قول مَن قرَنها بمن قتلَه داود بن عليّ .

---

1 القعدد : القرابة المتمكّنة في الوراثة .

وهذا القول الذي قلتُه قولُ ابن الكلبيّ وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن عليٍّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي اليقظان ، قال وحدّثني به جماعةٌ من أهل العلم بنَسَب قُريش .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني مَسْلَمَةُ بن إبراهيمَ بن هشام المخزوميّ عن أيّوب بن مَسلمة ، أنّه أخبره أنّ عمر بن أبي ربيعة كان مُسهَباً[1] بالثُّريّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وكانت عُرضَةَ ذلك جَمالاً وتماماً ، وكانت تَصيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل[2] الرُّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قِبَلَهم . فلَقِي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرَفنا خبراً ، إلاّ أنَّني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجمٌ في السماء وقد سقط عنّي اسمُه . فقال عمر : الثُّريّا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنّها عليلةٌ ، فوجَّه فرسه على وجهه إلى الطائف يركُضُه مِلء فُروجه وسلكَ طريق كَداء[3] ، وهي أخشن الطُّرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثُّريّا وقد توقَّعته وهي تتشوّق له وتُشرِف ، فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيَّا وأُمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكتْ وقالت : أنا والله أمرتُهم لأَختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر[4] : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه ... وبَيَّن لـو يَسْطِيـعُ أن يَتكلَّما[5]
فقلتُ لـه إنْ أَلْقَ للعَيْن قُـرَّةً ... فهانَ عـليّ أن تَكِـلَّ وتَسْأما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلِـي رِباطَه ... وأوصِي بـه ألاّ يُهـانَ ويُكْرَما
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهْجَتِي ... لئن لم أَقِـلْ قَرْنـاً إنِ اللهُ سَلَّما

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلتُ لأَيُّوب بن مَسلمة : أكانت الثريّا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوقَ الصِّفة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيّات : [من الخفيف]

حَبَّـذا الحجُّ والثُّريّـا ومَنْ بالـ ... ـخَيْفِ من أجلِها ومُلْقَى الرِّحالِ
يـا سليمانُ إن تُـلاقِ الثريّـا ... تَلْقَ عَيْشَ الخُلُـودِ قبـلَ الهِلالِ
دُرَّةٌ من عَقائِـلِ البحـرِ بِكْـرٌ ... لم تَشِنْهـا مَثاقِـبُ الـلأَّلِ

---

1 المسهب : السقيم من الحبّ .
2 ل : فيسائل .
3 كداء : جبل في أعلى مكّة .
4 ديوان عمر : 341 .
5 ديوان ابن الرقيات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112–113 .

تَعْقِــدِ المِئْزَرَ السُّخامَ مــن الخـ ـــزِّ على حَقْــوِ بــادِنٍ مِكْسالِ[1]

[عمر ورملة الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عمَّن أَسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة ، وذكر مثله الزبير بن بكّار فيما حدّثنا به عنه الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني مؤمن بن عمر بن أَفلح مولى فاطمة بنتِ الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم قال حدّثني بِلالٌ مولى ابن أبي عتيق : أنّ الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة قدِم للحجّ ، فأتاه ابن أبي عتيق فسلَّم عليه وأنا معه . فلمّا قضَى سلامه ومُساءلته عن حجِّه وسفره ، قال له : كيف تَركْتَ أبا الخطّاب عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : تركتُه في بُلَهْنِيَةٍ[2] من العيش . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : حَجَّتْ رَملَة بنت عبد الله بن خَلَفٍ الخزاعية فقال فيها[3] : [من الخفيف]

صوت

أصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يــومَ فارَقَ الظَّاعِنِينا

قلتُ مَنْ أنتُمُ فصَدَّتْ وقالتْ أَمُبِــدٌّ سؤالَــكَ العالَمِينا[4]

نحن من ساكني العِراق وكُنّا قبلَــه قاطنــين مكّــةَ حِينا

قد صَدَقْناكَ إذ سألتَ فمن أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤُونا

ونَــرى أنّنا عَرَفْنــاكَ بالنَّعْـ ـتِ بظَــنٍّ ومــا قَتَلْنا يَقِينا

بسَوادِ الثَّنِيَّتَيْـــنِ ونَعْـــتٍ قــد نَــراه لناظــرٍ مُستَبِينا

غنَّى معبدٌ في البيتين الأوّلين خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوُسطى في مجراها عن إسحاق . وغنَّى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبابة في مجرى البِنصر عنه أيضاً . وذكر حبش أنّ فيه للغريض أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر . قال : فبلغ ذلك الثُّريّا ، بلَّغَتْها إيَّاه أُمُّ نوفلٍ ، وكانت غَضَبى عليه ، وقد كان انتشر[5] خبرُه عن الثريّا حتى بلغَها من جهةِ أُمِّ نَوفلٍ وأنشدتها قوله : [من الخفيف]

أَصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يــومَ فــارقَ الظاعِنِينا

1 السخام : اللين .

2 في بلهنية : في عيش مرفه .

3 ديوان عمر : 425–426 .

4 أمبدّ سؤالك العالمينا : أقسّم سؤالك على جميع الناس .

5 ل : استتر .

فقالت : إنّه لوقاحٌ صنع[1] بلسانه ، ولئن سلِمتُ له لأَرُدَّنَّ من شأوِه ، ولأَثنِيَنَّ من عِنانه ، ولأُعَرِّفَنَّه نفسه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

قُلتُ مَن أنتمُ فصدَّتْ وقالتْ　　أَمُبِــدٌّ سُؤالَــكَ العالَمِينــا

فقالت : إنّه لَسأَلٌ مُلِحٌّ ، [قُبحاً له] ولقد أجابته إن وَفَتْ . فلمّا بلَغتْ إلى قوله : [من الخفيف]

نحن من ساكني العراقِ وكنّا　　قبلَــه قاطنِــين مكّــةَ حِينا

قالت : غَمَزَتْه الجَهمَةُ[2] ، فلمّا بلَغتْ إلى قوله : [من الخفيف]

قد صدَقْناك إذ سألتَ فمن أنـ　　ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

قالت : رَمَتْه الوَرْهاءُ[3] بآخر ما عندها في مقامٍ واحد . وهَجرتْ عمرَ .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمِّي مُصعب : أنَّ رملة بنت عبد الله بن خلف حجَّت ، فتعرّض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها : [من الخفيف]

أصبَحَ القلبُ في الحِبال رهينا　　مُقصَداً يَــوم فــارقَ الظاعِنينا

وقال في هذه القصيدة : [من الخفيف]

فــرأَتْ حِرْصيَ الفتاةُ فَقالتْ　　خَبِّرِيهِ ، من أَجْلِ مَن تَكتُمِينا ؟

نحن من ساكني العِراق وكنّا　　قَبلَــه قاطِنـين مكّــةَ حينا

قد صدّقناك إذ سألت فمن أنـ　　ـتَ عَسى أن يَجرّ شأنٌ شؤونا

قال الزبير : ورملَةُ هذه أُمُّ طَلحة بن عمرَ بن عُبَيد الله بن معمرٍ التَّيميّ ، وهي أُخت طلحة الطَّلحات بن عبد الله بن خَلَفٍ الخُزاعيّ .

[كثير يتغزّل بنسوة من قريش ردّاً على عمر]

قال : فبلغتْ هذه الأبيات كثيِّراً ، فغضِب لذلك وقال : وأنا والله لا أُتمارى أنْ سيَجُرُّ شأنٌ شؤونا . ثم ذكَر نسوة من قريش فساقهنّ في شعره من الحجّ حتى بلغ بهنّ إلى مللٍ[4] ، ثم أَشفَقَ فجاز ، ولم يَزِد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أوّلها[5] : [من الخفيف]

---

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .

2 الجهمة : الضعيفة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 ملل : موضع بين مكّة والمدينة .

5 ديوان كثيّر : 395–400 .

مـا عَناكَ الغَـداةَ من أَطْلالِ . دارِساتِ المُقـامِ مُـذْ أَحْوالِ

صوت

قُـمْ تأمَّلْ فأنـتَ أَبْصَرُ منّي هل تَرى بالغَمِيم من أَجْمالِ[1]

قاضياتٍ لُبانَـةً مـن مُناخٍ وطَـوافٍ ومَوقِـفٍ بالجِبالِ[2]

قِلْنَ عُسْفانَ ثم رُحْنَ سِراعاً هابِطاتٍ عَشيَّةً مـن غَزالِ[3]

وارداتِ الكَدِيـدِ مُجْتزِعاتٍ جُزْنَ وادِي الحَجُونِ بالأَثْقالِ[4]

قَصْدَ لِفْـتٍ وهُـنّ مُتَّسِقاتٌ كالعَدَوْليّ لاحِقـاتِ التَّوالِي[5]

طالعاتِ الغَمِيس مـن عَبّـودٍ سالكاتِ الخَوِيِّ مـن أَمْلالِ[6]

فسَقى اللهُ مُنْتَوى أُمِّ عمـرٍو حيث أَمَّتْ بها صُدورُ الرِّحالِ

حَبَّذا هُـنَّ مِنْ لُبانَـةِ قَلبِي وجَدِيـدُ الشَّبابِ من سِرْبالِي

رُبَّ يـومٍ أتيتُهُـنّ جميعـاً عند بَيْضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسالِ[7]

غيرَ أنّي امرؤٌ تعَمَّمْتُ حِلْماً يَكْرَه الجهـلَ والصِّبا أمثالي

غنّى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأوّل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر الهشاميّ أنّ فيها للحَجَبِيّ رملاً بالبِنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فلمّا هَجرت الثُّريّا عمر قال في ذلك : [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إلى الثُّريّا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فبلَغ ابن أبي عَتيقٍ قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تُذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيقٍ بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمرُ في شعره .

1 الغميم : موضع قرب المدينة .
2 بالجبال يروى أيضاً «بالخيال» .
3 عسفان : موضع قريب من مكّة . غزال : قرن غزال وهو وادٍ .
4 الكديد : موضع بين عسفان ورابغ .
5 لفت : واد قريب من عقبة هرشى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .
6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السيالة وملل . الخويّ : اسم واد . وأملال : اسم موضع .
7 أتيتهنّ في ل : رأيتهنّ .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةَ[1] الوجه ، عظيمةَ الأنف ، حسنةَ الجسم ، وتزوّجها عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وتزوّج عائشة بنت طَلحة بن عبيد الله وجمَع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في محاربة الخوارج مع أبي فُدَيك[2] كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلَم أنّك أشجعُ الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتَلَيت رملة وأقدمتَ على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدّثني يعقوب بن إسحاق قال : لمّا بلغ الثريّا قولُ عمر بن أبي ربيعة في رملة : [من الخفيف]

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْه   نُورَ بدرٍ يُضِيء للناظرينا

قالت : أفٍّ له ما أكذَبه ! لن ترتفع حَسناءُ بصفتِه لها بعد رملةَ .

[رحل بابنته لئلاّ يشبب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حسّان عن الرياشيّ عن العبّاس بن بكّار عن ابن دَأب : أنّ هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مكّة ، فوُلدت له جارية لم يُولد مثلها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأنّي بها وقد كَبِرَت ، فشبَّبَ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أَقَمْتُ بمكّة . فباع ضَيعةً له بالطائف ومكّة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنتُه من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تَرَ أحداً من بني جُمَحَ حضَر جنازته ، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخِلاً . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نحن ؟ ومِنْ أيِّ البلادِ نحن ؟ فخبَّرتها . فقالت : لا جَرَمَ واللهِ لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ ! فباعت الضيعة والدار ، وخرجت في أيّام الحجّ . وكان عمر يَقْدَمُ فيعتمِر في ذي القِعدة ويُحِلُّ ، ويَلبَس تلك الحُلَلَ والوَشْيَ ، ويَركَب النجائب المخضوبة بالحنَّاء عليها القُطوع[3] والدِّيباج ، ويُسْبِل لِمَّته ، ويَلقى العراقيّات فيما بينه وبين ذات عِرقٍ مُحْرِمات ، ويتلقّى المَدَنيّات إلى مَرٍّ ، ويتلقّى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعراقيّات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جارية كأنّها القمر ، تُعادِلها جارية سوداء كالسُّبجة[4] . فقال للسوداء : مَن أنتِ ؟ ومِن أين أنت يا خالة ؟ فقالت : لقد أطال الله تَعَبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .

2 أبو فديك : عبد الله بن ثور ، تغلبي خرج في البحرين أيّام بني أميّة .

3 القطوع : الطنافس .

4 السبجة : ثوب أو قميص أسود .

إن كنتَ تسأل هـذا العالم مَنْ هُم ومن أين هم . قال : فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن . قالـت : نحـن من أهل العراق ، فأمّا الأصل والمَنْشأ فمكّة ، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا ؛ فضحك . فلمّا نظَرتْ إلى سواد ثَنِيَّتَيْهِ قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة . قـال : وبِمَ عرفتني ؟ قالت : بسواد ثَنِيَّتيك وبهيئتك التي ليست إلاّ لقريش ؛ فأنشأ يقول : [من الخفيف]

قلتُ من أنتم فصَدَّتْ وقالتْ ... أَمُبِـدٌّ سؤالَـك العالَمينا

وذكر الأبيات . فلم يزل عمر بها حتى تزوّجها وولدَتْ له .

[خبر صلح الثريا وعمر]

قال : فلمّا صَرَمتِ الثريّا عمر قال فيها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ رَسُولي إلى الثريّـا فإنّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

سلبتْني مَجَّاجَـةُ المِسْكِ عَقْلِي ... فسَلُوهـا ماذا أَحَلَّ اغتصابي

وهـي مَكْنونَـةٌ تحيَّر منهـا ... في أَديم الخَدَّينِ ماءُ الشبابِ

أَبْرَزُوهـا مثلَ المَهـاةِ تَهادَى ... بـين خَمْسٍ كَواعـبٍ أَتْرابِ

ثم قالـوا تُحِبُّها قلتُ بَهْـراً ... عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ[2]

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو ، وذكر حبشٌ أنّه لمالك .

[ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني مُؤْمِن بن عمر بن أَفْلَحَ مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بِلالٌ مـولى ابن أبي عتيق قال : أُنْشِدَ ابن أبي عتيق قول عمر : [من الخفيف]

مَـنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق : إيَّايَ أراد وبي نوّه ، لا جَرَمَ واللهِ لا أَذُوقُ أُكْلاً حتى أَشْخَصَ فأُصْلِحَ بينهما ، ونهض ونهضتُ معه ؛ فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بَكْر لم تكن تُفارقهم نجائبُ لهم فُرهٌ يُكرونَها ، فاكترى منهم راحلتين وأَغلى لهم . فقلت له : استَوْضِعْهم أو دعني أماكسهم ؛ فقد اشتطّوا عليك . فقال : ويحَك ، أما علمتَ أنّ المِكاسَ ليس من أخلاق الكِرام ؟ ثم ركب

---

1 ديوان عمر : 59–60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحداهما وركبتُ الأُخرى ، فسار سَيْراً شديداً ؛ فقلتُ : أبقِ على نفسك ؛ فإنّ ما تريد ليس يَفُوتُك . فقال : وَيْحَك ، [من الخفيف]

أُبادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا

وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ بين عمَر والثريَّا ؟ فقَدِمْنا مكّة ليلاً غير مُحْرِمِين ، فدَقَّ على عمر بابه ، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركَبْ أُصلِحْ بينك وبين الثريّا ؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وقَدِمنا الطائفَ ، وقد كان عمرُ أَرْضى أُمَّ نوفل فكانت تطلبُ له الحِيَلَ لإصلاحها فلا يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمَني السفرَ من المدينة إليك ، فجئتُكِ به مُعترِفاً لكِ بذنبٍ لم يَجْنِه ، معتذراً إليك من إساءته إليك ؛ فدعِيني من التَّعدادِ والتَّرْدادِ ؛ فإنّه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحتْه أحسن صُلْح وأتمَّه وأجملَه ، وكَرَرْنا إلى مكّة ، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل .

وزاد عمر في أبياته[1] : [من الخفيف]

أَزْهَقَـتْ أُمُّ نوفـلٍ إذ دَعَتْهـا ... مُهْجَتِـي ، مـا لِقاتِلِي مِنْ مَتابِ

حـين قالتْ لهـا أَجِيبي فقالتْ ... مَنْ دعاني ؟ قالت أبو الخَطّابِ

فاستجابـتْ عنـد الدعـاء كما لبَّـ ... ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

قال الزبير : وما دَعَتْها أُمُّ نوفلٍ إلاّ لابن أبي عتيق ، ولو دَعَتْها لعمر ما أجابتْ . قال : وسألتُ عمِّي عن أُمِّ نوفلٍ ، فقال : هي أُمُّ ولدِ عبد الله بن الحارث أبي الثريّا . وسألته عن قوله :

. . . . كما لبَّـ ... ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

فقال : كرَّرَتْ في التلبية كما يفعل المُحرِم ، فقالت : لبَّيك لبيك .

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمِّه أنّ بعض المكّيِّين قال : كانت الثريّا تَصُبّ عليها جَرَّة ماءٍ وهي قائمة فلا يُصيب ظاهر فَخِذَيْها منه شيءٌ من عِظَم عَجيزَتِها .

وأخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى بخبر الثريّا هذا مع عمر ، فذكر نحواً ممّا ذكره الزبير ، وقال فيه : لمّا أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريّا أرسلت إليه : ما حاجتُك ؟ قال : أنا رسولُ عمرَ بن أبي ربيعة وأنشدها الشعرَ . فقالت : ابن أبي ربيعة فارِغٌ ونحن في شُغْلُ ، وقد تَعِبْتَ فانْزِلْ بنا . فقال : ما أنا إذاً برسول . ثم كَرَّ راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكّة فأخبره الخبر فأصلح بينهما .

1 الأبيات في القصيدة السابقة في الديوان .

حدّثني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العَنزيّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ ، وأخبرني به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوب بن عبايَة ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير عن مُؤمِن بن عمَر بن أَفلَح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر ، فلمّا استلقى قال : أَوَّهْ ! [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال ابن ابي عتيق : كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بلّغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصَلّى مَرَّ بنُصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا مِحجنٍ . قال لَبَّيْكَ ! قال : أتُودِعُ إلى سُلْمى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاكَ ؟ قال : تقول لها يا ابنَ الصِّدِّيق : إنّك مررتَ بي فقلتَ لي : أتُودِع إليها شيئاً ، فقلتُ : [من الطويل]

أَتَصْبِرُ عــن سَلْمَى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ العَزْمِ منـكَ جَدِيرُ[1]

وكِدْتُ ولَمْ أُخْلَقْ من الطيرِ إن بَدا سَنَى بـارقٍ نحـوَ الحِجـازِ أَطِيرُ

قال : فمرّ بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها «القَسْرِيَّةُ»[2] ، فأَبْلَغَها الرسالة ؛ فزفرَتْ زَفرَةً كادت أن تفرِّق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعَكِ الآن لَنَعَق وصار غُراباً . ثم مضى إلى الثريّا فأبلَغ الكتاب . فقالت له : أَما وجد رسولاً أصغرَ منك ؟ انزِل فأَرِح . فقال : لستُ إذاً برسولٍ ؛ وسألها أن ترضى عنه ، ففعلتْ . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليكِ ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خَشيتُ أن تَضيعَ هذه الرسالة . قالت : أدّى الله عنك أمانتك . قال : فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُه إليك ؟ قالت : تُنْشِده قوله في رملة : [من الخفيف]

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْـهُ ضوءَ بـدرٍ أضاءَ للناظرينا

فقال : أُعِيذُكِ بالله يا ابنةَ أخي أن تَغْلبيني بالمَثَل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : «حَريصٌ لا يَرى عملَه» . قالت : فما تشاءُ ؟ قال : تَكْتُبِينَ إليه بالرضا عنه كتاباً يَصِل على يدي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجَع من فَورِه حتى قَـدِم مكّة ، فأتـى عمَر . فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من حيث أرسلتَني . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : من عند الثريّا ، أَفْرِخْ رَوعَك ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

---

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتـان في مجموع شعـر نصيب (الدكتور داود سلوم) : 191 .

2 ل : القشيريّة .

[تغنّى ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غَنّني «مَن رسولي إلى الثريّا . . .» ؛ فسكت عنه فم يُجبه . فقال له جليسٌ له : أيقول لك غنِّني فلا تُجيبه ؟! فسكت . فقال لـه الحسن : مالَكَ ؟ وَيْحَك ، أبِك خَبال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنّه لمّا سمِع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولُك إليها ، فمضى نحو الثريّا حتى أدّى رسالتَه ، وأنت معنا في المجلس تَبْخَل أن تُغنِّيَه لنا ، فقال له : لم أذهَبْ حيثُ ظننتَ ، إنّما كنتُ أتخيَّر لكَ أيَّ الصوتَيْن أُغَنِّي : أقَوْلَه[1] : [من الخفيف]

مَنْ رسولِي إلى الثريّا فإنّي ضافَنِي الهَمُّ واعترَتْنِي الهُمُومُ
يَعْلَـمُ اللهُ أنـّنِـي مُسْتَهامٌ بهَواكُـمْ وأنَّنِـي مرحومُ

أم قولَه : [من الخفيف]

مَـنْ رسولي إلى الثريّا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال له الحسن : أسأنا بك الظنَّ أبا جَعفر ، غَنِّ بهما جميعاً ، فغنّاهما . فقال له الحسن : لولا أنّك تغضَب إذا قلنا لك : أحسنتَ ، لقلتُ لك : أحسنتَ والله ، قال : ولم يَزَلْ يُردِّدُهما بَقيَّةَ يومِهِ .

[ينشد عمرُ ابنَ أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعيّ عن أبيه قال : أَنْشَدَ عمرُ بن أبي ربيعةَ ابن أبي عتيقٍ قولَه : [من الخفيف]

لَم تَـرَ العينُ للثريّـا شَبِيهاً بمَسِيلِ التِّلاعِ يـومَ التقَيْنا

فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الخفيف]

ثم قالتْ لأُختها قـد ظَلَمْنا إن رَدَدْناه خائباً واعتدَيْنا

قال : أحسنتْ والهدايا[2] وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق مُتَمَثِّلاً قول الشاعر : [من الخفيف]

أَرِيني جَواداً مات هُزْلاً لعلَّني أَرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدا[3]

---

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .

2 والهدايا : قَسَمٌ ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحجّ .

3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلمّا بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خَلاءٍ من الأَنِيسِ وأَمْنِ

قال ابن أبي عَتِيق : أَمْكنتْ للشَّارِب الغُدُر «مَنْ عالَ بعدها فلا ٱنجبَر»[1] . فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

فمكَثْنا كــذاك عَشْراً تِباعــاً في قَضاءٍ لِدَيْنِنــا واقتَضَيْنــا

قال : أما والله ما قضَيْتَها ذهباً ولا فِضَّةً ولا اقتضَيْتَها إيَّاه ، فلا عَرَّفكُما الله قبيحاً ! فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

كان ذا في مَسِيرنا إذ حَجَجْنا علمَ اللهُ فيــه مـا قَــدْ نَوَيْنا

قال : إنّ ظاهرَ أمرِك لَيَدُلُّ على باطنِه ، فأَرْوِد[2] التفسير ، ولئنْ مُتَّ لأموتَنَّ معك ، أُفٍّ للدنيا بعدَك يا أبا الخطّاب . فقال له عمر : بل عليها بعدَك العَفاءُ يا أبا محمد .

قال : فلَقِيَ الحارثُ بن خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينَك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تَتَحلَّلا منّي[3] ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يَغْفِرُ اللهُ لكَ يا أبا عمرو ، إنّ ابنَ أبي ربيعة يُبرِىءُ القَرحَ ، ويضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[4] ، وأنتَ جميلُ الخَفْض . فضحِك الحارث بن خالد وقال : «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ» . فقال : هيهاتَ أنا بالحُسن عالمٌ نَظَّار !

[خبر السواد في ثنيّتي عمر]

وأمّا خبر السواد في ثَنِيَّتَيْ عمر فإن الزبير بن بكّار ذكره عن عمِّه مُصعب في خبره : أنّ امرأةً غارتْ عليه فاعترضتْه بمِسْواكٍ كان في يدها فضربتْ به ثنيتيه فاسوَدَّتا .

وذكر إسحاقُ المَوْصليّ عن أبي عبد الله المُسَيَّبِيّ وأبي الحسن المدائنيّ : أنّه أَتى الثريّا يوماً ومعه صديقٌ له كان يصاحبه ويتوصَّل بذكره في الشعر ، فلمّا كشفَتِ الثريّا السِّتر وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعتْ . فقال لها : إنّه ليس ممَّنْ أَحْتَشِمُه ولا أُخفِي عنه شيئاً ؛ واستَلْقى فضحِك ، وكان النساءُ إذ ذاك يتختَّمْنَ في أصابعهنّ العَشْر ، فخرجت إليه فضربتْه بظاهر كفِّها ، فأصابت الخَواتِيم ثنيّتيه العُلْيَيَيْن فنَغَضَتا وكادتا تَسقطان[5] ، فقَدِم البصرة فعُولِجَتا له ، فثَبَتَتا واسودَّتا . فقال الحزين الكِناني يُعَيِّره بذلك ، وكان عدوّه وقد بلغه خبره : [من البسيط]

1 من عال بعدها فلا انجبر : هذا مثل ، أي من افتقر بعد هذا فلا استغنى .
2 أرود : ترفق ؛ وربّما قرنت فأورد .
3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حلّ .
4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .
5 ل : فنغضتا ، وكادت أن تقتلعهما وخاف أن يسقطا .

مـا بالُ سِنَّيْكَ أَمْ ما بالُ كَسْرِهما ... أهكذا كُسِرا في غيرِ مـا باسِ[1]
أم نَفْحَةٌ مـن فتاةٍ كنتَ تألَفُها ... أم نالَها وَسْطَ شَرْبٍ صدمةُ الكاسِ

قال : ولقيه الحزين الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذهَبْ ، وَيْلَكَ ، فإنّك لا تُحْسِنُ أن تقول[2] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ
واستبَدّتْ مرّةً واحـدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستبدّ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيف رَمَلٍ [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكيّ . ولمالك [فيه] ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولُتيَّمَ ثاني ثقيلٍ عن ابن المعتزّ . وذكر أحمدَ بن أبي العلاء عن مُخارق أنّ خفيف الرمل ليحيى المكّيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :

اسْلَمِي يـا دارُ مِنْ هند

[خبر الثريا مع الحارث أخي عمر]

حدّثني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق المَوصِليّ عن رجاله المذكورين : أنّ الثريَّا واعدَتْ عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرَته ، فصادفت أخاه الحارث قد طرَقَه وأقام عنده ، ووجَّه به في حاجة له ونام مكانه وغطَّى وجهه بثوبه ، فلم يشعر الحارث إلاّ بالثريّا قد ألقتْ نفسَها عليه تُقبِّله ، فانتبه وجعل يقول : اعْزُبي عنّي فلستُ بالفاسق ، أَخْزاكِ الله ، فلمّا علِمتْ بالقِصَّة انصرفَتْ . ورجعَ عمرُ فأخبره الحارث بخبرها ؛ فاغتمَّ لِما فاتَه منها ، وقال : أمَا واللهِ لا تَمسُّكَ النارُ أبداً وقد ألقتْ نفسَها عليك . فقال له الحارث : عليك وعليها لعنةُ الله .

وأخبرني بهذه القصّة الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكَّار عن يعقوب بن إسحاق الربعيّ عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْصٍ الثَّقفيّ : أنّ الحارث بن عبد الله زار أخاه ، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : فبلَغ عمر خبرها ، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له : جُعِلتُ فِداءَك ، ما لَكَ ولأَمَةِ الوهّاب ابنتِك ؟ أَتَتْكَ مُسلِّمةً عليك فلعنتَها وزجرتَها وتهدَّدْتَها ، وها هي تِيك باكية . فقال : وإنّها لهيَ ، قال : ومَنْ تَراها تَكون ؟ قال : فانكسر الحارثُ عنه وعن لَومِهِ .

---

1 ما بالُ كسرهما في ل : أم ما شأن حسنهما .
2 ديوان عمر : 101–102 .

[سهيل يتزوّج الثريّا]

أخبرني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عَمَّار . ورواه أيضاً حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العَمَّاريّ ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوّج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا ، وقال الزبير : بل تزوّجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحُملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنّه كان هناك منزلُه ، ولم يكن لسُهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثريَّا سُهَيلاً عَمْـرَكَ اللهَ كيـف يَلْتقيانِ
هي شاميّـةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيـلٌ إذا استقلَّ يَماني

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العبّاس ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وأوّلُ هذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

أيُّها الطارِق الذي قد عَناني بعد ما نـام سامِرُ الرُّكْبانِ
زارَ مِنْ نـازحٍ بغير دليلٍ يَتَخَطَّى إليَّ حتى أَتـاني

وذَكر الرِّياشيُّ عن ابن[2] زكريا الغَلابيّ عن محمد بن عبد الرحمن التَّيْمِيّ عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزوميّ قال : كان عمرُ بن أبي ربيعة قد أَلَحّ على الثريّا بالهوى . فشَقّ ذلك على أهلِها ، ثم إنّ مَسْعَدَةَ بنَ عمر أَخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرَض له ، وتزوّجت الثريّا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصرَ ، فقال : [من الخفيف]

أيّها المنكحُ الثريّـا سهيلاً عمرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ

وذكَر الأبيات . وقال في خبره : ثم حمله الشوقُ على أن سار إلى المدينة فكتب إليها[3] : [من مجزوء الوافر]

كتبتُ إليكِ من بلدي كتـابَ مُوَلَّـهٍ كَمِـدِ

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أوّلها «أيّها المنكح» .
2 هو محمد بن زكريا الغلابي .
3 ديوان عمر : 114 .

كَئيبٍ واكِفِ العينيـ ـنِ بالحَسَراتِ منفردِ
يُؤرِّقُــه لَهِيبُ الشَّوْ قِ بين السَّحْرِ والكَبِدِ[1]
فيُمْسِكُ قلبَــه بيــدٍ ويَمْسَحُ عينَــه بيــدِ

وكتبه في قُوهِيَّةٍ[2] وشنفه وحَسَّنَه وبعثَ به إليها . فلمّا قرأتْه بكتْ بكاءً شديداً ، ثم تمثّلت : [من الطويل]

بنفسيَ مَنْ لا يستقِلُّ بنفسِه ومَنْ هو إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ[3]

وكتبت إليه تقول[4] : [من الطويل]

أتاني كتابٌ لم يَــرَ الناسُ مثلَه أُمِــدَّ بكافُــورٍ ومِسْكٍ وعَنْبَرِ
وقِرطاسُه قُوهِيَّــةٌ ورِباطُــه بعقْدٍ من الياقوتِ صافٍ وجَوْهرِ
وفي صَدْرِه : مِنِّي إليــكِ تحيّةٌ لقد طال تَهْيامِي بكم وتذكُّري
وعُنْوانُــه مِــنْ مُسْتَهامٍ فؤادُه إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزْنِ مُسْعَرِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشِعرُه مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك ، ولكنّي ذكرتُه كما وقَع إليّ .

[الثريا عند الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مَوْلى فائِدٍ ومَنْ ذكر خبره مع الثريّا : فمات عنها سُهَيلٌ أو طلّقها ، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشقَ في دَيْنٍ عليها ؛ فبَيْنا هي عند أُمِّ البَنِينَ بنتِ عبد العزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريّا جاءتني ، تَطْلُبُ إليكَ في قضاءِ دينٍ عليها وحَوائجَ لها . فأَقبلَ عليها الوليدُ فقال : أَتَرْوِينَ من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ، أمَا إنّه يرحمه الله كان عفيفاً عَفيفَ الشِّعر ، أَرْوِي قوله[5] : [من الخفيف]

صوت

مــا عَلى الرَّسْمِ بالبُلَيَّيْنِ لو بيَّـ ـنَ رَجْعَ السَّلامِ أو لــو أَجابا
فــإلى قَصْرِ ذي العُشَيرةِ فالصَّا ئِــفِ أَمْسى مــن الأنيس يَبابا[6]

---

1 السحر : الرئة .
2 قوهية : قطعة قماش من صنع قوهستان .
3 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 لليلى ترثي قيس .
4 انظر خزانة الأدب 1 : 31 وما بعدها .
5 ديوان عمر : 40 .
6 ذو العشيرة : موضع بالصّمان . الصائف : من نواحي المدينة .

وبما قــد أرى بــه حيَّ صِدْقٍ ظاهــري العيشِ نَعمــةً وشبابا
إذ فؤادي يَهْوى الرَّبابَ وأنَّى الدَّ هــرَ حتَّــى المَماتِ أنْسَى الرَّبابا
وحِسانــاً جَوارِيــاً خَفِــراتٍ حافظــاتٍ عند الهــوى الأحْسابا
لا يُكَثِّرْنَ في الحديــثِ ولا يتـ ـبعــنَ يَنْعِقْنَ بالبِهــامِ الظِّرابا[1]

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلمّا خَلا الوليدُ بأمِّ البَنِينَ قال لها : للهِ دَرُّ الثريّا ، أتَدْرِينَ ما أرادتْ بإنشادها ما أنشدتْني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إنّي لمّا عرَّضْتُ لها به عرَّضتْ لي بأن أُمِّي أعرابيةٌ . وأُمُّ الوليد وسليمان وَلاَّدَةُ بنتُ العبَّاس بن جزيّ بن الحارث بن زهير بن جَذيمة العبسيّ .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريّا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السَّمح خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر . وفيها لابن سريج رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . وفيها لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر كلها عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أيضاً أنّ فيها لابنِ مِسْجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أن لابن مُحْرِزٍ فيها خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

وممّا يُغنَّى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريّا من القصيدة التي أوّلها «من رسولي» : [من الخفيف]

صوت

وتَبَدَّتْ حتّى إذا جُنَّ قلبي حال دوني وَلائِدٌ بالثِّياب
يــا خليليَّ فاعلَما أنّ قلبي مُسْتهــامٌ بربَّــةِ المِحْرابِ[2]

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أقْتُلِينــي قتــلاً سَرِيعــاً مُرِيحــاً لا تَكـُـوني عــليَّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنهــا مُحقَّــقٌ جَنَــديٌّ فهي كالشمس من خِلالِ السَّحابِ[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

1 يعني أنّهنّ لسن راعيات غنم ، يصحن زجراً لها بين الروابي (الظراب) .
2 المحراب هنا : العلّية .
3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ مـا بي أتُحِبُّ البَتُولَ أُختَ الرَّبابِ[1]
قلتُ وَجْدِي بها كوَجْدِك بالما ءِ إذا مـا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَذْكَرَتْنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا بَرَزَتْ مِـن دُجُنَّـةٍ وسَحابِ
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَـلٍ إذ دعتْهـا مُهْجَتِي ، مـا لقاتلي مِنْ مَتابِ
حين قالت لها أجيبي فقالتْ مَنْ دعاني ؟ قالتْ أبو الخَطَّابِ

الغناء للغَريض خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ وحمّاد بن إسحاق . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَباً ثم مرحبـاً بالتي قـا لتْ غَداةَ الوَداعِ عند الرَّحيلِ
للثُّرَيّـا قُولِي لـه أنتَ هَمِّي ومُنَـى النَّفْسِ خاليـاً وخَليلي

الغناء لابن مُحرزٍ ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بأنّ البَيْنَ بعدَ غَـدٍ فالقلبُ مِمّـا أَزْمَعُوا يَجِفُ[4]
تَشْكُو ونشكو ما أَشَتَّ بنا كلٌّ لِوَشْكِ البَيْنِ يَعْتَرِفُ
حَلَفُـوا لقـد قَطَعُوا بِبَيْنِهِمُ وحلَفْتُ أَلفاً مثلَ ما حَلَفُوا

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى . ومنها[5] : [من الخفيف]

صوت

فَلَوتْ رأسَها ضِراراً وقالتْ لا وعَيْشِي ولو رأيتُك مُتّا

---

1 البتول في ل : القتول .
2 ديوان عمر : 301–302 .
3 ديوان عمر : 258 .
4 وجف يجف : خفق .
5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آثَرْتَ بالمودَّةِ غَيْرِي وتناسَيْتَ وَصْلَنـــا ومَلِلْتا
قد وَجَدْناكَ إذ خُبِرْتَ مَلُولاً طَرِفاً لم تَكُنْ كما كنتَ قُلْتا[1]

الغناء لمالكٍ رمل ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وكذا رَوَتْه دنانير عن فُليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

يـا خَلِيلَيَّ سائـلا الأَطْـلالا ومَحَـلاً بالرَّوْضَتَيْنِ أَحـالا[3]

ويُروى : بالبُلَيَّيْنِ إن أَحَرْنَ سُؤالا[4]

وسَفاهٌ لولا الصَّبابَةُ حَبْسِي في رُسُومِ الدِّيارِ رَكْباً عِجالا
بعدَ مـا أَقْفَرتْ مِنَ آلِ الثريّا وأَجَدَّتْ فيهـا النِّعـاجُ ظِلالا

الغناء لابن سريج هزج خفيفٌ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحَكَم الوادي ثقيل أوّل من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أنّ فيه لدحمانَ لحناً ولم يُجنِّسه . وقال حَبَشٌ : فيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[سهيل ينقل الثريّا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو عبد الله التميميّ ، يعني أبا العيناء ، عن القَحْذَميِّ عن أبي صالح السَّعديّ قال : لمّا تزوّج سُهيل بن عبد العزيز الثريّا ونقلها إلى الشام ، بلغَ عمر بن أبي ربيعة الخبرُ ، فأتى المنزل الذي كانت الثريّا تَنزِلُه ، فوجدها قد رحَلتْ منه يومئذٍ ، فخرج في أثرها فلحِقَها على مرحلتين ، وكانت قبلِ ذلك مُهاجِرته لأمرٍ أنكرته عليه . فلمّا أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنَكِّراً حتى مَرَّ بالخيمة ؛ فعرَفَتْه الثريّا وأُثبتتْ حركته ومِشيته ، فقالت لحاضنتها : كلِّميه ؛ فسلَّمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغَ الثريّا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكتِ الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العِتاب مع وَشْك الرَّحِيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودّعها وبَكَيا طويلاً ، وقام فركِب فرسَه ووقَف ينظُر إليهم وهم يَرحلون ، ثم أَتْبَعهم بصرَه حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول[5] : [من البسيط]

1 الطرف : الملول .
2 ديوان عمر : 321–322 .
3 الروضتان : مثنّى يراد به المفرد .
4 أحرن : رجعن ، رددن .
5 ديوان عمر : 315–317 مع بعض اختلاف .

يـا صاحبـيَّ قِفـا نَسْتَخبِرِ الطَّلَلا عن حالِ مَـنْ حَلَّه بالأمْسِ ما فَعَلا
فقال لي الرَّبـعُ لَمَّـا أن وقَفْتُ به إنّ الخَليـطَ أجـدَّ البَيْنَ فاحتَمَلا
وخادَعتْـكَ النَّـوى حتـى رأيتَهمُ في الفَجْرِ يَحْتَثُّ حادِي عِيسِهِم زجِلا[1]
لَمَّـا وَقَفْنا نُحَيِّيهم وقـد صَرَخَتْ هَواتِفُ البَيْنِ واستولتْ بهـم أصُلا
صَدّتْ بعاداً وقالـتْ لِلّتي معهـا بـالله لُومِيـهِ في بعضِ الذي فَعَلا
وحَدِّثيـه بمـا حُدِّثْـتِ واستَمِعي مـاذا يقـولُ ولا تَعْيَيْ بـه جَدَلا
حتى يَـرى أنّ ما قـال الوُشاةُ له فينـا لَدَيْـهِ إلينـا كلُّـه نُقِلا
وعَرِّفيـه بـه كالهَـزْلِ واحْتَفِظي في بعضِ مَعْتَبةٍ أن تُغْضِبـي الرجُلا[2]
فإنَّ عَهْـدِي بـه واللّهُ يَحفَظُـه وإن أتـى الذنبَ مِمّن يَكْـرَه العَذَلا
لـو عندنا اغتِيبَ أو نِيلَـتْ نقيصتُه مـا آبَ مُغتابُـه من عندِنا جَذِلا
قلتُ اسمَعِي فلقـد أبْلَغتِ في لَطَفٍ وليس يَخْفَى على ذي اللُّبِّ مَنْ هزَلا
هـذا أرادت بـه بُخْلاً لأَعْذِرَهـا وقـد أرى أنّها لـن تَعْـدَمَ العِلَلا[3]
مـا سُمِّي القلـبُ إلاّ مـن تَقَلُّبِه ولا الفـؤادُ فـؤاداً غيرَ أَنْ عَقَلا
أمّا الحديث الذي قالـت أُتيتَ به فما عَبَأْتُ بـه إذ جـاءني حِوَلا[4]
ما إن أَطَعْتُ بها بالغَيْبِ قـد عَلِمتْ مقالـةَ الكاشحِ الواشي إذا مَحُلا[5]
إنّـي لأَرْجِعُـه فيهـا بسَخْطَتِـه وقـد يَـرى أنّه قـد غـرّني زَلَلا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصْر ومحمد بنُ خَلَف بن المرزبانِ قالوا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعمَ عُبَيْد بن يَعْلى قال حدّثني كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمِيّ قال : لمّا ماتت الثريّا أتاني الغريض فقال لي : قُلْ أبياتَ شعرٍ أَنُحْ بها على الثريّا فقلت : [من الخفيف]

---

1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .
2 في بعض في الديوان : في غير .
3 لأعذرها في الديوان : لنعذرها .
4 الحول : الحيلة .
5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

صوت

أَلاَ يــا عينُ مـا لكِ تَدْمَعِينا ... أمن رَمَــدٍ بَكَيْتِ فتُكْحَلِينا
أمَ أنــتِ حَزينةٌ تَبْكِينَ شَجْواً ... فشَجْوُكِ مثلُه أَبكَـى العيونا

غنَّى الغريضُ في هذين البيتين لحناً من خفيف الثَّقيلِ الأوّل بالوسطى عن عمرو ويحيى المكّي والهشاميّ وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ قال حدّثني إبراهيم بنُ يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن ثعلبة بن عبد الله بن صُعَير : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة نظَر في الطَّواف إلى امرأةٍ شريفة ، فرأى أحسنَ خَلْق الله صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلَّمها فلم تُجبْه ؛ فقال فيها[1] : [من البسيط]

الرّيحُ تَسْحَب أَذْيالاً وتَنْشُرهـا ... يا ليتني كنتُ ممَّن تَسحَبُ الريحُ
كَيْما تَجُرَّ بنـا ذَيـلاً فتَطْرَحُنا ... على الّتي دونَها مُغبَرَّةٌ سُوحُ
أنّـي بقُرْبِكُم أم كيفَ لي بِكُمُ ... هَيْهاتَ ذلكَ ما أَمْسَتْ لنا رُوحُ
فليتَ ضِعْفَ الذي أَلْقَى يكونُ بها ... بل ليت ضِعْفَ الذي أَلقَى تَبارِيحُ
إحْدى بُنَيَّاتِ عَمِّي دون منزلها ... أرضٌ بقيعانها القَيْصُومُ والشِّيحُ

فبلغَها شعرُه فجَزِعتْ منه . فقيل لها : اذكُريه لزوجك ؛ فإنّه سيُنْكِر عليه قولَه . فقالت : كلاَّ والله لا أشكوه إلاّ إلى الله . ثم قالـت : اللهـمّ إن كان نَـوَّه باسمِي ظالِماً فاجعَلْه طعاماً للريح . فضَرَب الدهرُ مِنْ ضَرْبه ، ثم إنّه غدا يوماً على فرس فهبَّتْ ريحٌ فنزلَ فاستتر بسَلمةٍ[2] ، فعَصَفتِ الريحُ فخدَشَه غُصنٌ منها فدَمِيَ ووَرِمَ به ومات من ذلك .

---

1 ديوان عمر : 89 .
2 ل : فنزل فاستذرى .

[6] ـ أخبار ابن سريج ونسبه[1]

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويُكْنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مَنافٍ . وذكَر ابنُ الكلبيّ عن أبيه وأبي مِسكين أنّه مَوْلًى لبني الحارث بن عبد المطَّلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسَّان قال : ابن سريج مَوْلًى لبني ليث ، ومنزلُه مكّةُ .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهَبيّ عن ابن سريج فقال : هو مَوْلًى لبني عائذِ بن عبدِ الله بن عمر بن مَخزوم . وفي بني عائذٍ يقول الشاعر : [من الوافر]

فإن تَصْلُحْ فإنّـك عائِذيٌّ وصُلْحُ العائذيِّ إلى فَسادِ[2]

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد منافٍ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيُّوب المَديِنيّ قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أنّ ابنَ سُرَيج كان آدَمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سُناطاً[3] في عينيه قَبَلٌ[4] ، بلغ خمساً وثمانين سنةً ، وصَلِعَ فكان يلبَس جُمَّةً[5] مركَّبة ، وكان أكثر ما يُرى مُقنَّعاً ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بنِ جعفر .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن سُريج مُخنَّثاً أحول أعمش يُلقَّب «وجه الباب» ، وصَلِعَ فكان يلبس جُمَّة ؛ وكان لا يُغنِّي إلاّ مقنَّعاً يُسْبِل القِناع على وجهه .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكينٍ : كان ابن سريج أحسن الناس غناءً ، وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً ويُوقِع بقَضيبٍ ، وغنَّى في زمن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، ومات في خِلافَةِ هشام بن عبد الملك .

---

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .

2 من قصيدة لحسّان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزانة 6 : 103–104 .

3 سناط : لا ينبت شعر في لحييه .

4 القبل : ضرب من الحول .

5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عُتْبة اللَّهبيّ يَرْوِي مثلَ ذلك فيه ، وذكَر أنّ قبرَه بنخلة[1] قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسَّان قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكّة وكان أحسن الناس غناءً . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طَرَفة الهُذليّ : سمعت ابن جُريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكّة مولى آل خالد بن أَسِيدٍ .

قال إسحاق وحدّثني إبراهيم بن زياد عن أيّوب بن سلمة المخزوميّ قال : كان في عين ابن سريج قَبَلٌ حُلْوٌ لا يَبلُغ أن يكون حَوَلاً ، وغنَّى في خلافةِ عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صَلَعٌ في جَبهتِه ، وكان يلبس جُمَّة مُركَّبة فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يُلقَّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تُركِيّاً .

وقال أبو أيُّوبَ المَدينيّ : كان ابنُ سريج ، فيما روينا عن جماعة من المَكيِّين ، مولى بني جُندَعِ بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنَّى سَدَلَ قِناعَه على وجهه حتى لا يُرى حولُه ، وكان يُوقِّع بقضيب ، وقيل : إنّه كان يضرب بالعُود ، وكانت عِلَّته التي مات منها الجُذام .

[ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسيّ على الغناء العربي]

قال إسحاق وحدّثني أبي[2] قال : أخبرني مَنْ رأى عُودَ ابنِ سريج وكان على صَنعةِ عيدانِ الفُرس ، وكان ابن سريج أوّل من ضرب به على الغناء العربيِّ بمكّة . وذلك أنّه رآه مع العَجَم الذين قَدِم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأَعجب أهلَ مكّة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرِب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أَحذَقَ الناس .

[أمّ ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيريّ : أنّ أُمّ ابنِ سريج مَولاةٌ لآلِ المُطَّلِب يقال لها «رائِقَةُ» ، وقيل : بل أُمُّه هند أُختُ رائقة ؛ فمِنْ ثَمَّ قيل : إنّه مَولى بني المطّلب بن حَنْطَبٍ . وكان ابنُ سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب بن عبد الله بن المطّلب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قريش ووجوهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مِسجَحٍ .

[أصول الغناء العربيّ]

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعة نَفَرٍ : مَكّيّان ومدنِيّان ؛ فالمكّيان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان : معبد ومالكٌ .

1 هي نخلة اليمانية .
2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أوّل شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : أخبرني بذلك مَن شِئتَ من مَشيَخَتِنا : أنّ يوماً شُهِر فيه ابن سريج بالغناء في خِتان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسين . قال لأُمّ الغلام : خَفِّضي عليك بعض الغُرْم والكُلفة ؛ فوالله لأُلهِيَنَّ نساءك حتى لا يَدرين ما جئتِ به ولا ما عزَمتِ عليه .

[شهادة هشام بن المرّية في ابن سريج]

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرِّيَّة ، وكان قد عُمِّر ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلتُ له : مَنْ أَحذَقُ الناس بالغناء ؟ فقال لي : أتُحِبُّ الإطالة أم الاختصار ؟ فقلت : أُحبّ الاختصار الذي يأتي على سؤالي . قال : ما خلَق الله تعالى بعد داود النبيّ عليه الصلاة والسلام أحسنَ صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عزّ وجلّ أحداً أَحذقَ منه بالغناء ، ويَدُلُّك على ذلك أنّ معبداً كان إذا أعجبه غناؤه وقال : أنا اليوم سريجيّ .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أدركتُ يونس بن محمد الكاتب فحدّثني عن الأربعة : ابن سريج وابن مُحرِز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال نعم . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ لك ، وإن شئت أجمَلتُ . قلت : أَجملْ . قال : كأنّه خُلِقَ من كلّ قَلبٍ ، فهو يغنِّي لكلّ إنسانٍ ما يشتهي .

[شهادة إبراهيم الموصليّ فيه]

أخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظة قال قال حَمَّاد بن إسحاق : أخبرني أبي عن الفضلِ بن يحيى بن خالد بن برمَك قال : سألتُ إبراهيم المَوصليّ ليلةً وقد أخذ منه النبيذ : مَنْ أَحسَنُ الناسِ غناءً ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء ؟ فقلتُ : من الرجال . فقال : ابن محرز . قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال لي : إنْ كان ابن سريج إلاّ كأنّه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ فهو يُغَنِّي له ما يشتهي !

[شهادة إسحاق الموصليّ فيه]

أخبرني جَحظة قال حدّثني عليُّ بن يحيى المنجِّم قال : أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسألُه عن لحنه ولحنِ ابن سريج في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

أيُّهما أحسنُ ؟ فصِرْتُ إليه فسألته عن ذلك ؛ فقال لي : يا أبا الحسن ، والله لقد أخذتُ بخِطام راحلته فزَعْزَعتُها وأَنَختُها وقمتُ بها فما بلَغتُه . فرجعتُ إلى محمد بن الحسين فأخبرته ؛ فقال : والله إنّه لَيَعلم أنّ لحنَه أحسنُ من لحنِ ابنِ سريج ، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ،

ولكن لا يدع تعصُّبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكرَه جَحظةٌ في خبره ولم يقُل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جحظة في خبره : قال عليٌّ بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنّه قلَّما غُنِّي في صوتٍ واحدٍ لحنانِ فسقَط خيرُهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحنُ إسحاق ، وقد تُرِك لحنُ ابنِ سريج ، فقَلَّ مَنْ يسمعه إلاّ من العجائز المتقدّمات ومَشايخ المغنّين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبجر]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن إبراهيمَ بن عليّ بن هشام قال : يقولون : إنّ ابتداء غناء إسحاق الذي في[1] : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه

إنّما أخذه من صوتِ الأَبْجَر : [من الطويل]

يقولون ما أَبْكاكَ والمالُ غامِرٌ[2]

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

يقولــون مــا أبكاكَ والمالُ غامرٌ عليكَ وضاحِي الجلدِ منكَ كَنِينُ
فقلتُ لهــم لا تَسألونِيَ وانظُروا إلى الطَّــربِ النَّزَّاعِ كيفَ يكونُ

غنّاه الأَبجَرُ ثقيلاً أوّل بالبِنصر ، عن عمروٍ ودنانير . وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لعَزَّة المَرزوقِيَّة ثاني ثقيلٍ بالوُسطى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بنُ إبراهيمَ قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياطٍ قال : كان ابن سريج أوّل مَن غنّى الغناء المُتقَن بالحجاز بعد طُوَيسٍ ، وكان مولِدُه في خلافة عمر بن الخطّاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُغَنِّيَ نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورَد الخبرُ مكّة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة[3] بالمدينة ، فعَلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو

---

1 ل : الذي فيه الصباح .
2 أبكاك في ل : أبلاك (حيث وردت) .
3 اسمه مسلم بن عقبة ولقّب مسرفاً لأنّه صاحب معركة الحرّة .

اليومَ داخلٌ في أغانيه ، وهو : [من السريع]

يا عينُ جُودِي بالدُّموعِ السِّفاحْ وابكِي على قَتْلى قُرَيْشِ البِطاحْ

فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أوّل ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدّثني جماعةٌ من شيوخِ أهلِ مكّةَ أنّهم حُدِّثوا : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام بعثَت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرَتْه أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخلٌ في غنائه . والشعر : [من الكامل]

يا أرضُ وَيْحكِ أَكْرِمِي أمواتِي فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُماتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحَةِ مكّة والمدينة والطائف .

قال وحدّثني ابن جامعٍ وابنِ أبي الكَنّاتِ جميعاً : أنّ سُكَينة بعثَتْ إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك ، وأمرَتْه أن يُعلِّمه النِّياحةَ ، فلم يزلْ يعلِّمه مدّة طويلة ، ثم تُوفِّي عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفِيَّة عليه السلام ، وكان ابنِ سريج عَلِيلاً عِلَّةً صعبة فلم يقدِر على النِّياحة . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أَنوح لكِ نَوحاً أُنْسِيكِ به نَوح ابن سريج . قالت : أَوَ تُحْسِن ذاك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نَوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نَوحٌ غَريضٌ ؛ فلُقِّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علَّتِه بعد أيّام وعرَف خبر وفاةِ ابن الحنفيَّة ، فقال لهم : فمَن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلامُ سُكَينة . قال : فهل جَوّز الناسُ نوحَه ؟ قالوا : نعم وقدَّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألاّ ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوحَ وعَدَل إلى الغناء ، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبابةُ ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هلك . قال : ولمّا عدَل ابن سريج عن النَّوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغنِّي صوتاً إلاّ عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدّث إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وأنا حاضرٌ أنّ يحيى المكّي حدّثه أنّ عَطاءَ بنَ أبي رَباحٍ لَقِي ابن سريج بذي طُوًى[1] ، وعليه ثيابٌ مُصبَّغة وفي يده جَرادَةٌ مشدودة الرِّجل بخيطٍ يُطيِّرها ويجذبها به كلّما تخلَّفت ؛ فقال له عَطاء : يا فَتّانُ ، ألا تَكُفُّ عمّا أنت عليه ؟ كفى اللهُ الناس مؤونتَك . فقال ابن سريج : وما على الناسِ من تَلوِينِي ثيابي ولَعِبي بجَرادَتِي ؟ فقال له : تَفْتِنُهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألْتُك بحقِّ من تَبِعْتَه من أصحاب رسولِ الله صلَّى

---

1 ذو طوى : موضع عند مكّة .

الله عليه وآله وسلَّم ، وبحقِّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عليك ، إلاّ ما سمعتَ منّي بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنْكَراً أمرتَني بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أُقْسِم بالله وبحقِّ هذه البَنِيَّة لئن أمرتَني بعد استماعك منّي بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنَّ ذلك . فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج ، وقال : قُلْ . فاندفع يغنّي بشعر جَرير[1] : [من الكامل]

صوت

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلاً بعَينِك لا يــزال مَعِينا[2]

غَيَّضْنَ مِـن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ مــن الهوى ولَقِينا

لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكّي والهشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل . ولإسحاق فيه رملٌ آخرُ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريض . قال : فلمّا سمِعَه عَطاءٌ اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أَرْيَحِيَّة ، فحلف ألاّ يُكَلِّمَ أحداً بقية يومه إلاّ بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار ، لا يُجيبه إلاّ بأن يَضرِب إحدى يديه على الأُخرى ويُنشِد هذا الشِّعر حتى صلّى المغربَ ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرَّض له .

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قُدامَةَ قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني إسحاق عن ابن جامعٍ عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى ولِي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

غَنَّى فيه ابن سريج .

قال : وحَجَّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نَجِيبَين رِحالَتاهما[3] مُلبَستان بالدِّيباج ، وقد خضبا النجيبين ولَبِسا حُلَّتين ، فجعلا يتلقَّيان الحاجَّ ويتعرَّضان للنساء إلى أن أُظلم الليل ، فعَدَلا إلى كَثيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ يُضِيءُ ، فجلسا على الكثيب ، وقال عمر لابن سريج : غنِّني صوتَك الجديد ؛ فاندفع يغنّيه ، فلم يستَتِمَّه إلاّ وقد طلعَ عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلَّم ثم قال : أيمكنُك ، أعزَّك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .
2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .
3 الرحالة : سرج من جلد يتّخذ للخيل والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم ونُعْمَةَ عَينٍ ، على أن تنزل وتجلِس معنا . قال : أنا أُعجَل من ذلك ، فإن أَجْمَلتَ وأنعمتَ أَعَدْتَه ، وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مؤونةٌ ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حيَّاكَ الله يا أبا الخَطَّاب ؛ فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفتَنا فعَرِّفْنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثَب إليه عمر فأعظَمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبَّل رِكابَه ؛ فنزع حُلَّته وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِق ثِقَلَه . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إيّاهما ، وقال له : إنّ هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجَّبون ويقولون : كأنّهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أنّ يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدّثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : حَجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوبٍ بالحِنَّاء مشهَّر الرَّحْل بِقَرابٍ[1] مُذهب ، ومعه عُبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جَنَّادٌ يقود فرساً له أدهم أغَرَّ مُحجَّلا ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسمِّيه «الكوكبَ» ، في عُنقه طَوق ذهبٍ ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر[2] : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتملْ عليه برِفْقٍ وارقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لي الدَّهْماءَ واعجَلْ بِمِمطَرِي ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً من الناس مَذْهَبي[3]

الغناء لزُرْزُرٍ غلامِ المارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه ، قال : ومع عمر جماعةٌ من حَشَمِه وغِلمانه ومَواليه وعليه حُلَّة مَوْشِيَّةٌ يَمانيّة ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان[4] مرتفعان ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إلاّ عَجِبَ من حسنِ هيئتهم ، وكان عمر من أَعْطَرِ الناسِ وأحسنِهم هيئةً ، فخرجوا من مكّة يومَ التَّرْوِية بعد العَصْر يريدون منًى ، فمَرُّوا بمنزلِ رجلٍ من بني عبد مَنافٍ بمِنًى قد ضُربت عليه فساطِيطُه وخِيَمُه ، ووافى الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجتْ من

---

1 القراب : شبيه الجراب .
2 ديوان عمر : 55–56 .
3 الممطر : معطف يتّقي به المطر . خلقاً في الديوان : حيّاً .
4 ثوب هرويّ : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتها ، وستَر جواريها دون القُبَّة لئلاّ يراها مَنْ مَرّ . فأشرف عمر على النَّجيب فنظرَ إليها ، وكانت من أحسن النساء وأجملهنّ . فقال لها جواريها : هذا عمر بن أبي ربيعة . فرفَعتْ رأسها فنظرت إليه ، ثم سَترتها الجواري وولائدها عنه وبَطَّنَّ دونها بِسَجْفِ القُبَّة حتى دخلتْ . ومضى عمر إلى منزله وفَساطِيطِه بمِنًى ، وقد نظَر من الجارية إلى ما تَيَّمَه ومن جمالها إلى ما حَيَّره ، فقال فيها[1] : [من الطويل]

نظَرتُ إليها بالُمحَصَّبِ من مِنى ... ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّج عارِمُ
فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالِمُ
بَعيدةُ مَهْوى القُرْطِ إمّا لَنوْفَلٌ ... أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشِمُ
ومَدّ عليها السّجْفَ يومَ لَقيتُها ... على عَجَلٍ تُبّاعُها والخَوادِمُ
فلم أستطِعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا ... على الرَّغْم منها كَفُّها والَمعاصِمُ[2]
مَعاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْم بالضُّحى ... عَصَاها ووجهٌ لم تَلُحْه السَّمائِمُ
نَضيرٌ ترى فيه أَساريعَ مائه ... صَبيحٌ تُغاديه الأكُفُّ النَّواعِمُ
إذا ما دعتْ أترابَها فاكتنفْنَها ... تَمايَلْنَ أو مالَتْ بهنَّ المآكِمُ
طَلَبْنَ الصِّبا حتى إذا ما أَصَبْنَه ... نَزَعْنَ وهنّ الُمسْلِماتُ الظَّوالِمُ

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيى ، إنّي تفكَّرْتُ في رجوعنا مع العشيَّة إلى مكّة مع كثرة الزِّحام والغُبار وجَلَبَة الحاجّ فثقل عليّ ، فهل لك أن تَرُوح رَواحاً طيِّباً معتزلاً ، فنَرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلِها ، ونرى أهلَ العراق وأهلَ الشَّام ونتعلَّل في عشيَّتنا وليلتنا ونستريحَ ؟ قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطَّاب ؟ قال : على كَثِيب أبي شَحْوَةَ[3] الُمشْرِف على بطن يَأْجَجَ[4] بين مِنًى وسَرِف ، فنُبْصِر مرور الحاجّ بنا ونراهم ولا يَرَونا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله يا سيِّدي . فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمكّة ، فاعملوا لنا سُفرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكثيب ، حتى إذا أَبْرَدنا ورمينا الجمرة صِرنا إليكم ؛ قال : والكثيب على خمسة أميال من مكّة مُشرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كثيبٌ شامخٌ مُسْتدِقٌّ أعلاه منفردٌ عن الكثبان ؛ فصارا إليه فأكلا وشربا . فلمّا انتشيا أخذ ابن سريج

1 ديوان عمر : 348-349 .
2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .
3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .
4 يأجج : موضع قريب من مكّة .

الدُّفّ فنقرَه وجعل يغنِّي وهم ينظرون إلى الحاجّ . فلمّا أُمْسيا رفع ابن سريج صوته يغنّي في الشِّعر الذي قاله عمر ، فسمعه الرُّكبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتَّقي اللهَ قد حبستَ الناس عن مناسِكهم ؛ فيسكُتُ قليلاً ، حتى إذا مَضَوْا رفع صوتَه وقد أخذ فيه الشراب فيقفُ آخرون ، إلى أن مَرَّت قطعةٌ من الليل ، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ عربيٍّ مَرِحٍ مُستَنٍّ[1] فهو كأنّه ثَمِلٌ ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجلَه على قَرَبُوسِ[2] سَرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهُلُ عليك أن ترُدّ شيئاً ممّا سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عينٍ ، فأيَّها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ : [من الطويل]

ألاَ يا غُرابَ البَيْنِ ما لكَ كلّما ... نَعَبْتَ بفقدانٍ علَيَّ تَحُومُ

أبالبينِ من عَفْراءَ أنت مُخَبِّري ... عَدِمْتُك مِن طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازْدَدْ إن شئتَ . فقال : غنِّني : [من الطويل]

أمَسْلَم إنّي يا ابنَ كلّ خَليفَةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قَمَرَ الأرضِ[3]

شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلُّ مَنْ أقْرَضْتَه نعمةً يَقْضي[4]

ونَوَّهتَ لي باسمي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنْبَهُ من بعضِ[5]

فغنَّاه ، فقال له : الثالث ولا أَسْتزيدُك . فقال : قل ما شئتَ . فقال : تُغنيني . [من المنسرح]

يا دارُ أقْوَتْ بالجِزْعِ فالكَثَبِ ... بين مَسِيلِ العُذَيْبِ فالرُّحَبِ[6]

لم تَتَقَنَّعْ بفضْلِ مِئْزَرِها ... دَعْدٌ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ[7]

فغنّاه . فقال له ابن سريج : أبقَيتْ لكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم ، تنزل إليّ لأُخاطِبَك شِفاهاً بما أُريد . فقال له عمر : انزِل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أنّي أُريد وَداعَ الكعبة وقد تقدّمني ثَقَلِي وغلماني لأَطَلتُ المُقام معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنّي أخافُ أن يَفضحَني الصبحُ ، ولو كان ثَقَلِي

1 مستنّ : مرح نشيط .
2 قربوس السرج : مقدمه ومؤخره .
3 نداء «مسلمة» مرخم .
4 حبلٌ في رواية : «جزء» .
5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكري وما كان ميتاً .
6 الكثب : اسم وادٍ . انظر ديوان جرير : 67 .
7 العلب : جمع علبة ، إناء لحفظ اللبن (يعني أنّها ليست بدويّة) .

معي لَما رَضِيت لك بالهُوَينا ، ولكن خذ حُلّتي هذه وخاتَمي ولا تُخدَع عنهما ؛ فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار . وذكر باقي الخبر مثلَ ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمحصَّبِ من مِنىً ولي نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ
فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ بدتْ لك خلفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالِمُ
بعيدةُ مَهْوى القُرط إمّا لنَوْفَلٌ أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّل بالسَّبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه . وقد نُسب في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

[من الطويل]

ألا يا غُرابَ البَيْنِ مالكَ كُلَّما نَعَبْتَ بفِقْدانٍ عليَّ تَحُومُ
أبِالبَيْنِ من عَفْراءَ أنتَ مُخَبِّري عَدِمْتُك من طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إنّه لغيره[1] . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

أَمَسْلَم إنّي يا ابن كلِّ خليفةٍ ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمر الأرضِ[2]
شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى وما كلُّ مَنْ أوليتَه نعمةً يَقْضِي
ونوّهتَ لي باسمي وما كان خاملاً ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

الشعر لأبي نُخَيْلة الحِمّانيّ . والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وقد أُخْرِج هذا الصوت مع سائر أخبار نُخيلة في موضعٍ آخرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سلاّم الجمَحيّ قال حدّثني عُمَرُ بن أبي خليفة قال : كان أبي نازلاً في عُلْوٍ ، فكان المغنّون يأتونه . قال فقلت :

1 لعلّه لعروة بن حزام ، فعفراء صاحبته ، ولابن ذريح لبنى .
2 ويا قمر في رواية «ويا جبل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غناءً ؟ قال : لا أدري ، إلاّ أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدَّثَنيه المدائنيّ ومحمد بن سلاَّم عن المُحرِز بن جعفر عن عمر[1] بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمع غِناءً ، فلمّا انصرف رآه أصحابه وقد حال لونُه ، فقالوا : إنّ بك لشَرّاً . قال : إنّه ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إن كان من الجنِّ إنّه لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنس فما انتهى مُنتهاه شيءٌ ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى : [من المتقارب]

صوت

أمِنْ رَسْمِ دارٍ بوادِي غُدَرْ لجاريةٍ مِن جَواري مُضَرْ[2]
خَدَلَّجةِ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ سَلُوس الوِشاحِ كمثلِ القَمَرْ[3]
تَزِينُ النساءَ إذا ما بَدَتْ ويُبْهَتُ في وجهها مَنْ نَظَرْ[4]

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مَرَّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنَّى : [من البسيط]

بَتَّ الخَلِيطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُّ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائني : وبلغني من وجه آخرَ أنّه سمِعه يُغنِّي : [من المنسرح]

قَرَّبَ جيرانُنا جِمالَهُمُ ليلاً فأضْحَوْا معاً قَد ارتَفَعُوا[5]
ما كنتُ أدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهِمُ حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا

فقال هذه المقالة .

---

1 ل : عمير .
2 غدر : من مخاليف اليمن .
3 خدلجة : ممتلئة الذراعين . سلوس : (الوشاح) ليّنته .
4 يبهت : يدهش .
5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

بَتَّ الخَليطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا إذ وَدَّعُوك فولَّوْا ثم ما رجَعُوا
وآذَنُوكَ ببَيْنٍ من وِصالِهُمُ فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعُوا
يا ابنَ الطَّويلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ فينا وأنت بما حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ
نَحْظى ونبقَى بخيرٍ ما بَقِيتَ لنا فإن هلَكْتَ فما في مَلجإٍ طَمَعُ

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سريج رمل بالسَّبابة في مجرى البنصر على إسحاق وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً بالوسطى عن الهشاميّ .

نسبة الصوت الآخر

صوت

[من المنسرح]

قَرَّبَ جيرانُنا جِمالَهُمُ ليلاً فأَضْحَوْا معاً قد ارتفعُوا
ما كنتُ أدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهِمُ حتى رأيتُ الحُداةَ قد طلَعُوا
على مِصَكَّيْنِ من جِمالِهِمُ وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهما خَضَعُ[1]
يا قلبُ صَبْراً فإنّه سَفَهٌ بالحُرِّ أن يَسْتَفِزَّه الجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيفَ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسُبه . وذكر الهشاميّ أنّ الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المَكِّي . وذكرتْ دنانير والهشاميّ أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن ابن سريج خفيف ثقيل .

[عدد الأصوات التي غنّى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرتُ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وعنده إسحاق الموصليّ ، فقال إسحاق : غنّى ابن سريج ثمانية وستّين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قطّ ثلاثة وستّين صوتاً . فقال بلى . ثم جعَلا يُنشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستّين صوتاً وهما يتّفقان على ذلك ، ثم أنشد

1 العنتريس : الناقة القويّة الصلبة . المصك : القويّ .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدَقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنّ لحنَ هذا الصوت نقله من لَحنِه في الشعر الفُلانيّ ، ولَحْنَ الثاني من لَحنِه الفلانيّ ، حتى عَدّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إنّ ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُغَنِّي[1] الناسَ بما يشتهون ، فلا يُغنِّيهم صوتاً مُدِح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنَّه يَعدِل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصّوتان واحدٌ لا ينبغي أن نَعُدَّهما اثنين عند التحصيل مِنّا لغنائه ، فصدّقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيُّها أولى عندك بالتَّقدِمة ؟ فقال : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطِها نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

فقال له إبراهيم : أَحْسَبُكَ يا أبا محمد ، مُتِّعتُ بكَ ، ما أردتَ إلاّ مُساعدتي . فقال : لا ، والله ما إلى هذا قَصَدتُ ، وإن كنتُ أَهْوى كلَّ ما قَرَّبَنِي من مَحبَّتك . فقال له : هذا أَحَبُّ أغانيه إليّ ، وما أَحسَبُه في مَكانٍ أحسنَ منه عندي ، ولا كان ابن سريج يتغنَّاه أحسن ممّا يتغنّاه جَواريّ . ولئن كان ذلك فما هو عندي في حُسن التجزئة والقِسْمةِ وصحَّتِهما مثلُ لَحنه في[2] :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قبلَ شَحْطٍ من النَّوَى[3]

أَجْمعَ الحـيُّ رِحْلـةً ففُؤادِي كَذي الأَسَى

قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوا حَ فقالُـوا ألا بَلَـى

الغناء لابن سريج من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل مُطلقٌ في مجرى الوسطى . وفيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابن المكّي . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو . وفيه لحنان من الثقيل الثاني : أحدُهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسَبه قومٌ إلى ابن مُحرز ، ولم يصحّ ذلك . قال : فاجتمعا معاً على أنّه أوّل أغانيه وأحقُّها بالتقديم . وأمرني أبو إسحاق بتَدْوين ما يجري بينهما ويتَّفِقان عليه ، فكتبتُ هذا الشعر . ثم اتّفقا على أنّ الذي يَلِيه : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطِهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

---

1 ل : يعاشر .

2 ديوان عمر : 16 .

3 أم يعمرا في رواية : أم معمر .

فأثبتُه أيضاً . ثم تناظَرا في الثالث فاجتمعا على أنّه : [من الكامل]

فتركتُه جَـــزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... مــا بين قُــلّة رأسِه والمِعْصَمِ

فقال إسحاق : لو قدّمناه على الأغاني التي تَقدَّمَتْه كلِّها لكان يستحقُّ ذلك . فقال أبو إسحاق : ما سمعتُه منذ عرفتُه إلاّ أبْكاني ؛ لأنّي إذا سمعته أو ترنَّمتُ به وجدتُ غَمْراً على فؤادي لا يَسْكُن حتى أَبكِي . فقال إسحاق : إنّ مذهبه فيه ليُوجِبُ ذلك ؛ فدوّنتُه ثالثاً . ثم اتّفقا على الرابع وأنّه : [من الطويل]

فلـــم أرَ كالتَّجْمِير مَنظَرَ ناظِرٍ ... ولا كلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوى

وتحدّثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتّفقا على أنّه : [من السريع]

عُوجِـي علينـا رَبَّةَ الهَـوْدَجِ ... إنّـكِ إلاّ تَفعَـلي تَحْرَجِي

فأَثبتُّه . ثم تناظَرا في السادس واتّفقا على أنّه : [من مجزوء الوافر]

ألا هَـلْ هاجَـكَ الأَطْعـا ... نُ إذ جـــاوَزْنَ مُطَّلَحـــا

فأَثبتُّه . ثم تَناظَرا في السابع فاتّفقا على أنّه : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مــن عَبَراتِهِنَّ وقُلْن لي ... ماذا لَقِيتَ مــن الهَوى ولَقِينا

فأَثبتُّه . وتناظرا في الثامن فاتّفقا على أنّه : [من الرمل]

تُنكِـــرُ الإثْمِـــدَ لا تَعرِفُـــه ... غيرَ أنْ تَسْمَـعَ منــهُ بخَبَرْ

فأثبتُّه . وتناظرا في التاسع فاتّفقا على أنّه : [من الطويل]

ومِن أَجْلِ ذاتِ الخالِ أَعملْتُ ناقتِي ... أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلالِ مــع الظَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وإذا مــا عَثَـرَتْ في مِرْطِهـا ... نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يـا عُمَرْ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

فتركْتُـه جَـزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ... مـا بـين قُلّة رأسِه والمِعصَمِ

الشعرُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسيّ . والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن

عمرو[1] ومنها : [من الطويل]

صوت

فلَـمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَملٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها[2] : [من السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّـةَ الهَـوْدجِ إنّـكِ إلاَّ تفعَـلي تَحْرَجِي

الشعرُ للعَرْجِيّ . والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلا هَـلْ هاجـكَ الأظعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج ثقيل أوّلُ مطلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للغريض لَحنان : ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ ثالث بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الكامل]

صوت

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

الشعر لجرير . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . وفيه للهُذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

تُنْكِـرُ الإثْمِـدَ لا تَعْرِفُـه غيرَ أن تَسْمَعَ منـه بخَبَرْ

الشعر لعبد الرحمن بن حسَّان . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

ومن أجلِ ذاتِ الخالِ أعملتُ ناقتِي أُكَلِّفُهـا سَيْرَ الكَلالِ مـع الظَّلْعِ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر . وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى .

---

1 ل : عن الهشاميّ .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني الزبير بن دحمان أنّ أباه حدّثه : أنّ معبداً تغنّى : [من الرمل]

آب لَيْلي بهُمُومٍ وفِكَرْ ... من حَبيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ[1]

يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً ... شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالكٌ فغنّى في أبياتٍ من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وجَرَتْ لي ظبيةٌ يتبَعُها ... لَيِّنُ الأظْلافِ من حُورِ البَقَرْ[2]

كلَّما كَفْكَفْتُ منّي عَبْرَةً ... فاضتِ العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَرْ[3]

قال : فتَلاحَيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصَّوتَين ، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أَجوَدُ صنعةً منك . فتَنافَرا إلى ابن سريج فمَضَيا إليه بمكّة . فلمّا قَدِماها سألا عنه ، فأُخْبِرا أنّه خرج يَتَطَرَّفُ[4] بالحنَّاء في بعض بساتينها . فاقتَفَيا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحِنَّاء ، فقالا له : إنّا خرجنا إليك من المدينة لِتَحْكُم بيننا في صوتين صنعناهما . فقال لهما : لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوتَه . فابتدأ معبد يُغنّي لحنَه . فقال له : أحسنتَ والله على سوءِ اختيارك للشِّعر ! يا ويحك ! ما حَمَلك على أن ضَيَّعْتَ هذه الصنعة الجيّدة في حُزنٍ وسَهَرٍ وهُمومٍ وفِكر ! أربعة ألوانٍ من الحُزن في بيتٍ واحد ، وفي البيت الثاني شرَّان في مِصْراعٍ واحدٍ ، وهو قولُك : [من الرمل]

شَرَّ ما طار على شَرِّ الشَّجَرْ

ثم قال لمالك : هاتِ ما عندكَ ، فغنّاه مالك . فقال له : أَحسنتَ والله ما شئتَ ! فقال له مالك : هذا وإنّما هو ابن شَهْرِه ، فكيف تَراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْل ؟ قال دحمان : فحدّثني معبد أنّ ابن سريج غضِب عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالحنّاء من يديه وأصابعه وقال له : يا مالك ، أَلِي تقول ابن شَهْرِه ! اسمعْ منّي ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عَبَّاد ، أَنشِدْني القصيدة التي تَغَنَّيتُما فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله : [من الرمل]

تُنْكِر الإثْمِدَ لا تَعْرِفُه ... غيرَ أن تَسْمَع منه بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنّى فيه ؛ فانصرفنا مَفلُولَيْن مَفضوحَيْن من غير أن نُقيم بمكّة ساعةً واحدةً .

---

1 وفكر في ل : وذكر .
2 ليّن الأظلاف في ل : ليّن الأطراف .
3 أي كالمطر المتتابع .
4 يتطرّف بالحناء : يخضب به أطراف أصابعه .

نسبة هذه الأغاني كلّها

صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْـلي بهُمُــومٍ وفِكَـــرْ من حَبِيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ
يـومَ أبصرتُ غراباً واقعـاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ
يَنْتِــف الرِّيشَ عــلى عُبْرِيَّــةٍ مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوحِ العُشَرْ[1]

الشِّعر لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تَشبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستُذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من يَنْسُب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بُيِّن ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للغريض ، وله لحنٌ آخرُ في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وجَـرَتْ لي ظَبْيَــةٌ يتبعُهــا لَيِّنُ الأظلاف من حُورِ البَقَرْ[2]
خلفَها أَطْلَسُ عَسَّالُ الضُّحـــى صادفتْــه يــومَ طَـلٍّ وخَصَرْ[3]

الغناء لمالكٍ خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إنّ عَيْنَيْهــا لعَيْنـا جُـؤْذُرٍ أَهْدَبِ الأَشْفارِ من حُـورِ البَقَرْ
تُنْكِـرُ الإثْمِـدَ لا تعرِفُــه غيرَ أنْ تسمَـــع منــه بخَبَرْ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكّيّ .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهزاج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال محمد بن سعيد : لمّا ضادَّ ابن سريج الغريض وناوأه ، جعل ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه فيه الغريض فغنّى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعضِ أطراف مكّة دارٌ يأتيانها في كلّ جمعة ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ ، فيوضع لكلٍّ

---

1 العبرية : من شجر السدر .
2 الأظلاف في ل : الأطراف .
3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتزّ إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادّانِه . قال : فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النَّوح وشَبَهِه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفَّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قَصَرْتَ الغناء وحذَفْتَه وأفسدْتَه . فقال له : نعم يا مخنَّث ، جعلتَ تَنوح على أبيك وأُمِّك ، أَلِي تقول هذا ؟ والله لأُغَنِّيَنَّ غناءً ، ما غنّى أحدٌ أثقلَ منه ولا أجود . ثم تغنّى : [من الطويل]

تشكَّـى الكميْت الجَرْيَ لمّا جهدْتهُ

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرِّيَّة قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بَدَنَةً وينحَرُها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقِّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مَخْلَدُ بن خِداشٍ المهلَّبي : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ ، فقدِم قادمٌ من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسائلُه عن الأخبار وهو يُخْبِرهُ ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أَحْسَنَ الناس غناءً . فقيل له : أو لم تكُن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنّى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرَيجيّاً .

[أبو السائب المخزوميّ وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائنيُّ قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزوميّ ، وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألفَ ركعةٍ ، فلمّا رآني تجوّز[1] وقال : ما معك من مُبكِيات ابن سريج ؟ قلت قوله : [من الكامل]

ولَهُـنَّ بالبيتِ العَتِيقِ لُبانةٌ ... والبيتُ يَعْرِفُهـنَّ لـو يَتَكَلَّمُ
لـو كان حَيّاً قبلَهن ظَعائِناً ... حَيّا الحَطِيمُ وجوهَهنَّ وزَمْزَمُ
لَبِثُوا ثـلاثَ بأعظمِ مِنىً غِبْطَةٍ ... وهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ
مُتجاوِريـنَ بغيرِ دارِ إقامـةٍ ... لو قـد أجـدّ تفرّقٌ لم يَنْدَمُوا

فقال لي : غنِّه ، فغنّيْتُه . ثم قام يصلّي فأطال ، ثم تجوَّزَ إليّ فقال : ما معك من مُطْرِباتِه ومُشجِياته ؟ فقلت : قوله : [من الكامل]

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجــةً ما بــاتَ أو ظَــلَّ المَطِيُّ مَعَقَّلا

فقال لي : غنِّه ، فغنَّيتُه . ثم صلَّى وتجوّز إليّ وقال : ما معك من مُرْقِصاتِه ؟

فقلت : [من الطويل]

فلَــم أَرَ كالتَّجْميرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كَلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى

فقال : كما أنتَ حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين .

[تغنّي ابن سريج والغريض بمسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حمّاد : وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، وذكر أبو أيُّوبَ المدينيّ عن الحزاميّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزوميّ قال : أرسلتني أُمِّي وأنا غلامٌ أسأل عطاءَ بنَ أبي رباحٍ عن مسألة ، فوجدتُه في دارٍ يقال لها دارُ المُعَلَّى ، وقال أبو أيُّوب في خبره : دارُ المُقلِّ ، وعليه مِلحَفة مُعَصفَرَةٌ ، وهو جالسٌ على مِنبر وقد ختَن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يُفرّق في الخَلْق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعب بالجَوْز حتى أكل القوم وتفرَّقوا وبَقِي مع عطاءٍ خاصّته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أَذِنتَ لنا فأَرسَلْنا إلى الغريض وابن سريج ! فقال : ما شئتم ، فأرسلوا إليهما . فلمّا أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار ، فتغنَّيا وأنا أسمع . فبدأ ابن سريج فنقَر بالدُّفّ وتغنَّى بشعر كُثيِّر : [من الطويل]

بلَيْلى وجاراتٍ لليــلى كأنّـها نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأباعِرُ[1]

أمُنْقطِعٌ يا عَـزّ مــا كان بيننا وشاجَرَني يا عزّ فيكِ الشَّواجرُ

إذا قِيلَ هذا بيتُ عزّةَ قادَني إليه الهَوى واستعجَلَتْنِي البَوادِرُ[2]

أصُدُّ وبي مثلُ الجُنونِ لكي يَرى رُواةُ الخَنا أنِّي لِبيتِكِ هاجرُ

فكأنّ القوم قد نزل عليهم السُّبات ، وأدركَهم الغَشْيُ فكانوا كالأموات فما تسمع حسّاً ، ثم أَصغوا إليه بآذانهم وشخصتْ إليه أعينهم[3] وطالتْ أعناقُهم . ثم غنَّى الغريض بصوتٍ أُنسِيتُه بلحنٍ آخر . ثم غنَّى ابن سريج وأَوقع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدُّفَّ فغنَّى بشعر الأخطل : [من الطويل]

فَقلتُ اصبَحُونــا لا أَبــا لأَبيكُمُ ومــا وَضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليَفعَلوا

وقلتُ اقتُلوهــا عنكُــمُ بمِزاجِها فأكرِمْ بها مَقْتُولــةً حــين تُقْتَلُ

---

1 الملا : مثل الفلا .

2 اللبوادر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أَناخُوا فَجَــرُّوا شاصِياتٍ كأنّها رِجالٌ من السُّودانِ لَم يَتَسَرْبَلُوا[1]

فواللّه ما رأيتُهم تحرَّكوا ولا نَطَقوا إلاّ مستمعين لما يقولُ . ثم غنّى الغريضُ بشعرٍ آخر وهو : [من البسيط]

هل تعرِف الرَّسْمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا زِدْنَ الفــؤادَ على مـا عندَه حَزَنا

دارٌ لصَفْراءَ إذ كانت تَحُــلُّ بها وإذ تَرى الوَصْلَ فيما بينَنا حَسَنا

إذ تَسْتَبِيك بمَصْقــولٍ عوارضُــه ومُقْلَتَيْ جُــؤْذُرٍ لم يَعْــدُ أن شَدَنا

ثم غنَّيا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فلقد خُيِّل لي أنّ الأرضَ تَمِيدُ ، وتبيَّنْتُ ذلك في عطاء أيضاً .

وغنّى الغريضُ في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وهو قوله[2] : [من الطويل]

كَفى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا وأُمْسي قريبــاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي بــه منكِ أو داوي جَــواه المُكَتَّما

ومَــنْ كان لا يَعْــدُو هواه لسانَه فقد حَــلَّ في قلبي هواك وخَيَّما

وليس بتَزْوِيــقِ اللسانِ وصَوْغِــه ولكنَّه قــد خالطَ اللحمَ والدَّما

وغنّى ابن سريج أيضاً[3] : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجا نَسْأل اليــومَ مَنْزِلا أَبــى بــالبِراقِ العُفْرِ أن يَتَحوَّلا

ففُرْع النَّبيتِ فالشَّرى خَفَّ أهلُه وبُدِّلَ أَرْواحاً جَنُوبــاً وشَمْألا[4]

أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأَتْ إلينــا ولم تأمَــنْ رَسولاً فتُرْسِلا

بأَنْ بِتْ عَسى أن يستُرَ الليلُ مجلساً لنا أو تنامَ العــينِ عنّـا فتُقبِلا[5]

وغنّى الغريضُ أيضاً[6] : [من الكامل]

يــا صاحِبَــيّ قِفا نُقَضِّ لُبانَــةً وعلى الظَّعائِنِ قبلَ بَيْنِكما اعْرِضا

لا تُعْجِلانِــي أن أقــولَ بحاجةٍ رِفْقاً فقد زُوِّدْتُ زاداً مُجْرِضا[7]

---

1 الشاصيات : صفة للزقاق .

2 ديوان عمر : 390 .

3 ديوان عمر : 309 .

4 النبيت والشرى : موضعان . الأرواح : الرياح .

5 فتقبلا في ل : فتغفلا .

6 ديوان عمر : 323–324 .

7 مجرضاً : يغص بالريق ، وقد تقرأ «محرضاً» .

ومقالَها بالنَّعْفِ نَعْفِ مُحَسِّرٍ لِفَتاتِها هل تَعْرِفِينَ المُعْرِضا[1]
هذا الذي أَعْطى مَواثِقَ عهدِهِ حتى رَضِيتُ وقُلتِ لي لن يَنْقُضا

وأغانيَّ أُنْسيتُها ، وعَطاءٌ يسمع على مِنبرِه ومكانه ، وربّما رأيتُ رأسَه قد مال وشَفَتَيْه تتحرّكان حتّى بلغتْه الشمسُ ، فقام يريد منزلَه . فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنّيا بهذا . ولمّا بلغتِ الشمس عطاءً قام وهُمْ على طريقةٍ واحدةٍ في الغناء ، فاطَّلَع في كُوَّة البيت . فلمّا رأَوْه قالوا : يا أبا محمد ، أيُّهما أحسنُ غناءً ؟ قال : الرَّقِيق الصوت ، يَعنِي ابن سريج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

ولَهُنَّ بالبيتِ العَتيق لُبانَةٌ والبيتُ يعرِفهنّ لو يتكلَّمُ
لو كان حَيّاً قبلَهنّ ظعائناً حيّا الحَطِيمُ وُجوهَهنّ وزمزمُ
وكأنّهنّ وقد حَسَرْنَ لَواغِباً بَيْضٌ بأكنافِ الحَطِيم مُرَكَّمُ[2]
لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى بمنزلِ غِبْطَةٍ وهمُ على سَفَرٍ لعمرُك ما هُمُ
مُتَجاوِرِينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ رَحِيلُهم لم يَنْدَمُوا

عَرُوضُه من الكامل . الشعر لابن أُذَيْنَة . والغناء لابنِ سريج ثاني ثقيلٍ مُطْلَق في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبارُ ابن أُذَينةَ تأتي بعد هذا في موضِعها إن شاء الله .

ومنها الصوتُ الذي أوّله في الخبر : [من الكامل]

لسنا نُبالي حين نُدْرِكُ حاجةً

صوت[3]

[من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَةَ قبلَ أن تَتَرحَّلا واسأَلْ فإن قَلِيلَه أن تَسْأَلا
وانظُرْ بعينكَ ليلةً وتأنَّها فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا[4]

1 محسر : موضع بين مكّة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .
2 لواغبا : متعبات .
3 ديوان عمر : 311-312 .
4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرك ليلة وتأنها .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً ... ما راح أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ... ورَجَوْتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعْقلا[1]
خرجَتْ تَـأَطَّرُ في الثيابِ كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناءُ لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مَجراها . وفيه لمعبد لحنٌ من خفيف الثَّقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصُدور صنعته وما يُقدَّم على كثيرٍ منها .

[الغمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاق الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : كنتُ أَسيرُ مع الغَمْرِ بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَةَ قبلَ أن تترحَّلا ... واسألْ فإن قَلِيلَه أن تَسْألا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
نَجْزِي أيادِيَ كنتَ تَبْذُلُها لنا ... حقٌّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلة حارسٍ أن يَعْقِلا
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا
رَحَّبْتُ لمّا أقبلتْ فتَعَلَّلتْ ... لتحيَّتي لمّا رأتْني مُقْبِلا
فَجلا القِناعُ سحابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَّلا
فظَلِلْتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ ... يُرقَى به ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزِلا
تَدْنُو فأَطْمَعُ ثم تمنعُ بَذْلَها ... نفسٌ أبتْ للجُودِ أن تتبخَّلا[2]

قال : فأمَر غلامَه فحملني على بغلتِه التي كانت تحتَه . فلمّا أراد الانصراف طلب الغلام منّي البغلة ، فقلتُ : لا أُعطِيكَها ، هو أكرمُ وأشرفُ مِن أن يحملَني عليها ثم ينتزعَها منّي . فقال للغلام : دَعْه يا بُنيّ ، ذهبتْ واللهِ لُبابَةُ ببغلةِ مولاكَ .

[القرشي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنيه الحسن بن عليّ عن هارون بن الزَّيّات عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني عثمان بن حفصٍ الثَّقفيّ عن إبراهيم بن عبد السلام بن

---

1 غفلة حارسٍ أن يعقلا في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .
2 فأطمعُ . . . . في الديوان : فتطمع . . . . بالجود .

أبي الحارث عن ابن تَيْزَن المغنّي قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخِرَ مَنْ بَقِيَ من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تُطرِب القرشيّ فغنّه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنّك تُرقِصُه : قال : وأبو نافع هـذا أحـذقُ غِلمان ابن سريج ومَنْ أَخَذ عنه ، وكان آخِرَ رُواتِه صوتاً . ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

بلَيْـلى وجاراتٍ لِلَيْلى كأنَّها نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأباعِرُ

أمُنقطِعٌ يـا عزّ مـا كان بيننا وشاجَرَني يا عزّ فيكِ الشَّواجِرُ

إذا قيل هـذا بيتُ عَزّة قادني إليه الهوى واستعجلتْني البَوادِرُ

أَصُدّ وبي مثلُ الجنونِ لكي يَرى رُواةُ الخَنا أنّي لبيتكِ هاجِرُ

ألاَ ليتَ حَظّي منكِ يا عزّ أنّني إذا بِنْتِ باع الصبرَ لي عنكِ تاجرُ

عروضُه من الطويل . الشعر لكُثيِّر . والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحنٌ أوّله : «أصُدّ وبي مثلُ الجُنون» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

أناخُوا فَجَرُّوا شاصِياتٍ كأنَّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبُلُوا

فقلتُ اصبَحُوني لا أبا لأبيكمُ وما وضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليفعَلُوا

تَمُرّ بها الأَيْدِي سَنِيحاً وبارِحاً وتُرْفَـعُ باللّهُمَّ حَـيٍّ وتُنْزَلُ

عَروضه من الطويل . الشاصياتُ : الشّائِلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الزِّقاقَ ؛ يقال : شَصا يَشْصُو . وشَصا ببصره إذا رفعه كالشاخص ؛ وأنشد : [من مشطور الرجز]

ورَبْـرَبٍ خِماص يَطْعُنُ بالصَّياصي[3]

ينظُر من خَصاصِ بأَعْيُـنٍ شَواصي[4]

كَفِلَـقِ الرَّصاصِ تَسْمُو إلى القَنّاصِ

الشعرُ للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368–370 (تحقيق إحسان عبّاس) بيروت 1971 .

2 ديوان الأخطل : 3–4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .

3 ربرب : قطيع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياصي : القرون .

4 خصاص : فتحات ، كوى .

أَسيد بن أبي العِيص بن أُميّة . والغناء لمالك وله فيه لحنان : أحدُهما في الأوّل والثاني رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخرُ في الثالث والأوّل والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها : [من البسيط]

صوت

هل تعرِفُ الرسمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا

وذكر الأبياتَ الثلاثة وقد تقدَّمت . عروضُه من البسيط . الشعرُ لذي الإصبَع العدواني[1] . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر . ومنها : [من الطويل]

صوت

كفَى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا

صوت
وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... بـه مِنْكِ أو دَاوِي جَواه المُكَتَّما

ومَنْ كان لا يَعْدُو هـواه لِسانَه ... فقد حَلَّ في قلبي هَـواكِ وخَيَّما

وليس بتَزْويـقِ اللسانِ وصوْغِـه ... ولكنَّه قـد خالَطَ اللَّحـمَ والدَّما

عروضُه من الطَّويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنّه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان . والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس أنّ لمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْثَمُ فُكِّـي عانياً بـكِ مُغْرَما ... وشُدِّي قُوى حَبْلٍ لنا قـد تَصَرَّما

فـإن تُسعِفيه مَـرَّةً بنَوالِكـم ... فقد طالَما لم يَنْجُ منـكِ مُسَلَّما

كَفى حَزَناً أن تَجْمعَ الدارُ شَمْلَنا ... وأُمْسي قريبـاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما

وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق المغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد وذكر الثقفيّ عن دَحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسنُ ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

---

1 تنسب أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 432 .

فقلت : اذهَبْ بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا ترُدُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِهِ ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدَّما

ثم قال لي معبد : أُسْمِعُكَه ؟ قلت : نعم ، وأريتُه أنّي لم أسمعه قبل ، فقال : اسمعه منّي ، فغنّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلٍ لإبراهيم بن المَهديّ إلى إسحاق الموصليّ . «وكتبتُ رُقعتي هذه وأنا في غَمرةٍ من الحُمَّى تَصدِف عن المفترضات . ولولا خَوفي من تشنيعِك وتَجَنّيك لم يكن فيّ للإجابة فَضلٌ ، غير أنّي قد تكلّفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علّتي وما أُقاسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليس بتزويقِ اللسان وصَوغِه ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدّما

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدّثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِم علينا فِتيان من موالي بني أميّة يريدون مكّة ، فسمعوا معبداً ومالِكاً فأُعجبوا بهما ، ثم قدموا مكّة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيانٌ من قريش ، أتيناك مُسلِّمين عليك ، وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما تَرَوْن . فقالوا : إنّ الذي نكتفي منكَ به يَسيرٌ ، وكان ابن سريج أدِيباً طاهر الخُلُق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبابِي وعُودِي ، فأتَـتْه خادمه بخامَةٍ[1] فسَدَلَها على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنَّى لقُبح وجهِه ، ثم أخذ العود فغنّاهـم ، فأَرخى ثوبه على عينيه وهو يغنّي ، حتى إذا اكتفَوْا ألقى عـودَه وقـال : معذرةً . فقالوا : نَعَم ، قد قبِل اللهُ عذرَك فأَحسنَ اللهُ إليك ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجَّبون ممّا سمِعوا . فمَرُّوا بالمدينة مُنصرفين ، فسمِعوا من معبدٍ ومالِكٍ ، فجعلوا لا يَطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يَطربون . فقال أهلُ المدينة : نَحلِفُ بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا : أَجل ! لقد سمعناه فسمِعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَغَّصَ علينا ما بعده .

[تغنّي رقطاء الحبطية برمل ابن سريج]

وذكر العَتّابيّ أنّ زكريّا بن يحيى حدّثه قال حدّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثمانيّ

1 خامة : قطعة من قماش .

عن بعض أهل الحجاز قال[1] : التقى قنديلٌ الجَصَّاص وأبو الحديد بشِعب الصَّفراء[2] ، فقال قنديلٌ لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحَبَطِيَّة رائحةً تترنَّم برَمَل ابن سريج في شعر ابن عُمارة السُّلَميّ : [من الطويل]

صوت

سَقى مَأْزِمَيْ نَجْـدٍ إلى بئر خالدٍ فوادِي نِصاعٍ فالقُرُونِ إلى عَمْدِ[3]
وجادَتْ بُروقُ الرائحـاتِ بمُزْنَةٍ تَسُحُّ شآبيبـاً بمرتجـزِ الرَّعْـدِ
منـازلَ هِنْـدٍ إذ تُواصِلُني بها ليـالي تَسْبِينـي بمُسْتَطْرَفِ الوُدِّ
يُنيرُ ظلامُ الليلِ من حُسْنِ وجهِها وتَهْدِي بطِيبِ الرِّيحِ مَنْ جاء مِن نَجْدِ

الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ . فزَفَفْتُ خلفَها زَفِيفَ النَّعامَة ، فما انجلتْ غشاوَتِي إلاّ وأنا بالمُشاش[4] حَسِير[5] فأَوْدعتُها قلبي وخلَّفتُه لديها ، وأقبلتُ أَهْوِي كالرَّخمة بغير قَلْبٍ . فقال لي قِنديلٌ : ما دفعَ أحدٌ من المُزدلِفة أسعدُ منكَ ، سمعتَ شعرَ ابن عُمارة في غِناء ابن سريج من رقطاء الحَبَطيَّة ؛ لقد أُوتيت جزءاً من النبوّة . قال : وكانت رَقْطاءُ هذه من أَضْرِب الناس ؛ فدخل رجلٌ من أهلِ المدينة منزلها فغنَّته صوتاً . فقال له بعض مَن حضر : هل رأيتَ قطُّ أو تَرى أفصح من وَتَرِ هذه ؟! فطَرِب المدنيُّ وقال : عليّ العهدُ إن لم يكن وترها من معَى بَشْكَسْتَ النَّحْويّ ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكستُ هذا كان نحويّاً بالمدينة ، وقُتل مع الشُّراةِ[6] الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكنديّ الشَّاري المعروف بطالب الحقِّ .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدّث عن إسحاق عن أبيه أنّه كان يقول : غناءُ كلِّ مُغَنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد ، وغناءُ ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أَضرُب ، فضربٌ مُلْهٍ مُطرِبٌ يُحَرِّك ويَسْتخِفُّ ، وضربٌ ثانٍ له شَجاً ورِقَّة ، وضربٌ ثالثٌ حِكمةٌ وإتقان صنعَةٍ . قال : وكلّ هذا مجموعٌ في غناء ابن سريج .

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61–62 (الفقرة : 85) .
2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .
3 المأزم : طريق ضيّق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .
4 المشاش : واد يجري بعرفات .
5 حسير : متعب كلّ عن السير .
6 الشراة : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

[التقاء ابن سلمة الزهريّ والأخضر الجدّي وتغنّى ابن سلمة بغناء ابن سريج]

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلَمة الزُّهريّ والأخضر الجدِّي ببئر الفصح[1] ، فقال ابن سلمة : هل لكَ في الاجتماع نَستَمتِع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتاقاً ، قال : فقعدا يتحدَّثان ، فمرّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطْرِبَي الحجاز ، ألشيءٍ كان اجتماعُكما ؟ فقالا : لغير موعِدٍ كان ذلك ، أفتُؤْنِسُنا ؟ قال : فقعدوا يتحدَّثون . فلمّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلَمة : يا أبا الأزهر ، قد ابْهارَّ الليل[2] وساعدَك القمر ، فأَوقعْ بقَهقهة ابن سريج وأَصِب مَعناك . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بلا جُرْمٍ وصَدّتْ تغضُّباً ... وقالت لِتِربَيْها مقالةَ عاتبِ
سَيَعْلَمُ هـذا أنَّنِي بنتُ حُرَّةٍ ... سأمنَعُ نَفْسي من ظُنُونٍ كَواذِبِ
فقُولِي لـه عنَّـا تَنَـحَّ فإنّنا ... أُبيَّاتُ فُحْشٍ طاهِراتُ المَناسِبِ

الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزفِن[3] ويقول : أَبشِرْ حَبيبي ، فلأنت أفضل من شُهداءِ قزوين . قال : ثم قال ابن سلَمة للأخضر : نِعم المُساعد على هَمِّ الليل[4] أنتَ ؛ فأَوقِع[5] بنَوْح ابن سريج ولا تعْدُ مَعْناكَ[6] . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

فلمّـا الْتَقَيْنا بالحَجُـون تَنفَّسَتْ ... تَنَفُّسَ مَحـزونِ الفُـؤادِ سَقِيمِ
وقالتْ وما يَرْقا مِنَ الخَوْفِ دمعُها ... أَقاطِنُهـا أم أنـتَ غيرُ مُقِيمِ
فإنّا غداً تُحْدَى بنا العِيسُ بالضُّحَى ... وأنـتَ بمـا نَلْقـاه غيرُ عَلِيمِ
فقَطَّعَ قَلْبِي قولُهـا ثـم أَسْبَلَتْ ... مَحاجِـرُ عَيْنِـي دمعَهـا بسُجُومِ

قال : فجعل أبو السَّائبِ يتأفَّف ويقول : أُعْتِقُ ما أَملِك إن لم تَكُنْ فِرْدَوسيَّة الطِّينة ، وإنّها بعلمِها لأفْضَلُ من آسِيَةَ امرأةِ فرعونَ .

1 ل : ببئر الفصيح .
2 ابهار الليل : انتصف .
3 يزفن : يرقص .
4 ل : سهر الليل .
5 ل : فوقع .
6 ل : مغناك .

[تغنّي الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال : بلَغني أنّ أبا دَهْبَلٍ الجُمَحيّ قال : كنتُ أنا وأبو السَّائب المخزوميّ عند مُغَنِّيةٍ بالمدينة يقال لها «الذَّلْفاء» ، فغنّتنا بشعر جَمِيلِ بن معمَر العُذْريّ ، واللحن لابن سريج : [من الطويل]

صوت

لَهُنَّ الوَجى لِمْ كُنّ عَوناً على النَّوَى ... ولا زالَ منها ظالعٌ وكَسِيرُ[1]

كأنّي سُقِيتُ السُّمَّ يومَ تحمَّلوا ... وجَدّ بهم حادٍ وحانَ مَسِيرُ

فقال أبو السائب : يا أبا دَهبَل ، نحن والله على خَطَرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة وأن يَكفينا كلَّ مَحذُور ، فما آمَنُ أن يهجُمَ بي على أمرٍ يَهتِكُني . قال : وجعل يَبكِي .

[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعُ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن بكّار بن رباح عن إسحاق بن مِقَمَّة عن أُمِّه قالت : سمعتُ ابن سريج على أخشَب منًى غداة النَّفْر وهو يغنّي : [من الخفيف]

جَدّدِي الوصلَ يا قريبَ وجُودِي ... لمحبٍّ فِراقُه قد ألَمَّا

ليسَ بينَ الحياةِ والموتِ إلاَّ ... أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فتُزَمَّا

ونسبةُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار ـ قالت : فما تشاء أن تسمَع من خِباءٍ ولا مِضْرَبٍ حنيناً ولا أنيناً إلاّ سمعته .

[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنّه حضر إسحاقَ بن إبراهيم الموصِليّ ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيم بن المهديّ ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إيّاه : هذا صوتٌ قد تَمَعبَدَ فيه ابن سريج . فقال له إبراهيم : ما ظننتُ أنّك يا أبا محمد مع علمك وتَقَدُّمِك تقول مثلَ هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تَمَعْبَدَ ابنُ سريج ، وإنّما مَعبدٌ إذا أحسن قال : أصبحتُ سُرَيجيّاً ، قد أغنَى اللهُ ابنَ سريج عن هذا ورفعَ قَدْره عن مثله ، وأُعِيذُكَ بالله أن تستَشْعِر مثلَه في ابن سريج . قال : فما رأيت إسحاق دفع ذلك ، ولا أباه ، ولا زاد على أن قال : هي كلمةٌ يقولُها الناس ، لم أَقُلها اعتقاداً لها فيه ، وإنّما تَكلّمتُ بها على العادة .

[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوّق عليه]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيعٌ قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال :

---

1 الوجى : الحفا . وكسير في ل : وحسير .

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غنّى فأجاد قال : أنا اليوم سُرَيجِيٌّ .

[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سَلاَّم قال حدّثنا شُعيب بن صخر قال : كان نعمان المغنِّي عندي نازلاً ، وكان يغنِّي ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيُّهم كان أَحذقَ ؟ قال : لا أَدْرِي ، إلاّ أنّهم كانوا إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال حدّثني الهيثم بن عيَّاش قال حدّثني عبد الرحمن بن عُيينة قال : بينما نحن بمِنًى ونحن نريد الغُدُوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأَحْوص فقال : أَبِيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسِّعة . فلمّا جَنَّه الليلُ لم يلبث أن غاب عنّا ثم عاد ورأسه يقطُر ماءً . قلت : ما لك ؟ قال : [من المتقارب]

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمـــاكَ لمّا حَرَمْــ ـتَ ، ضَلَّ ضَلالُكَ مِنْ مُحْرِمِ !
تُريـــدُ بِـــه البِرَّ يا لَيْتَـــه كَفافـــاً مِـن البِرِّ والمَأْثَــمِ

الغناء لابن سريج ولم يُجنِّسه . قال قلت : زنَيْتَ ورَبِّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لَقِي ابن سريج فقال : إنِّي قد قلتُ بيتين حسنَين أُحِبُّ أن تُغَنِّيَني بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إيَّاهما ؛ فغنَّى بهما من ساعته ، ففُتِنَ مَن حضر ممَّن سمِع صوتَه .

[جرير يذهب من المدينة إلى مكّة ليسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال[1] : قدِم جرير بن الخَطَفَى المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلُبُ الشِّعر ، فاحتشدنا له ومعنا أَشْعبُ . فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأَقمنا لم نبرح . وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُباء على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجةٍ ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أُريد والله أنْ أُعْلِمه أنّ الفرزدق أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِض له وانصَرِف ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليكَ يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأحوص : يا ابن الخطَفَى ، الفرزدق أشرفُ منكَ وأشعر . قال جرير : مَن هذا أَخزاه الله ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10-11 (رقم : 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أأنت القائل : [من الطويل]

يَقَرُّ بعَيْنِي ما يَقَـرُّ بعَيْنِهـا وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

قال نعم . قال : فإنّه يَقَرُّ بعَينها أن يدخل فيها مثل ذِراع البَكْر ، أفَيَقرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يُرمى بالحُلاقِ فانصرف ، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا على جرير نُسائله ، وأشعب عند الباب وجرير في مؤخّر البيت ، فألحَّ عليه أشعبُ يسأل . فقال : والله إنّي لأراكَ أقْبحَهم وجهاً وأراكَ ألأمَهم حَسَباً ؛ فقد أبْرَمْتَني منذ اليوم . قال : إنّي والله أنفعُهم وخيرُهم لك . فانتبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إنّي أُمَلِّح شِعرَك وأُجيدُ مَقاطِعَه ومبادئه . فقال : قُلْ ، وَيْحَكَ ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحِيل وقبل عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحيل فعَلتُ ما لم أفعلِ

فطَرِب جرير وجعل يزحف نحوه حتى أَلصق برُكبته رُكبَتَه[1] ، وقال : لعَمري لقد صَدقتَ ، إنّك لأنفعُهم لي وقد حَسَّنْته وأَجَدتَه وزيَّنته ، أحسنتَ والله ، وصله وكساه . فلمّا رأينا إعجاب جريرٍ بذلك الصوت ، قال له بعض أهلِ المجلس : فكيف لو سمعتَ واضعَ هذا الغِناء ؟ قال : أوَ إنّ له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكّة . قال : فلستُ بمفارقٍ حِجازَكم حتى أُبْلُغَه . فمضى ومضى معه جماعة ممّن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً ، فإذا هو في فِتيةٍ من قريش كأنّهم المَهَا مَع ظَرْفٍ كثيرٍ ، فأدنوا ورحَّبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحَّبوا بجرير وأدنَوه وسُرُّوا بمكانه ، وأعظم عُبَيد بن سريج موضع جرير وقال : سَلْ ما تريد جُعِلتُ فداءَك ! قال : أُريد أن تُغَنِّيَني لحناً سمعتُه بالمدينة أزعجَنِي إليك . قال : وما هو ؟ قال : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحيلِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فغنَّاه ابن سريج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به ويَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئاً قطّ أحسنَ من ذلك . فقال جرير لله دَرُّكُم يا أهلَ مكّة ، ما أعطِيتُم ! والله لو أنّ نازعاً نزع إليكم لِيُقيم بين أظهُرِكم فيسمعَ هذا صباح مساء لكان أعظمَ الناس حَظّاً ونصيباً ، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجوهُكُم الحِسانُ ، ورِقّةُ أَلسِنتِكم ، وحُسْنُ شارَتِكم ، وكثرةُ فوائدِكم !

[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

1 ل : حتى مسّ بركبتيه ركبتيه .

الملك إلى عامل مكّة أن أَشْخِص إليّ ابن سريج ، فأَشخَصَه . فلمّا قَدِم مكث أيّاماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنّه ذَكَره ، فقال : ويلكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قال : عليَّ به . فقالوا : أجِبْ أمير المؤمنين . فتهيّأ ولَبِسَ وأقبل حتى دخل عليه فسلَّم . فأشار إليه أنْ اجلِسْ ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : وَيْحَكَ يا عُبَيد ! لقد بلغني عنكَ ما حملني على الوِفادة بك من كثرة أدبك وجَودة اختيارك مع ظَرف لسانك وحلاوة منطقك ومجلسك . فقال : جُعِلتُ فداءَك يا أمير المؤمنين ! «تسمعُ بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تَراه» . قال الوليد : إنّي لأَرجُو ألاّ تكون أنت ذاك ، ثم قال : هاتِ ما عندك .

فاندفع ابن سريج فغنّى بشعر الأحوص[1] : [من الطويل]

أَمَنزلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَما ... فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً متيَّما
وذَكَّرْتُما عَصْرَ الشَّبابِ الذي مضى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجَذَّما
وإنّي إذا حَلَّتْ بِبِيشٍ مقيمَةً ... وحَلَّ بِوَجٍّ جالساً أو تَتَهَّما[2]
يَمانِيَةٌ شَطَّتْ فأصبحَ نَفْعُها ... رَجاءً وظنّاً بالمَغيبِ مُرَجَّما
أُحِبُّ دُنُوَّ الدارِ منها وقد أَبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدار إلاّ تَثَلُّما
بَكاها وما يَدْري سوى الظَّنِّ مَنْ بكى ... أحيّاً يُبَكّي أم تُراباً وأعظُما
فدَعْها وأَخْلِفْ للخليفةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عنكَ بُؤْسَى أَوَ تُفِدْكَ أَنْعُما[3]
فإنّ بكَفَّيْه مَفاتيحَ رحمةٍ ... وغَيْثَ حَيّاً يَحيا به الناس مُرْهِما[4]
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يُثِبْ ... على مُلْكِه مالاً حَراماً ولا دما
تَخيَّرَهُ ربُّ العِبادِ لخَلْقِه ... وَلِيّاً وكان اللهُ بالناسِ أَعْلَما
فلمّا قَضاه اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لبَيْعَتِه إلاّ أجابَ وسَلَّما
يَنالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نالَ وُدَّه ... ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً مَنْ تَشأما

فقال الوليد : أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأحوصُ ؛ عليّ بالأحوص . ثم قال : يا عُبَيد هِيهْ ؛ فغنّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاعِ العامليّ يمدح الوليد[5] : [من البسيط]

---

1 شعر الأحوص : 195–196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .

2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً الجلس وهو من نجد . تتهّم : نزل تهامة .

3 أنعما في ل : مغنما .

4 مرهما : يجود بالرهام أي المطر .

5 ديوان عدي بن الرقاع : 216–221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987.

صوت

طَـارَ الكَـرَى وألَمَّ الهَمُّ فاكْتَنَعا   وحِيلَ بَيْني وبـينَ النَّوْم فامتنعا[1]
كان الشَّبابُ قِناعـاً أسْتَكِنُّ به   وأسْتَظِلُّ زمانـاً ثُمَّـتَ انْقَشَعا
فاسْتَبْدَل الرأسُ شَيْباً بعد داجِيَةٍ   فَيْنانةٍ ما تَرى في صُدْغِها نَزَعا[2]
فإن تَكُنْ مَيْعةٌ من باطِلٍ ذهَبَتْ   وأَعْقَبَ اللهُ بعـد الصَّبْوةِ الوَرَعا
فقد أبيتُ أُراعِي الخَـوْدَ راقـدةً   على الوَسائِدِ مسروراً بهـا وَلِعا[3]
بَرَّاقةَ الثَّغْـر تَشْفِي القلبَ لَذَّتُها   إذا مُقَبِّلُهـا في ريقِهـا كَرَعا
كالأُقْحُوانِ بضاحِي الرَّوْضِ صَبَّحه   غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضاحٍ ومـا نَقَعا
صَلَّى الذي الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له   والمؤمِنُون إذا مـا جَمَّعُوا الجُمَعا
على الذي سبَق الأقـوامَ ضاحِيَةً   بالأَجْرِ والحَمْدِ حتى صاحباه معا
هـو الذي جَمـع الرحمنُ أُمَّتَه   على يَدَيْـه وكانوا قبلَـه شِيَعا
عُذْنا بذي العَرْشِ أن نَحْيا وتَفْقِدَه   وأنْ نكـونَ لِـراعٍ بعـدَه تَبَعا
إنّ الوليـدَ أميرَ المؤمنين لـه   مُلْكٌ عليـه أعـانَ اللهُ فارتَفَعا
لا يَمْنَع الناسُ ما أَعْطى الذين هُم   لـه عِبـادٌ ولا يُعْطُونَ مـا منعا

فقال له الوَليد : صدقتَ يا عُبَيد ! أَنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبَك . قال ابن سريج : ذلك فضلُ اللهِ يُؤتِيه مَن يشاءُ . قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فَضلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أأشكُرُ أم أكفر .

قال الوليد : لَعِلْمُك والله أكبرُ وأعجبُ إليَّ من غِنائك ! غنِّني . فغنَّاه بشعر عَدِيِّ بن الرِّقاع العامليّ يمدح الوليد[4] : [من الكامل]

عرَف الدِّيـارَ تَوَهُّمـاً فاعتادَها   من بعدِ مـا شَمِلَ البِلى أَبْلادَها
ولرُبَّ واضحـةِ العَوارِضِ طَفْلةٍ   كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بهـا أوتادَها[5]

1 الكتنع : حضر .
2 نزع : صلع خفيف .
3 أراعي في ل : أناغي .
4 ديوان عدي بن الرقاع : 82–95 .
5 طفلةٍ في ل : برزة .

إنّي إذا مـا لم تَصِلْنِـي خُلَّتـي | وتباعَـدتْ منّـي اغتفرتُ بِعادَها
صلّى الإلـهُ على امـرىءٍ ودّعْتُه | وأتَـمَّ نِعْمتَـه عليـه وزادَها
وإذا الرَّبيـعُ تتابعـتْ أنْواؤُه | فسَقى خُناصِرَةَ الأحَصِّ فجادَها[1]
نَزلَ الوَليـدُ بهـا فكان لأهلِها | غَيْثـاً أغـاثَ أنيسَها وبِلادَها
أوَ لا تَـرى أنّ البَرِيَّـةَ كلَّهـا | ألقـتْ خَزائِمَهـا إليـه فقادَها
ولقـد أرادَ اللهُ إذ وَلاّكَهـا | مـن أُمَّـةٍ إصلاحَهـا ورَشادَها
أعمَـرْتَ أرضَ المسلمينَ فأقْبَلَتْ | وكَفَفْتَ عنها مَـنْ يَرُومُ فسادَها
وأصَبْتَ في أرضِ العَـدُوِّ مُصيبةً | عَمَّـتْ أقاصيَ غَوْرِهـا ونِجادَها
ظَفَراً ونَصْراً مـا تنـاولَ مثلَـه | أحـدٌ من الخُلَفـاءِ كان أرادَها[2]
فإذا نَشَرْتُ لـه الثنـاءَ وجدتُه | جَمعَ المَكـارِمَ طِرْفَهـا وتِلادَها

فأشار الوليدُ إلى بعض الخدم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ووضعوا بين يديه كيساً من الدّنانير وبِدَراً من الدَّراهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولى بني نَوفل بن الحارث ، لقد أُوتِيتَ أمراً جَليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله مُلْكاً عظيماً وشرفاً عالياً ، وعِزّاً بَسَط يدَك فيه فلم يَقبِضْه عنكَ ولا يفعلُ إن شاء الله . فأدام الله لكَ ما ولاّك ، وحَفِظَك فيما استَرْعاك ؛ فإنّك أهلٌ لِما أَعطاك ، ولا نَزعه منك إذ رآكَ له موضِعاً . قال : يا نَوْفَليُّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نطقتُ ، وبلسانكَ تكلَّمْتُ ، وبعزِّك بيَّنْتُ . وقد كان أمر بإحضار الأَحْوَص بنِ محمد الأنصاريّ وعَدِيّ بن الرِّقاع العامِلِيّ . فلمّا قَدِما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج ، فأُنزلا منزلاً إلى جَنْبِ ابنِ سريج . فقالا : والله لَقُرْبُ أميرِ المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولى بني نوفل ، وإنّ في قُربك لَما يَلَذُّنا ويَشْغَلُنا عن كثيرٍ مما نُريد . فقال لهما ابن سريج : أوَ قِلَّةُ شكرٍ ؟ فقال له عديّ : كأنّكَ يا ابن اللَّخناء تَمُنُّ علينا ! عليَّ وعليَّ إن جَمعنا وإيّاك سقْفُ بيتٍ أو صحنُ دارٍ إلاّ عند أميرِ المؤمنين . وأمّا الأحوص فقال : أوَ لا تحتمل لأبي يحيى الزَّلَّةَ والهَفْوة ؟ وكفّارة يمين خيرٌ من عدمِ المَحَبَّة ، وإعطاء النَّفْسِ سُؤْلَها خيرٌ من لَجاجٍ في غير منفعة ! فتحوّل عَديٌّ ، وبَقي عنده الأحوص . وبلغَ الوليدَ ما جرى بينهم ، فدَعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأرخى دونه سِتراً ، ثم أمره إذا فرَغ الأحوص وعديٌّ من كلمتيهما أن يُغَنّيَ . فلمّا دخلا وأنشداه مدائح فيه ، رفع ابن سريج

1 خناصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .
2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرَوْنه وضرب بعُوده . فقال عديٌّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي أن أتكلَّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثِلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقابَ قريشٍ والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخفِضه أُخرى فيقال : مَن هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، ليسمَعَ غناءه ؟ فقال : ويحك يا عَدِيّ ! أوَلا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعتُه قطُّ ولا سمعتُ مثلَه حُسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجنِّ يتغنَّون . فقال : اخرُج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثلِ ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غنَّاه ابن سريج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة[1] : [من السريع]

بالله يـا ظَبْيَ بنـي الحارِثِ ... هل مَنْ وَفى بالعَهْدِ كالنَّاكِثِ
لا تَخْدَعَنِّـي بالمُنَـى باطِلاً ... وأنت بـي تَلعَـبُ كالعابثِ
حتَّى متـى أنـتَ لنـا هكذا ... نَفْسي فِـداءٌ لكَ يـا حارثي
يا مُنْتَهـى همِّي ويـا مُنْيتي ... ويـا هَوَى نفسي ويا وارِثي

[عتاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أنّ رجلاً من [الأشراف من] قريش من مَوالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلتَ على غيره من الآداب لكان أزينَ بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلتُ فِداك ، امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حَملك على هذا ؟ قال : جُعِلتُ فِداك قد فعلتُ . فالتفتَ النوفليّ إلى بعض من كان معه متعجِّباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طَلُقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلمّا توسَّطوا الدار قال : امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزُبْ عنِّي يا لُكَعُ ، ثم بَدَر الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : أتُطَلِّق امرأته وتحمل وِزْرَ ذلك ؟! قال : فوِزْرُ الغناء أشدُّ . قالوا : كَلاَّ ما سَوَّى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغنِّي في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من مجزوء الوافر]

أَلَيْسَتْ بالَّتِي قالتْ ... لمـولاةٍ لَهـا ظهرا
أشِيري بالسَّلامِ لـهُ ... إذا هُـو نحوَنا خَطَرا

---

1 ديوان عمر : 78 .

وقُولِــي في مُلاطفةٍ لِزينــبَ نولّــي عمرا
أهــذا سِحرُكِ النِّسوا نَ قد خَبَّرْنَني الخبرا

فقال للجماعة : هذا واللهِ حسنٌ ، ما بالحجاز مثلُه ولا في غيره . وانصرفوا .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عُمَير اللّيثيّ لابن سريج : لو تركتَ الغناء ، وعاتبه على ذلك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، لو سمعته ما تركته . ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخُل الدار حتى تسمَعَ غِنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيقٍ له كان معه فقال : ما تنتظِر ؟ ادخُل بنا وإلاّ طَلَقتِ امرأةُ الرجل . فدخلا مع ابن سريج ، فغنّى بشعرِ الأحوص : [من المتقارب]

صوت

لقدْ شاقَكَ الحيُّ إذ وَدَّعوا فعَينُــك في إثْرِهــمْ تَدْمَعُ
ونــاداكَ للبَيْــنِ غِرْبانُــه فَظِلْــتَ كأنــَّك لا تَسمَعُ

ثم قال : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن أنت لم تستَحْسِنه لأَترُكَنَّه . فتبسَّم عبد الله وخرج .

نسبةُ ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوتُ الذي أوّلُه في الخبر : [من الخفيف]

جَدّدِي الوَصْلَ يا قريب وجُودِي

أوّلُه[1] : [من الخفيف]

صوت

إنَّ طَيْــفَ الخَيــالِ حــينَ أَلمَّا هــاجَ لي ذُكْــرةً وأحدثَ هَمَّا
جَدِّدِي الوَصْلَ يا قريبَ وجُودِي لُمحِــبٍّ فِراقُــه قــد أَلَمَّا
ليس بــينَ الحيــاةِ والمــوتِ إلاّ أن يَــرُدُّوا جِمالَهــم فتُزَمَّا[2]
ولقــد قُلْــتُ مُخيفــاً لِغَريضٍ هــل تــرى ذلك الغَزالَ الأَجَمَّا[3]
هل تَرى مثلَه مــن الناسِ شَخْصاً أكمــلَ النــاسِ صــورةً وأَتَمَّا[4]

1 ديوان عمر : 393 .
2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .
3 الأجم : الذي ليس له قرنان .
4 الناس في ل : اليوم .

عَرُوضُه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض أيضاً ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : أُنشِدَ جعفرُ بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام قول عمر : [من الخفيف]

ليس بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ أن يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزمّا

فطَرِبَ وارتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلوا البيْنَ ، أفلا يُوكُون قِربةً ! أفلا يُودِّعون صديقاً ! أفلا يشُدُّون رَحْلا ؟ حتى جَرت دموعُه .

وحدّثنا الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله . ومنها : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحِيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم يومُ الرَّحِيل فعلتُ ما لم أفعَلِ[1]

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن ابن المَكِّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد . وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكّي أيضاً . وممّا يُشَكّ فيه أنّه لمعبد أو لكَرْدَم ابنِه في البيت الثاني والأوّل ثاني ثقيل . ولعَريبَ في هذين البيتين لحنٌ من رواية ابن المعتزّ غير مجنّس . ومنها : [من الطويل]

صوت

أمَنزِلَتَيْ سَلْمى على القِدَمِ اسلَما فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً مُتَيَّما
وذَكَّرتُما عصرَ الشَّبابِ الذي مضَى وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجَذَّما

عَروضه من الطّويل . والشعرُ للأحوص ، والغناء لكَردمٍ ثاني ثقيل بالوسطى ، وقيل : إنّ هذا الثقيل الثاني لمحمد الرَّفّ ، وإنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّلِ لكَرْدَم . ومنها : [من الكامل]

صوت

عرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أَبْلادَها
إلاّ رَواكِدَ كُلُّهنّ قَدِ اصْطَلى حَمْراءَ أكثرَ أهلُها إيقادَها[2]

عَروضه من الكامل . الشعر لعَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ ، والغناء لابن مُحرز ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمالكٍ ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرٍو . وفيه لحنٌ لإبراهيم ،

---

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأثافي . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنّه لابن سريج ، وذكر حمَّاد في كتاب ابن مُحرزٍ أنّه ممّا يُنسب إلى ابن مِسجَح [أو إلى ابن مُحرزٍ] . ومنها : [من السريع]

صوت

بالله يا ظَبْــيَ بنــي الحارثِ هل مَنْ وَفَى بالعهدِ كالنَّاكِثِ
لا تَخْدَعَنِّــي بالمُنَــى باطِـلاً وأنتَ بـي تلعَــبُ كالعابثِ

عَروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنُه خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لسِياطٍ . وذكر الهشاميّ وبَذْلُ أنّ فيه لإبراهيم المَوصليّ لحناً آخر . وفيه خفيف رملٍ بالبِنصر ذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم بن المهديّ ، وغيرُه ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

وهو الذي أوّله في الخبر : [من مجزوء الوافر]

أليستْ بالتــي قالــتْ لمولاةٍ لهـــا ظهرا
تَصابَى القلبُ فادَّكَرا هَواه ولم يَكُــن ظَهَرا[1]
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنــا صَفاء لم يَكُــنْ كَدِرا
أليستْ بالتــي قالــتْ لمَــوْلاةٍ لها ظهـــــرا
أَشيري بالسَّلامِ لــــه إذا هــو نحوَنــا نَظَرا
وقُــولي في مُلاطَفــةٍ لزينـــبَ نَــوِّلي عُمَــرا
فهــزَّتْ رأسَها عَجَبــاً وقالتْ مَــنْ بِذا أَمَرا
أهــذا سِحْـرُكَ النِّسْوا نَ قــد خَبَّرْنَنِي الخَبَرا
طَرِبْتَ ورَدّ مَنْ تَهْوى جَمــالُ الحَــيِّ فابتكَرا
فقُلْ للبَرْبَرِيَّــــــةِ لا تَلُومي القلبَ إن جَهَرا[2]
بَطِرْتَ وهكــذا الإنسا نُ ذو بَطَــرٍ إذا طَفِرا
فأيــنَ العَهْـــدُ والميثا قُ لا تُخبِرْ بنــا بَشَرا

---

1 ديوان عمر : 194–195 وهي هنا أكمل ولعلّها هنا ملفّقة من قصائد متعدّدة إذا صحّ توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عَروضه من الوافر . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وللغريض في السابع والثامن والأوّل لحنٌ من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . ولمعبدٍ في هذه الأبيات كلّها لحنٌ عن يونسَ ودنانيرَ ولم يُجنّساه ، وذكَر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفي السابع والثامن والتاسع رملٌ لِدَحْمان ، ويقال إنّه للزُّبير ابنه . ولمالك لحنٌ أوّله : [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

لقــدْ أرسلتُ جارِيَتِي　　وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ

وقُولِــي في مُلاطَفَةٍ　　لزينــبَ نَـوّلي عُمَرَكْ

فهــزَّتْ رَأسَها عَجَبـاً　　وقالتْ مَن بــذا أمَرَكْ

أهـــذا سحــرُك النسوا　　نَ قـــد خبّرنني خبرَكْ

ولحنُ مالك هذا خفيف ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابن المكّيّ . وهكذا يروي الشعر ويجعل قوافِيَه كلَّها على الكاف . وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وإلى الغريض . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمعبد لحناً من الرَّمل أوّله الثالث من الأبيات الأوّل المذكورة .

رجع الخبر إلى سياقَة أحاديث ابن سُرَيج

[ابن سريج أحسن الناس غناء]

أخبرنا يحيى بن عليّ ووكِيعٌ وجَحظة قالوا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال لي الفَضْل بن يحيى : سألتُ أباكَ ليلةً وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غِناءً ، فقال لي : مِنَ النساءِ أم من الرجال ؟ قلتُ : مِنَ الرجال . قال : ابن مُحرز . فقلت : فمِن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق لي : ويقال أحسن الرجال غناءً من تَشَبَّه بالنساء ، وأحسنُ النساء غناءً من تشبَّه بالرجال . قال يحيى بن عليّ خاصَّة : ثم كان ابن سريج كأنـّه خُلِق من قلبِ كلِّ واحد ، فهو يُغنّي له بما يَشتهي .

[ابن سريج ببعض أندية مكّة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمَّاد : قرأتُ على أبي عن الهيثم بن عديّ قال : قال ابن

1 ديوان عمر : 213 .

سريج : مرَرْتُ ببعضِ أندية مكّة وفيه جماعةٌ ، فحَصِرْت فقلت : كيف أَجُوزُهم مع تَعَبِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهم يقولون : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم ممَّن لم يَعْرِفْنِي : ومَنِ ابن سريج ؟ فقال : الذي يغنّي : [من مجزوء الوافر]

ألا هَــلْ هاجَكَ الأظعا نُ إذ جــاوَزْنَ مُطَّلَحا

قال ابن سريج : فلمّا سمِعْتُ ذلك قَوِيَتْ نفسي واشتدّت مُنّتِي ، ومررتُ بهم أَخطِر في مُصبَّغاتِي . فلمّا حاذَيْتُهم قاموا بأجْمَعِهم فسلَّموا عليَّ ، ثمّ قالوا لأحداثِهم : امْشوا مع أبي يَحيى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حدّثني عمّي بهذا الخبر فقال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سَلاَّم عن جرير قال : قال لي ابن سريج : دعاني فِتْيَةٌ من بني مروانَ ، فدخلتُ إليهم وأنا في ثياب الحِجاز الغِلاظ الجافية ، وهم في القُوهِيِّ والوَشْيِ يَرفُلون كأنّهم الدّنانير الهِرَقْلِيَّة ، فغنَّيتُهم وأنا محتقِرٌ لنفسي عندهم لَحناً لِي ، وهو : [من الطويل]

صوت

أَبِالفُرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحيِّ زينبُ بنَفْسِي من النَّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ
بوَجْهِكِ عن مَسِّ التُّرابِ مَضَنَّةٌ فلا تَبْعَدي إذ كلُّ حَيّ سيَعْطَبُ

ولحن ابنِ سريج هذا رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . قال : فتضاءلوا في عَيْني حتى ساوَيْتُهم في نفسي لما رأَيْتُهم عليه من الإعظام لي . ثم غَنّيتُهم : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَـةَ قبلَ أن تَترحَّـلا واسأَلْ فإن قُلالَـةَ أن تَسْأَلا

فطَرِبوا وعظَّموني وتواضَعوا لي ، حتى صِرتُ في نفسي بمَنزِلتهم لِما رأيتُهم عليه ، وصاروا في عيني بمَنْزِلَتِي . ثم غنّيتهم : [من مجزوء الوافر]

أَلاَ هَلْ هاجَكَ الأَظْعا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

فطَرِبوا ومَثَلوا بين يديَّ ورَموا بحُلَلِهم كلِّها عليّ حتى غَطّوني بها ؛ فمثَّلَتْ لي نَفسي أنّها نفسُ الخليفة وأنّهم لي خَوَلٌ ؛ فما رفعتُ طَرَفِي إليهم بعد ذلك تِيهاً . وقد مضت نسبة «ودِّعْ لُبابَةَ» في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره . وأمّا :

أَلا هَـلْ هاجَكَ الأَظْعا نُ.................

فنذكر نسبته : [من الوافر]

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلاَ هَـلْ هاجَكَ الأظعا ... نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحا
نَعَـمْ ولوَشْكِ بينهِـمُ ... جَـرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أَجَزْنَ الماءَ مـن رَكَكٍ ... وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا[1]
فقُلْـنَ مَقِيلُنـا قَـرْنٌ ... نُباكِـرُ مـاءَه صُبُحا
تَبِعْتُهمُ بطَـرْفِ العَيْـ ... ـنِ حتَّى قِيلَ لي افتَضَحا
يُـوَدِّع بَعْضُنـا بعضاً ... وكلٌّ بالهَـوَى جُـرِحا
فمَـنْ يَفْـرَحْ بِبَيْنِهِـمُ ... فغَيْري إذ غَـدَوْا فَرِحا

عروضه من الوافر . الشِّعر لأبي دَهبَلٍ الجُمَحِيّ[2] والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرٍو . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه الغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[مدح جرير ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قَدِمَ جريرٌ المدينة أو مكّة فجلس مع قومٍ ، فجعلوا يَعرِضون عليه غناء رجلٍ رجلٍ من المغنِّين ، حتى غنَّوه لابن سريج ، فطَرِب وقال : هذا أحسنُ ما أسمعتُمُوني من الغناء كلِّه . قالوا : وكيف قلتَ ذاك يا أبا حَزْرة ؟ قال : مَخْرَجُ كلٍّ ما أسمعتموني من الغناء من الرأس ، ومَخرج هذا من الصَّدر .

[تحكيم الأفلح المخزوميّ في غناء قينتين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسمِ بن مَهْرُويه قال حدّثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمدٍ الشافعيّ قال : جاء سندة الخيَّاط المغني إلى الأفلح المخزوميّ ، وكان يوصَف بعقلٍ وفَضْلٍ ، فقال له : من أين أقبلتَ ؟ وإلى أين تَمضي ؟ فقال : إليكَ قصَدْتُ من مجلسٍ لبعضِ القُرَشِيِّين أقبلت مُحاكِماً إليكَ . قال : فيماذا ؟ قال : كنتُ عند هذا الرجلِ وحَضَرتْ مجلسَه رَقْطاءُ الحَبَطِيِّين ، وصفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فتناوَلَتا بينهما رَمَل ابنِ سريج : [من الرمل]

---

1 رككِ : موضع بجبل طيء المسمّى «سلمى» .

2 سبق أن نسبه إلى عمر بن أبي ربيعة وانظر ديوانه ص 84 . وينسب أيضاً إلى جعفر بن الزبير وعبد الرحمن بن أرطاة .

ليتَ شِعْرِي كيفَ أَبْقى ساعةً مع ما أَلْقى إذا الليلُ حَضَرْ
من يَـذُقْ نومـاً ويَهْدأْ ليلُه فلقـد بُدِّلْـتُ بالنـومِ السَّهَرْ
قلـتُ مَهْـلاً إنّهـا جِنيَّـةٌ إن تُخالِطْها تَفُزْ منهـا بشَرّ[1]

فغَنَّتاه جميعاً ، واختلفنا في تفضيلهما ، ففضَّل كلُّ فريقٍ منّا إحداهما ، فرَضِينا جميعاً بحُكْمِك ، فاحكُمْ بيننا وبينهما . قال : فوجَم ساعةً ، وأهلُ الحِجاز إذا أرادوا أن يَحْكُموا تأمَّلوا ساعةً ثم حكَمُوا ، فإذا حكَم المحكَّمُ مضى حكمُه كائناً ما كان ، ففضَّل مَن فضَّله وأَسْقَطَ مَن أَسقطَه ، إذا تَراضى الخَصْمانِ به ، فكَرِهَ الأَفْلَحُ أن يُرضي قوماً ويُسْخِطَ آخرينَ ، فقال لسندة : صِفْهُما أنتَ لي كيفَ كانتا إذ غَنَّتاه واشرَح لي مذهبهما فيه كما سمعتَ ، وأنا أَحْكُم بعد ذلك . فقال سندة : أما جارية الحَبَطِيِّين ، فإنّها كانت تَلوكُ لحنَه كما يلوك الفرسُ العتيقُ لِجامه ، ثم تُلقيه في هامةٍ لَدْنةٍ ثمّ تُخرجه من مَنخَرٍ أَغَنّ[2] ، والله ما ابتدأتْه فتوسَّطَتْه وأنا أَعقِل ، ولا فرَغتْ منه فأَفَقتُ إلاّ وأنا أظُنُّ أنّي رأيتُه في نومي . وأمّا صفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فإنّها أَحْسَنُهما حَلْقا ، وأَصَحُّهما صوتاً ، وأَلْيَنُهُما تَثَنِّياً ، واللهِ ما سَمِعها أحدٌ قطُّ فانتفع بنفسِه ولا دينِه .

هذا ما عندي ، فاحكُمْ أنت يا أخا بَني مَخزومٍ . فقال : قد حكمتُ بأنّهما بمنزلة العينين في الرأس ، فبأيِّهما نظرتَ أبصرتَ ، ولو كان في الدنيا من عُبَيد بن سريج خَلَفٌ لكانتا . قال : فانصَرَفُوا جميعاً راضين بحُكْمه .

[ثناء جرير المدينيّ على ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم قال : سألتُ جَريراً المَدِينيّ عن ابن سريج ، فقال : أتذكُره وَيحَك باسمه ، ولا تقول : سَيِّدُ مَنْ غَنَّى وواحدُ مَنْ ترنَّم !

[ثناء الشعبيّ عليه]

قال حمّاد وحدّثني أبي عن هارون[3] بن مُسلم عن محمد بن زهير السَّعديّ الكوفيّ عن أبي بَكْر بنِ عَيَّاش عن الحسن بن عمرو الفُقَيميّ قال : دخلتُ على الشعبيّ ، فبينا أنا عنده في غُرفته ، إذ سمعتُ صوتَ غِناء ، فقلتُ : أهذا في جِوارِك ؟ فأَشْرف بي على منزلِه ، فإذا بغلامٍ كأنّه فِلْقَةُ قمرٍ وهو يَتَغنّى . قال إسحاق : وهذا الغناء لابن سريج : [من الخفيف]

وقُميرٌ بَدا ابن خمسٍ وعشريـ ـن لـه قالـت الفتاتانِ قُوما

1 تفز في ل : تُصَبْ .
2 ل : أرن .
3 ل : مروان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرِف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيّاً ، هذا ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : حدّثني الهشاميّ الربعيّ عن إسحاق المَوصليّ قال : تغنَّى ابنُ سريج في شعرٍ لعمرَ بن أبي ربيعة وهو[1] : [من الرجز]

صوت

خانَكَ مَنْ تَهْوى فلا تَخُنْهُ وكُنْ وَفِيّاً إن سَلَوْتَ عنهُ
واسلُكْ سَبِيلَ وَصْلِهِ وصُنْه إن كان غَدّاراً فلا تَكُنْهُ
عسى تَبارِيحُ تَجِيءُ منه فيرجِعَ الوَصْلُ ولم تَشِنْهُ

قال المَكِّيُّون : قال ابن سريج : ما تغنَّيْتُ بهذا الشعر قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي أُحَلُّ محلَّ الخليفةِ .

قال مؤلّف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهانيّ : وجدت في هذا الشعرِ لحنَيْن : أحدُهما ثقيلٌ أوّلُ والآخر رَمَلٌ ، مجهولَيْن جميعاً ، فلا أدري أيُّهما لحنُه .

[وصف ابن سريج للمغني المحسن]

ونسَخْتُ من كتاب العَتَّابيّ : أخبرني عَونُ بن محمد قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفَضْلِ بن الرَّبيع عن جدّه الفَضْل عن ابن جامع عن سِياطٍ عن يونس الكاتب عن مالك بن أبي السَّمح قال : سألتُ ابن سريج عن قول الناس : فلان يُصيب وفلان يُخطىء ، وفلان يُحسِن وفلان يُسيىء ؛ فقال : المصيب المحسنُ من المغنِّين هو الذي يُشْبع الألحانَ ، ويَمْلأُ الأنفاس ، ويُعَدِّل الأوزان ، ويُفَخِّم الألفاظ ، ويَعرِف الصواب ، ويُقيم الإعراب ، ويستوفي النَّغَم الطِّوال ، ويُحسِّن مقاطيع النَّغَم القِصار ، ويُصِيبُ أجناس الإيقاع ، ويَختلسُ مواقع النَّبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النَّقَرات . فعرَضْتُ ما قال على معبدٍ ، فقال : لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء إلاّ هكذا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنّية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثني الزُّبير ابن بَكّار عن ظَبْيَةَ : أنّ يزيد بن عبد الملك قال لحَبابة يوماً : أتعرفين أحداً هو أطربُ منّي ؟ قالت . نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأُشخص إليه مقيَّداً . وأُعلم بحاله فأذن في إدخاله ، فمثَل بين يديه وحَبابة وسَلاَّمة تُغنّيان ؛ فغنَّته سلاَّمة لحن الغريض في : [من المتقارب]

---

1 ديوان عمر : 440 .

تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا

فطرِبَ وتحرّك في أقياده . ثم غنَّته حبابةُ لحن ابن سريج المجرّد في هذا الشعر ، فوثَب وجعل يَحجُلُ في قيده ويقول : هذا وأبيكما ما لا تعذُلاني فيه ، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت ، وجعل يصيح : الحريقَ الحريقَ يا أولاد الزِّنا . فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقّاً ، ووصله وسرَّحه إلى بلده .

[سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا فضلٌ اليزيديّ عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان جالساً ، فمرّ به عطاءٌ وابن جُريج . فحلفَ عليهما بالطَّلاق أن يُغنِّيهما ، على أنّهما إن نهياه عن الغِناء بعد أن يسمعا منه تركه . فوقفا له وغنّاهما : [من المديد]

إخوتي لا تَبْعُدُوا أبداً وابلَى واللهِ قد بَعُدُوا

فغُشيَ على ابن جُريج ، وقام عطاء فرقَص . ونسبة هذا الصوت وخبره يُذكر في موضعٍ آخر .

[غناء ابن سريج عند موقف الحاج للاستماع]

أخبرني الحسن قال حدّثنا الفضل عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان عند بستان ابن عامرٍ يغنِّي : [من مجزوء الوافر]

لِمَنْ نارٌ بأعْلى الخَيْـ ـفِ دونَ البئر ما تَخبُو
أرِقْتُ لذكرِ موقعِها فحَنَّ لذكرِها القَلْبُ
إذا ما أخمِدتْ أُلْقِي عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

فجعل الحاجُّ يركب بعضُهم بعضاً ، حتى جاء إنسانٌ من آخر القُطُرات فقال : يا هذا ، قد قطعتَ على الحاجِّ وحبستَهم ، والوقتُ قد ضاق ، فاتّقِ اللهَ وقُمْ عنهم ، فقام وسار الناس .

[ابن سريج ينال جائزة السابق في الغناء]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن زكريا قال حدّثني يزيد بن محمد عن إسحاق المَوصِليّ : أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا حَجَّ سبّق بين المغنِّين بَدْرَةً . فجاء ابن سريج وقد أُغلِقَ الباب ، فلم يأذَنْ له الحاجب ، فأمسك حتى سَكتُوا وغنّى : [من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي

فقال سليمان : ينبغي أن يكون هذا ابن سريج ، قالوا : هو هو ، قال : أدخلوه فأُدخل فأمره بإعادة الصوت فأعاده ، فقال : خذ البدرة ، وأمر للمغنين بأُخرى .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الوافر]

سَرى همِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي ... وغابَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ
أُراقِبُ في المَجَرَّة كلَّ نَجْمٍ ... تعرَّض للمَجَرَّة كيفَ يَجْرِي
لِهَـمٍّ لا أزالُ لــه مُديماً ... كأنّ القلبَ أُسْعِر حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي ولَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

الشعر لعُروة بن أُذَينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه لأبي عبّاد[2] رملٌ بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن لصاحبِ[3] الحَرُون .

[تاريخ وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن مِقَمَّةَ : دخلتُ على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يَحيى ؟ فقال : أصبحتُ واللهِ كما قال الشاعرُ : [من الوافر]

كأنّي من تَذَكُّرِ ما أُلاقِي ... إذا ما أَظْلَمَ الليلُ البهيمُ
سَقيمٌ مَـلَّ منـه أَقْرَبُوه ... وأَسْلَمَه المُداوِي والحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مِقَمَّة : لمّا احتُضِر ابن سريج نظرَ إلى ابنته تبكي فبكى ، وقال : إنّ من أكبر هَمِّي أنتِ ، وأَخشى أن تَضِيعي بَعدِي . فقالت : لا تَخفْ ؛ فما غَنَّيتَ شيئاً إلاّ وأنا أُغنِّيه . فقال : هاتي . فاندفعت تُغنِّي أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما في نفسي ، وهوَّنْتِ عليّ أمرَكِ . ثم دعا سعيدَ بن مسعود الهُذَليّ فزوَّجه إيَّاها ؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله ؛ فهو الآن يُنسب إليه . قال إسحاق : فقال كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمي يرثيه : [من البسيط]

ما اللهوُ بعدَ عُبَيْدٍ حين يَخْبُرُه ... مَنْ كان يَلهو بــه منه بمُطَّلَبِ
للهِ قبرُ عُبَيدٍ مــا تضمَّن من ... لَذاذَةِ العَيْشِ والإحسانِ والطربِ

---

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .

2 ل : لابن عباد .

3 ل : لحاجب .

لولا الغَرِيضُ ففيه من شمائِلِهِ   مَشابِهٌ لم أكُنْ فيها بذي أَرَبِ[1]

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيَّة أنّ قادماً قَدِمَ المدينة فسارَّ معبداً بشيء ، فقال معبدٌ : أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟ قالوا لا . قال : أُعلمني أنّ عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناس غناءً وهو حَيٌّ . وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة : [من السريع]

صوت

قالــتْ وعَيناها تَجُودانِها   صُوحِبْتَ واللهُ لكَ الرَّاعِي

يا ابنَ سُرَيجٍ لا تُذِعْ سِرَّنا   قد كُنتَ عِندي غيرَ مِذْياعِ

غنّى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيّوب المَدينيّ : تُوُفّيَ ابن سريج بالعِلَّة التي أصابته من الجُذام بمكّة ، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكّة ودُفِن في موضع بها يقال له دَسْمٌ[2] .

[وقفة على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني هارون بن أبي بكرٍ قال حدّثني إسحاق بن يعقوب العثمانيّ مَولى آل عثمان عن أبيه قال : إنّا لبفِناءِ دار عمرو بن عثمان بالأَبطح في صُبح خامسةٍ من الثَّمان ، يعني أيام الحجّ ، قال : كنت جالساً أيّام الحجّ ، فما إن دَرَيْتُ إلاّ برجلٍ على راحلةٍ على رحل جَميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فانتسبتُ لهما عثمانيّاً . فنزلا وقالا : رجلان من أهلِك لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تقضيها قبل أن نُشْدَه[3] بأمر الحَجّ . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً يَقِفُنا على قبر عُبَيد بن سرَيج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلّة بني أبي قارة من خزاعة بمكّة ، وهم موالي عبيد ابن سريج ، فالتمستُ لهما إنساناً يَصحبهُما حتّى يَقِفَهما على قبره بدسْم ، فوجدتُ ابن أبي دُباكِلٍ فأنهضتُه معهما . فأخبرني بعد : أنّه لَمّا وَقَفَهُما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسَر عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فعقَر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كَلِيلٍ حَسَنٍ ويقول : [من الطويل]

---

1 شمائله في ل : مشابهه .

2 دسم : موضع على مقربة من مكّة .

3 نشده : نشغل .

وَقَفْنا على قبرٍ بدَسْمٍ فَهاجَنا وذكَّرنا بالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ
فجالتْ بأرجاءِ الجُفُونِ سَوافِحٌ من الدَّمْعِ تَسْتَلي الذي يَتَعَقَّبُ
إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدِّ ساقَها دمٌ بعدَ دمعٍ إثْرَه يَتَصَبَّبُ
فإن تُسْعِدا نَنْدُبْ عُبَيداً بعَوْلَةٍ وقَلَّ لـه منَّا البُكا والتَّحَوُّبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القُرَشيّ : خُذ في صوت أبي يحيى ؛ فاندفع يتغنّى[1] : [من الطويل]

أَسْعِدانِـــي بعَبْـــرَةٍ أَسْرابِ من دُمُـوعٍ كَثِيرةِ التَّسْكابِ
إنّ أَهْلَ الحِصابِ قـد تركُونِي مُولَهـاً مُولَعـاً بأهـلِ الحِصابِ
أهـــلِ بيتٍ تتابَعُـــوا للمَنايـا مـا على الموتِ بعدَهم من عِتابِ
فارَقُونِـي وقـد علمتُ يقينـــاً مـــا لِمَنْ ذاقَ ميتَةً مـن إيابِ
كم بذاكَ الحَجُونِ من أهلِ صِدْقٍ وكُهُـــولٍ أعِفَّـــةٍ وشَبـابِ
سَكَنُوا الجَزْعَ جَزْعَ بَيتِ أبي مُو سَى إلى النَّخْلِ من صُفِيِّ السِّبابِ
فلِـيَ الويـلُ بعدَهـم وعليهـمْ صِرْتُ فـرداً ومَلَّنِـي أَصْحابِي

قال ابن أبي دُباكِلٍ : فواللهِ ما تَمَّم صاحبُه منها ثلاثاً حتى غُشِيَ على صاحبِه ، وأقبل يُصلح السَّرج على بغلته وهو غير مُعَرِّجٍ عليه . فسألتُه مَن هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذام . قلتُ : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن المُنْتَشِر . قال : ولم يَزَل القُرَشيّ على حاله ساعةً ثم أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضحُ الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مَصبوبٌ[2] على نفسك ! ومَن كَلَّفَك ما تَرى ؟ ثم قرّب إليه الفرسَ ، فلمّا عَلاه استخرج الجذاميّ من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدَحاً وإداوة ماءٍ ، فجعل في القدح تُراباً من تُراب قَبرِ ابن سريج وصَبَّ عليه ماءً من الإداوة ، ثم قال : هاكَ فاشرب هذه السَّلْوَة فشرِب ، ثم فعل هو مثل ذلك ، وركِب على البغل وأردفَنِي . فخرجا والله ما يُعَرِّضان بذكر شيءٍ ممّا كنّا فيه ، ولا أَرى في وجوههما شيئاً ممّا كنت أرى قبلَ ذلك . فلمّا اشتمَلَ علينا أبطحُ مكّة قالا : انزِل يا خُزاعيّ فنزلتُ . وأومأ الفتى إلى الجذاميّ بكلامٍ ، فمدَّ يده إليّ وفيها شيءٌ فأخذته ، فإذا هو عشرون ديناراً ، ومضيا . فانصرفتُ إلى قبره ببعيرَيْنِ ، فاحتملتُ عليهما أداةَ الراحلتين اللتين عقَراهما فبعتُها بثلاثين ديناراً .

1 الشعر لكثير بن كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الحيري من الأغاني .
2 ل : منصوب .

صوت
من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة[1] : [من الطويل]

أهــاجَ هــواكَ المنزلُ المُتَقادِمُ نعمْ وبــه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أَوْتادٍ وأَشْعَثُ داثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ في المَحَلِّ جَواثِمُ[2]

عَروضه من الطَّويل . الشعرُ لنُصَيْبٍ ، والغناء في اللَّحن المختار لابن محرز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، وله فيه أيضاً هزج بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر جَحظة عن أصحابه أنّه هو المختار ، وحكى عن أصحابه أنّه ليس في الغناء كلِّه نَغَمَةٌ إلاّ وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها .

ومن قصيدة نُصَيب هذه مما يُغنَّى فيه قوله : [من الطويل]

لقد راعَني للبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُه قَديمٌ وأمّا شَجْوُهُنَّ فَدائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البِنصر عن يونس ويحيى المَكّيّ وإسحاق ، وأظنُّه مع البيتين الأوّلين وأن الجميعَ لحنٌ واحد ، ولكنّه تفرَّق لصعوبة اللَّحن وكثرةِ ما فيه من العمل ، فجُعِلا صوتَيْن .

1 شعر نُصيب : 128 عن الأغاني .
2 أشعث : صفة للوتد ؛ وسفع صفة للأثافي .

[7] ـ ذكر نُصَيْبٍ وأخباره[1] [–108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رَباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعضِ العرب من بني كِنانةَ السُّكَّان بوَدان[2] ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم ، وقيل : بل كاتب مَواليه ، فأدَّى عنه مُكاتبَتَه .

وقال ابن دَأب : كان نُصَيْبٌ من قُضاعة ثم من بَليٍّ . وكانت أُمُّه سوْداءَ فوقع عليها سيِّدُها فحبِلت بنُصَيبٍ ، فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرة . وكان شاعراً فَحْلاً فصيحاً مُقدِّماً في النسيب والمديح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إنّه لم يَنْسُبْ قطُّ إلاّ بامرأته .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : كتب إليّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيب بن رباح يذكُر عن عمَّتِه غَرْضَةَ بنت النُّصَيب : أنّ النُّصيب كان ابن نوبِيَّيْن سَبِيَّيْن كانا لخُزاعة ، ثم اشترت سَلامة أُمَّ نُصَيب امرأةٌ من خُزاعة ضَمريَّة حاملاً بالنُّصيب ، فأعتقتْ ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : كان نُصيبٌ من أهل وَدَّان عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أهلُ بيته . وكان أهل البادية يدعونه النُّصيب تفخيماً له ، ويَرووُن شِعره . وكان عفيفاً كبيرَ النَّفْس مُقَدَّما عند الملوك ، يُجيد مَديحَهم ومَراثيَهم .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان نُصيب من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعَةَ . وكانت أُمُّه أمةً سوداء ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

---

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشّح للمرزباني : 296 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752–2757 ، تحقيق إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197–201 تحقيق إحسان عبّاس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386–390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعلّ المراد هو الذي بين مكّة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حمّاد وأخبرني أبي عن أيوب بن عَباية ، وأخبرنا الحِرْميُّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيّوب بن عبايَةَ قال حدّثني رجلٌ من خُزاعة من أهل كُلَيَّةَ ، وهي قرية كان فيها النُّصَيب وكُثَيِّر ، قال : بلغني أنّ النّصَيب قال : قلتُ الشِّعر وأنا شابّ فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتِي مَشْيَخَةً من بني ضَمرة بن بكر بن عبد مَناة ، وهم موالي النُّصَيب ، ومشيخةً من خُزاعة ، فأُنشِدُهم القصيدة من شِعْري ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشِّعرُ ! فلمّا سمعتُ ذلك منهم علِمتُ أنّي مُحسِنٌ ، فأزمعوا وأَزمَعْتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأُختي أُمامة وكانت عاقلةً جَلدةً : أي أُخَيَّة ، إنّي قد قلت شعراً ، وأنا أُريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعتِقَكِ اللهُ عزّ وجلّ به وأُمّك ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابَتي . قالت : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ! يا ابن أمَّ ، أتَجتمع عليك الخصلتان : السَّواد ، وأن تكون ضُحكَةً[1] للناس ! قال : قلت فاسمعي ، فأنشدتُها فسمِعَت ، فقالت : بأبي أنتَ ، أحسنتَ واللهِ ، في هذا والله رَجاءٌ عظيمٌ ، فاخرُج على برَكةِ الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قدِمتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فعرَّجتُ إليه فقلت : أُنشِده وأستنشده وأَعرِض عليه شِعري . فأَنشدتُه : فقال لي : وَيلَكَ ؟ أهذا شِعرُك الذي تَطلُب به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلستَ في شيء ، إن استطعتَ أن تكْتُم هذا على نفسِك فافعل . فانفضختُ عَرَقاً ، فحَصَبَنِي رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمِع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شعرُك الذي أنشدتَه الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أَصَبتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرف مَحاسن الشعرِ ، فَامض لوَجهك ولا يَكسِرَنَّك . قال : فسَرَّني قوله ، وعلمتُ أنّه قد صدَقَني فيما قال ، فاعتزمتُ على المُضِيِّ .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدِمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس ، فنُحِّيت عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءَهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشَّارة سَهْلَ المَدخَل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أُماشي بغلته . فلمّا رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد ازدريتُ فطُرِدتُ من الباب ونُحِّيت عن الوجوه . قال :

1 الضحكة : من كان يضحك منه الناس .

فأنشِدني ، فأنشدته . فأعجبه شِعري ، فقال : ويحك ؛ أهذا شِعرُك ؟ فإيّاك أن تَنْتحِلَ ؛ فإنّ الأمير راويةٌ عالمٌ بالشِّعر وعنده رُواةٌ ، فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو إلاّ شِعري . فقال : ويحَك ، فقُل أبياتاً تذكرُ فيها حَوْفَ[1] مصر وفضلَها على غيرها ، والقَنِي بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ فأنشدتُه قولي[2] : [من الطويل]

سَرى الهَمُّ تَثْنِيني إليكَ طَلائعُهْ ... بمصرَ وبالحَوْف اعتَرَتْنِي رَوائعُهْ
وباتَ وِسادِي ساعدٌ قلَّ لحمُه ... عن العَظْمِ حتى كاد تَبْدُو أَشاجِعُهْ[3]

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت : [من الطويل]

وكم دونَ ذاكَ العارضِ البارقِ الذي ... له اشتَقْتُ مِنْ وَجْهٍ أسيلَ مَدامعُهْ
تَمَشَّى بــه أفْناءُ بَكْــرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرابعُهْ
فكلُّ مَسِيلٍ مِــن تِهامــةَ طيِّبٌ ... دَميثُ الرُّبى تَسْقِي البِحارَ دَوافِعُهْ
أعِنِّــي على بَــرْقٍ أُريكَ وَمِيضَه ... تُضِيءُ دُجُنَّــاتِ الظَّــلامِ لَوامِعُهْ
إذا اكتَحَلَتْ عَينا مُحِبٍّ بضَوْئِهِ ... تَجافَتْ به حتى الصَّباحِ مَضاجِعُهْ
هَنِيئــاً لأُمِّ البَخْتَرِي الرِّوى بــه ... وإن أنْهجَ الحَبْلُ الذي أنا قاطِعُهْ
ومــا زِلــتُ حتّى قُلْتُ إنِّي لَخالِعٌ ... وَلائِيَ مِنْ مَوْلًى نَمَتْنِي فَوارِعُهْ
وَمانِــحُ قــومٍ أنتَ منهمْ مَوَدَّتِي ... ومُتَّخِــذٌ مَــوْلاكَ مَوْلــىً فتابِعُهْ

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعرٌ ، احْضُرْ بالبابِ حتّى أذْكُرَك للأمير . قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظَنَنْتُ أنّه أمكنه أن يذكرَني حتى دُعي بي . فدخلت فسلَّمتُ على عبد العزيز ، فصعَّد فيَّ بصره وصوَّب ، ثم قال : أنت شاعرٌ ؟ ويلك ! قلت : نَعم ، أيُّها الأمير . قال : فأَنشِدني . فأنشدته ، فأعجبه شِعري . وجاء الحاجب فقال : أيّها الأمير ، هذا أيمن بن خُرَيْم الأسديّ[4] بالباب . قال : ائذَن له ، فدخل فاطمأنّ . فقال له الأمير : يا أيمن بن خرَيم ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إليّ فقال : والله لنِعمَ الغادِي في أَثَر المَخاض ، هذا أيّها الأمير أرى ثمنَه مائة دينار . قال : فإنّ له شِعراً وفصاحةً . فقال لي أيمن : أتقول الشِّعر ؟ قلت نعم . قال : قيمتُه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أَرفَعهُ وتخفِضُه أنتَ ؟ قال : لكونه أَحمق أيُّها الأمير ! ما لهذا

---

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .
2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينة ، وانظر ديوان نصيب : 103–104 .
3 الأشاجع : أصول الأصابع .
4 سيترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشِّعر ؟ أمِثْلُ هذا يقول الشِّعر أو يُحسِن شِعراً ؟ فقال : أنشِده يا نُصَيب ، فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمنُ ؟ قال : شِعرُ أسود . وهو أشعر أهلِ جلدَته . قال : هو والله أشْعرُ منكَ ، قال : أمِنّي أيُّها الأمير ؟ قال : إي والله منكَ . قال : واللهِ أيُّها الأمير ، إنّك لَمَلُولٌ طَرِفٌ . قال : كذبتَ والله ما أنا كذلك ؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك ، تُنازِعُني التَّحيَّة وتُؤاكِلُني الطَّعامَ وتَتَّكِيءُ على وسائِدي وفُرُشي وبكَ ما بكَ ؟ يَعني وَضَحاً كان بأيمن ؛ قال : ائذَن لي [أنْ] أخرج إلى بشر بالعراق ، واحمِلني على البريد . قال : قد أذِنتُ لك ، وأمَر به فحُمِل على البريد إلى بشْرٍ . فقال أيمن بن خُرَيم : [من الوافر]

ركبتُ من المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ البَريدا
ولو أعطاكَ بِشْرٌ ألْفَ ألْفٍ ... رَأى حَقّاً عليه أن يَزيدا
أميرَ المؤمنينَ أقِمْ ببِشْرٍ ... عَمُودَ الحقّ إنّ لهُ عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقوِّمْهُمْ ويُحْدِثْ ... لأهلِ الزَّيغْ إسلاماً جَديدا
كأنّ التاجَ تاجَ بني هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأعْظَمِ الأيّامِ عِيدا
على دِيباجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خالفتِ الخُدُودا

قال أيّوب يعني بقوله :

إذا الألوان خالَفتِ الخُدودا

أنّه عَرَّضَ بكَلَفٍ كان في وجهِ عبد العزيز .

وأعْقَبَ مِدْحَتِي سَرْجاً مليحاً ... وأبْيَضَ جُوزَجانِيّاً عَتُودا[1]
وإنّا قد وَجَدْنا أُمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذكاراً وَلُودا

قال : فأعطاه بِشْرٌ مائةَ ألفِ درهمٍ .

[أوّل من نوّه باسم نصيب ووصله بعبد العزيز بن مروان]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : أوّلُ مَن نَوَّه باسم نُصَيب وقَدِمَ به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فَروة ، قَدِمَ به عليه وهو وَصِيفٌ حين بلغ وأوّلَ ما قال الشِّعرَ . قال : أصْلَح الله الأميرَ ، جئتُك بوصِيفٍ نُوبيٍّ يقول الشعر ، وكان نُصَيب ابنَ نُوبيَّيْن ، فأدخله عليه ، فأعجبه شعره ، وكان معه أيْمَن بن خريم الأسديّ . فقال عبد العزيز : إذا دعوتُ بالغداءِ فأدخِلوه عليَّ في جُبَّةِ صوفٍ مُحتزِماً بعِقالٍ ، فإذا قلتُ قَوِّموه فقوِّموه وأخرجوه ورُدُّوه عليّ في جُبَّة وَشْيٍ ورِداء

---

1 يعني جملاً قويّاً أبيض من منطقة جوزجان .

وشيٍ . فلمّا جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أُدخِل نُصَيب في جُبَّة صوفٍ محتزماً بعِقال ، فقال : قوِّموا هذا الغلام . فقالوا : عشرةٌ ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : رُدُّوه ، فأُخرجوه ثم ردُّوه في جُبّة وَشْيٍ ورِداء وَشْيٍ . فقال : أنشِدنا ، فأنشدهم . فقال : قوّموه ، قالوا : ألفُ دينار . فقال أيمن : والله ما كان قطُّ أقلَّ في عَيْني منه الآن ، وإنّه لنِعمَ راعي المَخاض . فقال له : فكيف شِعرُه ؟ قال : هو أشعر أهلِ جلدتِه . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منكَ . قال : أمِنّي أيّها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنّك لَمَلولٌ طَرِفٌ . فقال له : والله ما أنا بملولٍ وأنا أنازِعُكَ الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدَك حيث أضعَها وتلتقي يدُك مع يدي على مائدة ، كلُّ ذلك أحتملك ، وكان بأيمن بياضٌ ، فقال له أيمن : ائذَن لي أن أخرُج إلى بِشْرٍ . فأَذِن له فخرج ، وقال أبياته التي أوّلها : [من الوافر]

رَكِبْتُ من المقطَّمِ في جُمادى

وقد مضتِ الأبياتُ . قال : فلمّا جازَ بعبد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أُريد أخاك بِشْراً . قال : أتَجُوزُني ؟! قال : إي واللهِ أجوزُكَ إلى مَن قَدِمَ إليَّ وطلبَني . قال : فلِمَ فارقتَ صاحبك ؟ قال : رأيتُكم يا بَني مَروان ، تتّخذون للفتى من فِتيانِكم مؤدِّبا ، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدِّبِينَ . فسرَّ ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقِد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعتق النصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : يقال : إنّ نُصَيباً أَضَلَّ إبلاً له فخرج في بُغائِها فلم يُصِبها ، وخاف مَوالِيه أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصّته ؛ فأَخلَف عليه ما ضلَّ لَمَواليه وابتاعه وأَعتقه .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الهِلاليّ ثم الدَّوسيّ قال : أراد النُّصَيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبدٌ لبني مُحرز الضَّمْريّ ، فقالت أُمُّه له : إنّك ستَرْقُد ويأْخُذُك ابن مُحرز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقَولها . حتى إذا كان بمكان ماءٍ يُعرَف بالدَّوّ ، فبينا هو راقد إذ هجم عليه ابن مُحرز ؛ فقال حين رآه : [من الطويل]

إنّي لأَخشى من قِلاصِ ابن مُحرِزٍ ... إذا وَخَدَتْ بالدَّوِّ وَخْدَ النَّعائِمِ

يَرُعْنَ بَطِينَ القَوْمِ أيَّةَ رَوْعةٍ ... ضُحَيّا إذا اسْتَقْبَلْنَه غيرَ نائِمِ

فأَطلقوه ، فرجع فأتى أُمّه . فقالت : أخبرتُك يا بُنيّ أنّه ليس عندك أن تُعْجِزَ القومَ . فإن كنتَ يا بُنَيِّ قد غلبتَني أنّك ذاهبٌ فخُذ بنت الفلانة ؛ فإنّي رأيتُها وَطِئَتْ أفحُوصَ[1] بيضات

---

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطاةٍ فلم تَفلِقْهنّ فَرِكبَها ، فهي التي بلَّغته ابنَ مروان .

قال أبو عبيد الله بن الزبير : عندنا أنّ التي أعتقتْه امرأةٌ من بني ضَمْرَة ثم من بني حَنْبلٍ .

[أوّل اتصاله نصيب بعبد العزيز بن مروان]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد قال حدّثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدّثنا كُلَيب بن إسماعيل مَولى بني أُميَّة وكان حَدِثاً (أي حَسَن الحديث) قال : بلغني أن نُصَيباً كان حبشيّاً يَرعى إبلاً لمواليه ، فأضلّ منها بعيراً ، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسطاطَ ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ، وهو وَليُّ عَهد عبد الملك بن مروان ، فقال نُصَيبٌ : ما بعدَ عبد العزيز واحدٌ أعتمِدُه لحاجتي . فأتى الحاجبَ فقال : استأذِنْ لي على الأمير ؛ فإنّي قد هيَّأْتُ له مديحاً . فدخل الحاجب فقال : أصلح الله الأميرَ ، بالباب رجلٌ أسودُ يستأذِن عليك بمديحٍ قد هيّأَهُ لك . فظَنَّ عبد العزيز أنّه ممن يُهزأ به ويُضْحِكُهم ، فقال : مُرْه بالحضورِ ليوم حاجتِنا إليه . فغدا نُصَيب وراح إلى باب عبدِ العزيز أربعةَ أشهُر ، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسَرَّه ، فأمر بالسَّرير فأُبْرِز للناس ، وقال : عليَّ بالأسود ، وهو يريد أن يُضحِكَ منه الناسَ . فدخل ، فلمّا كان حيث يُسمع كلامُه ، قال[1] : [من المتقارب]

لِعبـدِ العَزيـزِ على قَومِـه	وغيرِهِـمُ نِعَـمٌ غامِرَهْ
فبابُـكَ ألـينُ أبوابِهم	ودارُك مأهولـةٌ عامِرَهْ
وكلبُـكَ آنسُ بالمُعْتَفِينَ	مِـن الأمِّ بالإبْنَـة الزائِرهْ
وكَفُّكَ حينَ تَرى السائليـ	ـنَ أَنْدى من اللّيلةِ الماطِرهْ
فَمنكَ العَطاءُ ومنّي الثّناءُ	بكـلِّ مُحَبَّـرةٍ سائرهْ

فقال : أَعطُوه أَعْطُوه . فقال : إنّي مملوكٌ . فدعا الحاجبَ فقال : اخرُجْ فابلُغْ في قيمته ؛ فدعا المقوِّمين فقال : قَوِّموا غلاماً أسودَ ليس به عَيبٌ . قالوا : مائةُ دينارٍ . قال : إنّه راعٍ للإبل يُبْصرها ويُحسِن القيامَ عليها . قالوا : حينئذٍ مائتا دينار . قال : إنّه يبْري القِسيَّ ويُثقفُها ويَرمي النَّبْلَ ويَريشُها . قالوا : أربعمائة دينار . قال : إنّه راويةٌ للشِّعر بصيرٌ به . قالوا : ستُّمائة دينار . قال : إنّه شاعرٌ لا يُلحَق حِذقاً . قالوا : ألفُ دينار . قال عبد العزيز : ادفَعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ثَمَنَ بَعِيري الذي أضللت . قال : وكم ثمنُه ؟ قال : خمسةٌ وعشرون ديناراً . قال ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ؛ جائزتي لنَفسي عن مديحي إيَّاك . قال : اشترِ نفسك ثم عُد إلينا . فأتى الكوفة وبها بِشْرُ ابنُ مروان ، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه . وخرج بِشر بن مروان

1 أمالي الزجاجي : 44–45 وديوان نصيب (تحقيق د . داود سلوم) بغداد : 69 .

متنزِّهاً فعارضَه ، فلمّا ناكبَه (أي صار حِذاء مَنكبه) ناداه[1] : [من الكامل]

يا بشرُ يا ابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خلقَ الإلهُ يَدَيْـكَ للبُخْلِ
جاءتْ بـه عُجُـزٌ مُقابَلَةٌ ما هُنّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ

قال : فأمَر له بِشْرٌ بعشرة آلاف درهم . الجعفريّة التي عَناها نُصَيب : أمُّ بِشر بن مروان ، وهي قُطَيَّة بنت بِشر بن عامر مُلاعب الأسِنَّة بن مالك بن جعفر بن كِلاب .

[أم بشر بن مروان]

أخبرنا اليَزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ عن عبد الله بن مُسْلم وعامر بن حَفص وغيرهما : أنّ مروان بن الحَكَم مَرَّ ببادية بني جعفر ، فرأى قُطَيَّة بنت بِشر تَنزِع بدَلْو على إبلٍ لها ، وتقول : [من الرجز]

ليس بنا فَقْرٌ إلى التَّشَكّي جَرَبَّـةٌ كحُمُـرِ الأَبَكِّ[2]
لا ضَرَعٌ فيها ولا مُذَكّي[3]

ثم تقول : [من الرجز]

عامــانِ تَرْقيقٌ وعــامٌ تَمَّما لم يَترِكْ لَحْماً ولم يَتْرُكْ دما
ولم يَدَعْ في رأسِ عَظْمٍ مكدما إلاّ رَذايـا ورجـالاً رُزَّما[4]

فخطبها مروان فتزوّجها ، فولدتْ له بِشر بن مروانَ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيّوب عن خليل بن عَجْلان في خبر النُّصَيب مثلَ ما ذكره الزّبير وإسحاق سواءً .

[نصيب يقسم ما يصيبه في مواليه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : دعا النُّصَيب مَواليه أن يستلحِقوه فأبى ، وقال : والله لأن أكون مولًى لائقاً أحبُّ إليّ من أن أكون دَعِيّاً لاحِقاً . وقد علمتُ أنّكم تريدون بذلك مالي ، ووالله لا أَكسِبُ شيئاً أبداً إلاّ كنتُ أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم ، لا أستأثِرُ عليكم منه بشيء أبداً . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدهم .

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا [الزُّبيري ، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن

---

1 ديوان نصيب : 120 .
2 الجربّة : قطيع من الحمير . الأبكّ : الحمير المتدافعة .
3 الضرع : الضعيف . المذكّي : المسنّ .
4 مكدم : موضع للكدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أبي خَيثَمة قال حدّثنا الزُّبير] قال حدّثنا محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال : دخل النُّصَيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى أنّه سيُنشده مديحاً له ، فأنشده قوله يفتخر[1] : [من الطويل]

ورَكْبٍ كأنَّ الريحَ تطلُبُ عندهمْ ... لهـا تِـرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ

سَرَوْا يَرْكَبُون الريحَ وهي تَلُفُّهم ... على شُعَبِ الأَكْوارِ من كلِّ جانبِ

إذا اسْتَوْضَحُوا ناراً يقولون ليتَها ... وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نـارُ غالبِ

قال : وعمامتُه على رأسِه مثلُ المِنْسَفِ ؛ فغاظ سليمان وكَلَحَ في وجهه ، وقال لنُصَيب : قُمْ فأَنشِدِ مولاك وَيلَك ، فقام نُصَيب فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

أقـولُ لِرَكْـبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهم ... قَفا ذاتِ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ[3]

قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّني ... لمعروفِـه من أهلِ وَدَّانَ طالبُ

فعاجُـوا فأَثْنَوا بالذي أنـت أهلُه ... ولـو سكتوا أَثْنتْ عليكَ الحقائبُ

وقالـوا عَهِدْنـاهُ وكلَّ عشيَّةٍ ... بأبوابه من طالبِ العُـرْفِ راكبُ

هو البدرُ والناسُ الكَواكِبُ حولَه ... ولا تُشْبِهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ[4]

فقال له سليمان : أحسنتَ والله يا نُصَيب ، وأمر له بجائزة ولم يصنَعْ ذلك بالفرزدق .

فقال الفرزدق وقد خرج من عنده : [من الوافر]

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُـه رجـالاً ... وشرُّ الشعرِ ما قـال العَبِيدُ

[النصيب وعبد العزيز بن مروان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه موسى بن عبد العزيز قال : حَمل عبد العزيز بن مروان النُّصَيب بالمقطَّم ، مقطَّم مصرَ ، على بُخْتيٍّ قد رَحَلَه بغَبِيطٍ[5] فوقَه ، وألبسه مُقَطَّعاتِ وَشْيٍ ، ثم أمره أن ينشد ؛ فاجتمع حوله السُّودان وفَرِحوا به ، فقال لهم : أسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إي والله . قال : والله لَما يَسوءُ كم من أهل جِلدتِكم أكثرُ .

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر ـ بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .

2 ديوان نصيب : 59 .

3 قارب : ذاهب للورود .

4 المضيء في ل : المنير .

5 الغبيط : الرحل .

[نصيب وجرير]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو العَرّاف قال : مَرَّ جريرٌ بنُصَيب وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتِك . قال : وجلدتِك يا أبا حَزْرة .

[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيّوب بن عبايَة قال : بلغني أنّ النُّصَيب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أَخلى له مجلسه واستنشده مَراثي بني أُميَّة ، فإذا أنشده بكى وبكى معه . فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]

إذا استبَقَ الناسُ العُلا سَبَقْتَهمُ يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّت شِمالُها[1]

فقال له هشامٌ : يا أسودُ ، بلغتَ غاية المدح فسَلْني . فقال : يدُك بالعطيَّة أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحَباه وكَساه وأحسنَ جائزته .

[نصيب وإعتاقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : أصاب نُصَيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بَذَّةٍ ، فقالوا : لم يُصِب بمدحِه شيئاً . فمكث مُدّةً ، ثم ساوم بأُمّه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أُمَّ أُمِّه بضِعفِ ما ابتاع به أُمَّه فأعتقها . وجاءه ابن خالةٍ له اسمه سُحَيمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما مَعي والله شيءٌ ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتُك معي ، لعلّ الله أن يُعتِقَكَ . فلمّا أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مَولى سُحَيم يَرعى إبله وأخرجه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه . فمرّ به يوماً وهو يَزْفِن ويَزمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إنْ كنتَ أعتقْتَني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكونُ أبداً ، وإن كنتَ أعتقْتَني لِتَصِل رَحِمِي وتَقْضي حقّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أُريده ، أزفِن وأزمُر وأصنع ما شئت . فانصرف النُّصَيبُ وهو يقول[2] : [من الرجز]

إنّي أرانِي لِسُحَيم قائلا إنّ سُحَيماً لم يُثِبْنِي طائلا
نَسِيتَ إعْمالي لكَ الرَّواحلا وضَرْبِيَ الأبوابَ فيك سائلا !
عند الملوك أَسْتَثِيبُ النائلا حتى إذا آنَسْتَ عتْقاً عاجلا
ولَّيْتَنِي منك القَفا والكاهِلا أخلُقاً شَكْساً ولوناً حائِلا

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزة النُّصيب عند عبد العزيز ، قال[3] : [من الوافر]

---

1 صلّت : جاءت مصلّية أي تالية .

2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 63 .

وإنّ وراءَ ظَهْرِي يا ابْنَ لَيْلى أُناساً يَنْظُرونَ متى أَؤُوبُ
أُمامَةُ منهمُ ولِماُقِيْهَا غَداةَ البَيْنِ في أَثري غُرُوبُ
تركتُ بِلادَها ونأيتُ عنها فأشبهُ ما رأيتُ بها السُّلُوبُ
فأتْبِعْ بعضَنا بعضاً فلَسْنا نُثِيبُك لكِنِ اللهُ المُثِيبُ

فعجَّل جائزتَه وسرَّحه . قال إسحاق : فحدّثني ابن كُناسة قال : ليلى أُمُّ عبد العزيز كَلْبِيَّة . وبَلَغني عنه أنّه قال : لا أُعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشَرَفِها ؛ فكان الشعراءُ يذكرونها باسمها في أشعارهم .

[شرف نصيب لشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن عباية قال : وقَفَتْ سَوْداءُ بالمدينة على نُصيبٍ وهو يُنشد الناس ، فقالت : بأبي أنتَ يا ابن عمّ وأُمِّي ! ما أنت والله عليَّ بِخزْيٍ . فضحك وقال : والله لَمَنْ يُخزيك من بني عمِّك أكثر ممَّن يَزِينُكِ .

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق وحدّثني ابن عَباية وغيره أنّ ابناً لنُصَيب خطب بعد وفاة سيِّده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه ، فأجابه إلى ذلك ، وعرَّف أباه . فقال له : اجمَعْ وُجوهَ الحيِّ لهذا الحال فجمعهم . فلمّا حضروا أقبل نُصَيبٌ على أخي سيِّده فقال : أزَوَّجْتَ ابني هذا من ابنة أخيك ؟ قال نعم . فقال لِعَبيدٍ له سُودٍ : خُذُوا برجْلِ ابني هذا فجُرُّوه فاضربوه ضرباً مبرِّحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرِّحاً . وقال لأخي سيِّده : لولا أنّي أكره أذاكَ لألحقتُك به . ثم نظر إلى شابّ من أشراف الحيّ ، فقال : زَوِّج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يُصلِحُهما في مالي ، ففعل .

[نصيب ومنادمة عبد الملك بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل نُصَيب على عبد الملك فتغدَّى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتنادم عليه ؟ فقال : تُؤَمِّنُني ؟ ففعل . فقال : لَوْني حائلٌ ، وشَعْرِي مُفَلفَلٌ ، وخِلقتي مشوَّهة ، ولم أَبْلُغ ما بلغت من إكرامك إيَّايَ بشرف أبٍ أو أمٍّ أو عشيرة ، وإنّما بلغته بعقلي ولساني . فأَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين أن تَحُول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منك ، فأعفاه .

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح بن النَّطّاح قال بلغني عن خَلاَّد بن مُرَّة عن أبي بكر بن مَزيَدٍ قال : لَقِيتُ النُّصَيبَ يوماً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا مِحْجَنٍ ، لِمَ سُمِّيت نُصَيباً ، ألقولك في شعرِك عاينَها النُّصَيبُ ؟ فقال : لا ، ولكني وُلِدتُ عند أهل بيتٍ من وَدّان ، فقال سيِّدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه . فلمّا رآني قال : إنّه لَمُنصَّب

الخلق ؛ فسُمِّيت النُّصَيبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .

[فصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة أبي يحيى الأسديّ قال : قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البَصْريّ : لئن وَلِيتُ العِراق لأَستَكتِبَنَّ نُصَيباً لفصاحته وتخلُّصه إلى جيِّد الكلام .

[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه]

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ قال : حدّثني نُصيب قال : دخلتُ على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أَنشِدني قولَك : [من الطويل]

إذا لم يكـنْ بـينَ الخليلَيْـنِ رِدّةٌ سِوى ذكرِ شيء قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ

فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهُذَليّ ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]

وقَفتُ بـذي دَوْران أَنْشُدُ ناقَتِي وما إنْ بها لي مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

فقال لي عبد العزيز : لك جائزةٌ على صِدق حديثِك ، وجائزة على شعرِك ؛ فأعطاني على صدق حديثي ألف دينار ، وعلى شِعري ألف دينار .

[أوصاف نصيب الجسمية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيت النُّصَيب وكان أسود خفيف العارضَين ناتىء الحَنجرة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن يزيد السَّعديّ عن جدّته جمال بنت عَون بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيت رجلاً أسود مع امرأةٍ بيضاء ، فجعلتُ أَعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْري ما الذي تُحْدِثِينَ بي غـداً غُرْبَةَ النأيِ المفـرّقِ والبعدِ
لَـدى أُمِّ بَكْـرٍ حين تَقتَرِبُ النَّوى بنا ثم يَخْلُو الكاشحونَ بها بَعْدِي
أتَصْرِمُنِي عند الأُلى هُـمْ لنا العِدا فتُشْمِتَهم بـي أم تـدومُ على العهدِ

قال : فصاحتْ : بل والله تَدُومُ على العهد . فسألتُ عنهما فقيل : هذا نُصَيبٌ ، وهذه أُمُّ بكر .

[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأَسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال حدّثني أبو اليقظان عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء قال : أتى النُّصَيب عبد الله بن جعفرٍ فحمَله وأعطاه وكَساه . فقال له قائل : يا أبا جعفر ، أَعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءه لأبيض ، وإنّ شِعرَه لَعَربيّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممّا نال . وما ذاك ، إنّما هي

رواحِل تُنضَى ، وثيابٌ تَبلى ، ودراهمُ تَفنى ، وثناءٌ يَبقَى ، ومدائح تُروى !

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال قال أبو الأسود : امتدح نُصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثلَه .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائني قال : قيل لنُصيب : إنّ هاهنا نسوةً يُردن أن ينظرنَ إليك ويسمَعن منك شِعرك . قال : وما يَصنَعنَ بي ! يَرَيْنَ جلدةً سوداء وشَعَراً أبيض ، ولكن ليسمَعن شِعري من وراء سِترٍ .

[تغني منقذ الهلالي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال : أتاني مُنقِذٌ الهِلاليّ ليلاً ، فضرب عليَّ الباب . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : مُنقِذٌ الهِلاليّ . فخرجتُ إليه فزِعاً . فقال : البُشرى . فقلت : وأيُّ بُشرى أَتَتْنِي بك في هذا الليل ؟ فقال : خَيْرٌ ، أتاني أهلي بدَجاجةٍ مَشويَّةٍ بين رغيفين فتعشَّيتُ بها ، ثم أتَوني بقِنّينةٍ من نبيذٍ قد التقى طرفاها صفاءً ورِقَّةً ، فجعلتُ أشرب وأترنَّم بقول نُصَيب :

بزينبَ أَلْمِمْ قبـلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ

ففكَّرْتُ في إنسانٍ يفهم حُسنه ويعرِف فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأتيتُك مُخبِراً بذلك . فقلت : ما جاء بك إلاّ هذا ؟ فقال : أَوَلا يَكفِي ؟ ثم انصرف .

[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال مَسلمة لنُصَيب : أنت لا تُحسِن الهِجاء . فقال : بَلى والله ، أتُراني لا أُحسِن أن أجعل مكان عافاك الله أَخزاك الله ؟! قال : فإنّ فلاناً قد مدحتَه فحرَمك فاهْجُه ، قال : لا والله ما ينبغي أن أَهجُوَه ، وإنّما ينبغي أن أَهجُو نفسي حين مدحتُه . فقال مَسلمة : هذا والله أشدُّ من الهجاء .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن أبن عَباية عن الضَّحّاك الحِزاميّ قال : دخل نُصَيب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ومِنبره ، فقال : أيُّها الأمير ، ائذَن لِي أن أُنشِدك من مراثي عبد العزيز . فقال : لا تفعل فتحزِنَني ، ولكن أنشدني قولك . «قفا أَخَوَيَّ» ؛ فإنّ شيطانَك كان لك فيها ناصحاً حين لقَّنك إيّاها . فأنشده[1] : [من الوافر]

---

1 ديوان نصيب : 135 عن الأغاني .

صوت

قِفا أَخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ ... كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ
ليالِيَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلى ... قَطِينُ الدارِ فاحتملَ القَطِينُ
فعُوجا فانظُرا أتُبِينُ عمَّا ... سألناها بِه أم لا تُبِينُ
فظَلاَّ واقفَيْنِ وظلَّ دَمْعِي ... على خَدِّي تجودُ به الجُفُونُ[1]
فلولا إذ رأيتَ اليأسَ منها ... بدا أنْ كِدْتَ تَرْشُقُك العيونُ ،
بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ... ولم تَغْلَقْ كما غَلِقَ الرَّهِينُ

في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن عمرٍو ويونس .

[قصّة نصيب مع عجوز بالجحفة]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَاية قال : كان نُصَيبٌ ينزل على عجوز بالجحفة إذا قَدِم من الشام ، وكان لها بُنَيَّةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قَدِم وهَب لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقدِم عليهما قَدمةً وبات بهما ، فلم يشعر إلاّ بفتىً قد جاءها ليلاً فركَضها برِجلِهِ ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلمّا أَصبح نُصيب رأى أثر مُعتَرَكهما ومُغتَسَلِهما . فلمّا أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتُها : بأبي أنتَ ، عادتَك . فقال لها[2] : [من الطويل]

أَراكِ طَمُوحَ العينِ مَيَّالةَ الهوى ... لهذا وهذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ
فإن تَحْمِلِي رِدْفَيْن لا أَكُ منهما ... فحُبِّيَ فردٌ لستُ ممّن يُرادِفُ

ولم يُعْطها شيئاً ورحَل .

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيّوب : وكانت بمَلَلَ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة وعِمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصيب . فلمّا رحلوا وهب لها القُرشيّان ولم يكن مع نُصيب شيءٌ ، فقال لها : اختاري إن شئتِ أن أضمَنَ لكِ مثل ما أعطياك إذا قَدِمتُ ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ أبياتاً تنفعُك . قالت : بَلِ الشِّعْرُ أحبُّ إليّ . فقال[3] : [من الطويل]

---

1 الجفون في ل : الشؤون .
2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .
3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلا حَـيٍّ قبلَ البَيْن أُمَّ حَبِيبِ وإن لم تَكُنْ منَّا غـداً بقَرِيبِ
لئن لم يكن حُبِّيك حُبّاً صدَقْتُه فما أحـدٌ عنـدي إذاً بحَبِيبِ
تَهامٍ أصابـتْ قلبَـه مَلَلِيَّـةٌ غَرِيبُ الهَوى يا وَيْحَ كلِّ غَرِيبِ

فشهرها بذلك ، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيّوب : ودخل النُّصيب على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وَلِيَ الخلافة . فقال له : إيهِ يا أسود ، أنت الذي تُشهِّر النساءَ بنسيبك ! فقال : إنِّي قد تركتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، وعاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أقولَ نسيباً ، وشهد له بذلك مَن حضر وأثنوا عليه خيراً . فقال : أمّا إذْ كان الأمرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيّاتٌ لي نفضْتُ عليهنّ سوادِي فكسَدْنَ ، أرْغَبُ بهنّ عن السُّودان ويرغب عنهنّ البيضانُ . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : تَفْرِض لهنَّ ، ففعل . قال : ونفقةً لطريقي . فأعطاه حِلية سَيفه وكساه ثوبيه ، وكانا يُساويان ثلاثين درهماً .

[اجتماع النصيب والكميت وذي الرمّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن إسحاق المَوصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع النُّصَيب والكُمَيت وذو الرمّة ، فأنشدهما الكُمَيت قوله : [من البسيط]

هل أنتَ عن طلبِ الأيْفاعِ منْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها : [من البسيط]

أم هلْ ظَعائِـنُ بالعَلْياءِ نافعةٌ وإن تَكاملَ فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ

فعقد نصيبٌ واحدةً . فقال له الكُميت : ماذا تُحصِي ؟ قال : خطأك ، باعدتَ في القول ، ما الأُنْسُ من الشَّنَب ؟ ألا قُلتَ كما قال ذو الرمّة : [من البسيط]

لَمْياءُ في شَفَتَيْهـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِهـا شَنَبُ[1]

ثم أنشدهما قوله :

أَبَـتْ هذه النفسُ إلاّ ادِّكارا

حتى بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

إذا مـا الهَجـارِسُ غَنَّيْنَهـا تُجاوِبْنَ بالفَلَـواتِ الوِبارا[2]

فقال له النُّصَيب : والوِبار لا تسكن الفلوات . ثم أنشد حتى بلغ منها : [من المتقارب]

---

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .
2 الهجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كأنّ الغُطامِطَ مـن غَلْيِها ... أَراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفارا[1]

فقال النصيب : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفاراً قطُّ ؛ فانكسر الكُمَيت وأمسك .

[نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ : أنّ نُصَيباً مدح عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيسٍ الفِهري ، فأمر له بعشر قَلائص ، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملِك إلاّ رِزقي ، وإنّي لأكره أن أبسُط يَدي في أموال هؤلاء القوم . فخرج حتّى أتى الأنصاريَّيْن فأعطاهما الكتاب مختوماً . فقرآه وقالا : قد أمر لك بثمان قلائص ، ودفعا ذلك إليه . ثم عُزِل ووُلِّي مكانه رجلٌ من بني نَصْر بن هَوازن ، فأمر بأن يُتتبَّع ما أعطى ابن الضَّحَّاك ويُرتَجَعَ ، فوُجد باسم نُصَيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها . فقال : والله مـا دفـع إليّ إلاّ ثماني قلائص . فقال : والله ما تخرُج من الدَّار حتى تُؤدِّي عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرُج حتى قُبِض ذلك منه .

فلمّا قدِم على هشام سَمر عنده ليلةً وتذاكروا النَّصريَّ ، فأنشده قوله فيه[2] : [من البسيط]

أفي قلائصَ جُـرْبٍ كُنَّ في عملٍ ... أُرْدى وتُنْزَعُ مـن أحشائيَ الكَبِدُ

ثمانياً كُـنَّ في أهـلي وعندهمُ ... عَشْرٌ فأيَّ كتاب بعدَنـا وَجَدُوا

أخانَنِـي أَخَـوا الأنصارِ فانتقصا ... منها فعندهمـا الفَقْدُ الذي فَقَدُوا

وإنّ عامِلَـك النَّصْرِيّ كلَّفَنِـي ... في غير نائـرةٍ دَيْنـاً لـه صَعَدُ[3]

أَذْنَبَ غيرِي ولم أُذنبْ يُكلّفُنِي ... أم كيف أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ

قال : فقال هشام : لا جَرَمَ والله ، لا يعمَلُ لي النَّصْريّ عملاً أبداً ؛ فكتب بعزلِه عن المدينة .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قـال أخبرنا الزبير بن بَكّـار إجـازةً عـن هـارون بن عبد الله الزبيريّ عن شيخ من الجَفْرِ[4] قال : قَدِم علينا النُّصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حِذاءه ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قوله[5] : [من الطويل]

ألا يـا عُقابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ ... سَقَتْك الغَوادِي من عُقاب ومن وَكْرِ[6]

---

1 الغطامط : صوت غليان القدر .

2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .

3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقّة .

4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .

5 انظر ديوانه 93–94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .

6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمُـرّ الليالي مـا مَرَرْنَ ولا أرى … مُرُورَ الليالي مُنْسِياتِي ابنـةَ النَّضْرِ
وقَفتُ بـذي دَوْرانَ أَنشُد ناقتي … ومالي لَدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ[1]
ومـا أَنْشُد الرُّعْيـانَ إلاّ تَعِلَّـةً … بواضحـةِ الأَنْيابِ طَيِّبـةِ النَّشْرِ
أما والذي نادى من الطُّورِ عبدَه … وعلَّـم أيّـامَ المَناسِكِ والنَّحْرِ
لقـد زادَني للجَفْرِ حبّـاً وأهلِه … لَيـالٍ أقامتْهُنَّ لَيْـلى على الجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن يوسف بن يعقوب بن العَلاء بن سليمان عن سلَمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال : قال عبد الملك بن مروان لنُصَيبٍ أَنشدْني ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[2] : [من البسيط]

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضَّجيعُ به … طَيَّ الحَمائِـلِ لا جـافٍ ولا فَقِرُ
وَذِي رَوادِفَ لا يُلْفـي الإزارُ بها … يُلْوى ولو كان سبعاً حـين يَأْتزِرُ

فقال له عبد الملك : يا نُصيب ، مَنْ هذه ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي نُوبِيَّـةٌ ، لو رأيتَها ما شربتَ من يدها الماء . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذي فيه عيناك .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أُسامَة قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عبد العزيز بن مروان اشترى نُصَيباً وأهله وولدَه فأعتقهم ، وكان نُصَيب يرحل إليه في كلّ عام مستميحاً[3] ، فيجيزه ويُحسن صِلتَه . فقال فيه نُصيب[4] : [من الوافر]

يقولُ فيُحسِنُ القولَ ابنُ ليلى … ويفعَلُ فَوقَ أَحْسنِ مـا يقولُ
فتـىً لا يَـرْزأُ الخُـلاّنَ إلاّ … مَوَدَّتَهـمْ ويَـرْزَؤهُ الخليـلُ
فَبَشِّرْ أهـلَ مصرَ فقدْ أتاهُم … مَعَ النِّيـلِ الذي في مصرَ نِيلُ

[نصيب وشاعر هجاه]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال : كان نُصَيب يُكنى أبا الحَجناءِ ، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال : [من الطويل]

---

1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .
2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .
3 مستميحاً : طالباً العطاء .
4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأَيتُ أبا الجَحْناءِ في الناسِ حائراً ... ولونُ أبي الجَحْناءِ لـونُ البهائِمِ
تراه على مـا لاحَـه من سَوادِهِ ... وإن كان مظلُوماً لـهُ وجهُ ظالِمِ

فقيل لنصيب : أَلا تُجيبُه فقال : لا ، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجَبتُه ، ولكن الله أوصلَني بهذا الشعر إلى خير ، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقولَه في شرّ ، وما وصَفنِي إلاّ بالسواد وقد صدَق . أفلا أُنْشِدُكم ما وصفتُ به نفسي ؟ قالوا بلى . فأنشدهم قوله[1] : [من الكامل]

ليس السوادُ بناقصي مـا دام لي ... هـذا اللسانُ إلى فـؤادٍ ثابتِ
مَنْ كان ترفَعُـه مَنابـتُ أصلِه ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ مَنابِتِي
كم بـين أسودَ ناطـقٍ ببيانِه ... ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إنّي لَيَحْسُدُني الرفيـعُ بنـاؤُه ... من فضل ذاك وليس بي مِنْ شامتِ

ويُروى مكان «من فضل ذاك» ، «فضل البيان» وهو أجود .

أخبرني عمِّي ومحمد بن خَلَفٍ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني سعيد بن يحيى الأُمويّ قال حدّثني عمِّي عن محمد بن سعد قال : قال قائل للنُّصيب : أيّها العبد ، ما لكَ وللشِّعر ؟ فقال : أمّا قولُك عبدٌ فما وُلِدتُ إلاّ وأنا حرٌّ ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني . وأمّا السواد فأنا الذي أقول[2] : [من الوافر]

وإنْ أَكُ حالِكاً لَوْنِـي فإنِّي ... لِعَقْلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وِعاءُ
وما نزلتْ بِيَ الحاجاتُ إلاّ ... وفي عِرْضِي من الطَّمَعِ الحياءُ

[شعر النصيب في جارية طلبت منه أن يشبب بها]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حُدّثتُ عن السَّدُوسيّ قال : وقَف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً ، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسقَتْه ، وقالت : شَبِّبْ بي . فقـال : وما اسمُكِ ؟ فقالـت : هندٌ . ونظر إلى جبلٍ وقال : ما اسم هذا العَلَم ؟ قالـت : قَناً . فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ ... أُبالي أقُربـاً زادَه الله أم بُعْدا
ألاَ إنّ بالقِيعانِ من بطن ذي قَناً ... لنا حاجـةً مالتْ إليه بنا عَمْدا
أَرُوني قَنـاً أنظُـرْ إليـه فإنّني ... أُحِبُّ قَناً إنِّي رأيتُ بـه هِنْدا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .
2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .
3 ديوان نصيب : 84–85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخُطبت هذه الجارية من أجلِها ، وأصابت بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأبت ثم تزوّجته]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل بن نَبيه قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال : دخل نصيبٌ على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدِّثني يا نُصيب ببعض ما مرَّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حمراء ، فمكَثَتْ زماناً تُمنِّيني بالأباطيل ، فلمّا ألححتُ عليها قالت : إليك عنِّي ؛ فوالله لكأنَّك من طَوارِق الليل . فقلت لها : وأنتِ والله لكأنّك من طوارق النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاظني قولُها ، فقلت لها : هل تَدرين ما الظَّرف ؟ إنّما الظَّرف العقلُ . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك . فأرسلتُ إليها هذه الأبيات[1] : [من الوافر]

فإن أَكُ حالِكاً فالمِسْكُ أحوى وما لِسَوادِ جِلْـدِي من دَواءِ
ولي كَـرَمٌ عـن الفَحْشاءِ ناءٍ كبُعْدِ الأرض مـن جوّ السَّماءِ
ومثْلِـي في رِجالِكُـمُ قليـلٌ ومثلُكِ ليس يُعْدَم في النِّساءِ
فإنْ تَرضَيْ فَرُدِّي قولَ راضٍ وإن تَـأْبَيْ فنحنُ على السَّواءِ

قال : فلمّا قرأتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرهما ؛ فتزوّجتْني .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال : أنشدنا الأصمعيّ لنُصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قاتَل اللهُ نُصَيباً ما أشعَرَه[2] ! : [من الطويل]

فإنْ يَكُ من لونِي السّوادُ فإنّني لَكالمسكِ لا يَرْوى من المِسْكِ ذائقُهْ
وما ضَرَّ أثوابـي سَوادِي وتحتَها لِبـاسٌ مـن العَلْيـاءِ بِيضٌ بنائقُهْ
إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الودّ مثلَ ما بذلتُ لـه فاعلَـمْ بأنّي مُفارِقُهْ

[نصيب وجرير]

أخبرني الفَضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاَّم عن خَلَف : أنّ نُصَيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف تَرى يا أبا حَزْرة . فقال له : أنت أشعرُ أهلِ جِلدتك .

[نصيب والوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن

---

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .

2 ديوان نصيب : 110–111 وفيه تخريج كثير والبيت الأوّل مختلف عمّا هنا .

عبد العزيز بن عِمران بن محمد عن المِسْوَر بن عبد الملك قال : قال نُصَيب لعبد الرحمن بن أزهر : أنشدتُ الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا مِحجن ، أفَرَضِيتَ منه أنْ جَعَلَكَ أشعرَ السُّودان فقط ؟ فقال له : وَدِدتُ والله يا ابن أخي أنّه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنّه لم يفعل ولستُ بكاذبك .

[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربِّه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أرَ قطُّ مثلَه ولا أشدّ سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زِيّاً . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا نُصَيب ، فدنوت منه فحدّثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جَميلٌ إمامُنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصَفُنا لرَبَّات الحِجال ، وكُثَيِّر أبكانا على الدِّمَن وأمدحُنا للملوك ، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعتَ . فقلت له : إنّ الناس يزعمون أنّك لا تُحسِن أن تَهْجُوَ . فضحِك ثم قال : أفتراهم يقولون : إنّي لا أُحسِن أن أمْدَح ؟ فقلت لا . فقال : أَفما تَراني أُحسِن أن أجعلَ مكانَ عافاك الله أخزاك الله ؟ قال قلت بَلى . قال : فإنّي رأيتُ الناس رَجُلَيْن : إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوَه فأظلمه ، وإمّا رجلٌ سألته فمنعني فنفسي كانت أحقَّ بالهجاء ؛ إذ سوّلت لي أن أسأله وأن أطلُبَ ما لديه .

[نصيب وكثيّر والأحوص في مجلس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عُبَيد الله كاتب المهديّ قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه : حدّثني أبو يوسف التُّجيبيّ قال حدّثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحةَ وكان شيخاً كبيراً قال : حدّثني النّصيب أبو مِحجن أنّه خرج هو وكثيِّر والأحوص غِبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركَبَ جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنُمَتِّعَ فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضلَ ما يَقدِرُون عليه من الدوابِّ ، ولبِسوا أحسن ما يقدِرون عليه من الثياب ، وتنكَّروا ثم ساروا حتى أَتَوا العقيق ، فجعلوا يتصفَّحون ويَرَون بعض ما يشتهون ، حتى رُفِع لهم سوادٌ عظيم فأَمُّوه حتى أَتَوه ، فإذا وصائِفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيبُوهنّ من أوّل وَهلةٍ ، فقالوا : لا نستطيع أو نَمضي في حاجةٍ لنا . فحلَّفْنَهم أن يرجِعوا إليهنّ ، ففعلوا وأتوهنّ ، فسألنَهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنتْ لهم ، فلم تلبث أنْ جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة بَرْزةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّت ، وإذا كراسيُّ موضوعةٌ ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسيّ . فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبيٍّ لنا فنُصَيِّحَه ونَعرُك أُذنَه فعلْنا ، وإن شئتُم بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تَدعِينَ بالصبيّ ولن يفوتنا الغداء . فأومأتْ

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إلاّ كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَت بمُطرفٍ ، فأَمْسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها[1] ، ثم كُشف عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال مَولاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحيَّتْهم ، فقالت لها مولاتها : خُذِي ، وَيحك ، من قول النُّصيب عافى الله أبا مِحجن[2] : [من الطويل]

أَلا هل من البَيْن المُفرِّق من بُدِّ ... وهل مثلُ أيّامٍ بمُنْقَطَع السَّعْدِ[3]

تَمنَّيتُ أيّامي أُولئك ، والمُنى ... على عَهد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي

فغنَّته ، فجاءت به كأحسن ما سمعتُه قطّ بأَحلى لفظٍ وأَشجى صوت . ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجن عافى الله أبا مُحجن[4] : [من الكامل]

أَرِقَ المُحِبُّ وعادَه سَهَدُهْ ... لِطَوارِقِ الهمِّ التي تَرِدُهْ

وذكرتُ مَنْ رَقَّتْ له كَبِدِي ... وأَبى فليس تَرِقُّ لي كَبِدُهْ

لا قَومُه قَومِي ولا بلَدِي ... فنكُونَ حيناً جيرةً ، بَلدُهْ

ووَجدْتُ وَجْداً لم يكن أحدٌ ... قَبلي مِنَ أجْلِ صَبابةٍ يَجِدُهْ

إلاّ ابنُ عَجْلانَ الذي تَبَلَتْ ... هِنْدٌ فَفاتَ بنفسِهِ كَمَدُهْ[5]

قال : فجاءت به أحسنَ من الأوّل ، فكدتُ أَطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : وَيحَكِ ، خُذي من قول أبي مِحجَن عافى اللهُ أبا مِحجَن[6] : [من الطويل]

فَيا لكَ من ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه ... وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعُ

نَعمْ إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلقَ شَجْوَه ... ولو نائماً مُسْتَعْتِبٌ أو مُوَدِّعُ

له حاجةٌ قد طالَما قد أَسَرَّها ... من الناسِ في صَدْرٍ بها يتصدَّعُ

تحمَّلَها طُولَ الزمانِ لعلَّها ... يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنْزَعُ

وقد قُرعتْ في أُمّ عمرٍو ليَ العَصا ... قَديماً كما كانتْ لذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ[7]

---

1 ذهب بهرها : سكن روعها .
2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .
3 السعد : موضع قريب من المدينة .
4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .
5 فات بنفسه : ذهب بها .
6 ديوان نصيب : 101 .
7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيَّرني وأذهلني طَرَباً لحسنِ الغناءِ وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجنٍ ، عافى الله أبا محجن[1] : [من البسيط]

يا أيُّها الرَّكبُ إنِّي غيرُ تابعِكُمْ ... حتى تُلِمُّوا وأنتُمْ بي مُلمُّونا
فَما أرى مِثلَكُمْ رَكْباً كشَكْلِكُمُ ... يَدعوهُمُ ذُو هوًى إلاّ يَعُوجُونا
أم خبِّروني عن دائي بعلمِكُمُ ... وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأطَبُّونا

قال نُصَيب : فوالله لقد زُهِيتُ بما سمعتُ زَهْواً خَيَّل إليّ أنّي من قُريش ، وأنّ الخلافة لي . ثم قالت : حَسبُكِ يا بُنيّة ! هاتِ الطعام يا غلام ! فوثب الأحوص وكُثَيِّر وقالا : والله لا نَطعَمُ لكِ طعاماً ولا نجلسُ لك في مجلس ؛ فقد أسأتِ عِشرتنا واستخففتِ بنا ، وقدّمتِ شعرَ هذا على أشعارنا ، واستمعتِ الغناء فيه ، وإن في أشعارنا لَما يَفضُلُ شِعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان منّي ، فأيُّ شعرِكما أفضلُ من شعره ؟ أقولُك يا أحوص : [من الطويل]

يَقَرُّ بعيني ما يقَرّ بعينها ... وأحسنُ شيءٍ ما بِهِ العينُ قَرّتِ

أو قولك يا كثَيِّر في عَزّة : [من الطويل]

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ جُدَوِيَّةٌ ... سِوى التَّيسِ ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا[2]

أم قولك فيها : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عطَستْ فنِكْها ... فإن عُطاسَها طَرَفُ السِّفادِ

قال : فخرجا مُغضَبَيْن واحتَبَسَتْني ، فتغدّيت عندها ، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحُلَّتَيْن وطيب ، ثم دفعت إليّ مائتيّ دينار وقالت : ادفَعها إلى صاحبَيك ؛ فإن قَبِلاها وإلاّ فهي لك . فأتيتُهما منازلهما فأخبرتُهما القصّة . فأمّا الأحوص فقبِلَها ، وأمّا كثيِّر فلم يقبلها ، وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ . فسألتُ النُّصَيب : ممّن المرأة ؟ فقال : من بني أُميّة ولا أذكرُ اسمها ما حييتُ لأحد .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان]

أخبرني عيسى بن يحيى الورّاق عن أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه فنزل بقريةٍ من الصعيد

1 ديوان نصيب : 137–138 عن الأغاني .

2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكناني .

يقال لها «سُكَّرُ» . فقدِم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدرِك . فقال : أوّهْ ، ما أُرانِي راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نُصيبٌ يرثيه[1] : [من المنسرح]

أُصِبْتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ مصيبةً ليس لي بهـا قِبَلُ
تـاللهِ أنْسى مصيبتِي أبـداً مـا أسْمَعَتْني حَنِينَهـا الإبلُ
ولا التَّبَكِّـي عليـه أُعْوِلُـه كلُّ المصيبات بعــدَه جَلَلُ
لم يعلمِ النَّعْشُ ما عليه من الـ ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حمَلُوا
حتـى أجَنُّـوه في ضَرِيحِهـمُ حينَ انتهى من خليلِك الأملُ

غنّى في هذه الأبيات ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر الهِشاميّ أنّ له فيه لحناً من الهزج ، وذكر ابن بانَةَ أنّ الرَّمَل لابن الهِرْبِذِ[2] :

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مُصعب الزبيريّ عن مشيخةٍ من أهل الحجاز : أنّ نُصَيباً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أنشِدْني بعض ما رَثَيْتَ به أخي ؛ فأنشده قولَه[3] : [من الطويل]

عرفتُ وجرّبتُ الأُمورَ فما أرى كماضٍ تَـلاه الغابـرُ المتـأخِّرُ
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نِعْمَتِي يمـرُّون أسْلافـاً أمامـي وأَغْبُرُ
فإن أَبْكِهِ أُعْذَرُ وإن أَغلِبِ الأسى بصبرٍ فمِثْلِي عندمـا اشتدَّ يَصْبِرُ
وكانت رِكابي كلّما شئتُ تَنْتَحِي إليكَ فتَقْضِي نَحْبَها وهـي ضُمَّرُ
تَـرى الوِرْدَ يُسْراً والثَّواءَ غنيمةً لديكَ وتُثْنِي بالرِّضا حين تَصْدُرُ
فقـد عَرِيتْ بعـدَ ابنِ لَيْلى فإنّما ذُراها لمن لاقَـتْ من الناس مَنْظَرُ
ولـو كان حيّـاً لم يَزَلْ بدُفُوفِها مَـرادٌ لغِرْبـانِ الطريـق ومَنْقَرُ[4]
فإن كُنَّ قـد نِلْنَ ابنَ لَيْلى فإنّه هـو المصطفى مـن أهلِهِ المُتَخَيَّرُ

فلمّا سمع عبد الملك قوله : [من الطويل]

فإن أبكِه أُعْذَرْ وإن أَغلِبِ الأسى بصبرٍ فمثلي عندمـا اشتدّ يصبرُ

---

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .
2 هو إسماعيل بن الهربذ ، وكان مولىً لآل الزبير .
3 ديوان نصيب : 87–88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .
4 الدف : الجنب ، والضمير في دفوفها يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

قال له : ويلَك ! أنا كنتُ أحقَّ بهذه الصفة في أخي منكَ ؛ فهلاَّ وصفْتَني بها ؛ وجعل يبكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كُناسة قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصْريّ : لو وَليتُ العراقَ لاستكتبتُ نُصَيباً . قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيِّد الكلام ، ألم تسمع قوله[1] : [من الطويل]

فلا النفسُ مَلَّتْها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطَّرْف عنها فتَرْجِعُ
رأتْها فما تَرْتَدُّ عنها سآمةً ترى بدلاً منها به النَّفْسُ تَقْنَعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نُصَيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دَهْبَلٍ لصاحبِنا ابن الأزرق حيث يقول : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَخْلانَ مُرْتَحِلاً يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ[2]

قال : فغضِب نُصَيبٌ ونزع عِمامته وبرك عليها ، وقال : لئن تأتُونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتِكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن ؛ إنّ المديح والله إنّما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعَجِبوا من إقدام نُصَيبٍ عليه ، ومن حِلم ابن هشام وهو غير حَليم[3] .

[نصيب وأمّ بكر الخزاعية]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ : أنّ نصيباً كان ربّما قَدِم من الشام فيَطرَحُ في حِجر أُمّ بَكْرٍ الخزاعيّة أربعمائة دينار ، وأنّ عبد الملك بن مروان ظهر على تعلُّقه بها ونسيبِه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كفّ عن ذاك .

[نصيب يعترف أنّه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفيّ عن أبيه قال : رأيتُ النُّصَيب بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهِيٌّ ورداءٌ وحِبَرَةٌ[4] ، فجعل يُنشِدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إنّ الوادي مَسْبَعَةٌ ، فمَنْ أهلُ المجلس ؟

---

1 ديوان نصيب : 102 .
2 المنتقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .
3 بعد هذا في (ل) خبر مرَّ من قبل .
4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

قالوا : ثَقِيف ؛ فعرَف أنَّا نُبغضُ ابن هشام ويُبغِضُنا ، فقال : إنّا لله أبعدَ ابنِ ليلى أُمتَدحِ ابن جَيْداء ! فقال له بعض أهل المجلس : يا أبا مِحجَن ، أتطلبُ القريض أحياناً فيعسُر عليك ؟ فقال : إي والله لربَّما فعلتُ ، فآمرُ براحلتي فيُشَدُّ بها رَحْلِي ، ثم أُسير في الشِّعاب الخالية ، وأقف في الرِّباع المُقْوِيَة ، فيُطرِبُني ذلك ويُفتح لي الشعرُ . والله إنّي على ذلك ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحِي الفتاة الحَيِيَّة من إنشاده في سِتْرِ أبيها . قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفَه أبي وقال : كأنّي أراه صَدْعاً[1] خفيف العارضين ناتىء الحَنجرة .

[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : أَنشد نُصيب قوله : [من الطويل]

وكِدْتُ ولَم أُخْلَقْ من الطيرِ إن بدا لهـا بـارقٌ نحـوَ الحجـاز أطيرُ

فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يا ابن أُمّ ، قُلْ غاقٍ فإنّك تَطير . يعني أنّه غُرابٌ أسودُ .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أَسَد قريشٍ قال : قال ابن أبي عتيق لُنصيب : إنِّي خارجٌ ، أفترسلُ إلى سُعْدَى بشيء ؟ قال : نعم ، بيتَيْ شِعرٍ . قال : قل ؛ فقال : [من الطويل]

أتصبرُ عـن سُعْدى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ الصبرِ مِنْـكَ جديرُ

وكدتُ ولَم أُخلَق مِنَ الطيرِ إن بدا سنا بـارقٍ نحـوَ الحجـازِ أطيرُ[2]

قال : فأنشد ابن أبي عتيق سُعدى البيتين ، فتنفَّست تنفُّسةً شديدةً . فقال ابن أبي عتيق : أوّهْ ! أَجَبْتِه والله بأجود من شعره ، ولو سمعك خليلُك لنَعق وطار إليك .

[نصيب والحكم بن المطّلب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيثم الكاتب قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق المَوصِليّ عن المُسَيَّبِيّ قال : قال أبو النَّجم : أَتيتُ الحَكَمَ بن المُطَّلب فمدحتُه ، وخرج إلى السِّعاية[3] فخرجنا معه ومعه عدّةٌ من الشعراء . فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ ، إذا براكب يُوضع في السراب[4] وإذا هو نُصيب ، فتقدّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله ، فمكث أيّاماً حتى أتاه فقال : إنّي قد خلَّفْتُ صِبيةً صِغاراً وعِيالاً ضِعافاً . فقال له : ادخُلِ الحظيرةِ فخُذ منها سبعين فَرِيضةً[5] . فقال له :

---

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .

2 سنا في ل : لها .

3 السعاية : جمع الزكاة .

4 في رواية : يوضع في السير .

5 الفريضة : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعي ابنٌ لي أخاف أن يَثْلِمها[1] عليّ . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أُخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لنُصَيب : هَرِمَ شِعرُك . قال : لا والله ما هَرِمَ ، ولكن العطاء هَرِمَ ، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحَكَم بن المطّلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدَقات المدينة ، فلمّا رأيته قلت[2] : [من الوافر]

أبا مَـــروانَ لستَ بخارجيٍّ ... وليس قديمُ مجـدِك بانتحالِ[3]

أغَرُّ إذا الرِّواقُ انجـــابَ عنه ... بَـدا مثـلَ الهـلالِ على المِثالِ

تَـــراءاه العيـونُ كما تَـراءى ... عَشيَّةَ فِطْرِهـا وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائةَ لَقْحَةٍ ، وقال : ارفَعْ فِراشي ؛ فرفعتُه فأخذتُ من تحته مائتَيْ دينارٍ .

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أسعدُ بن عبد الله المريّ[4] عن إبراهيم بن سعيد بن بِشر بن عبد الله بن عقيل الخارجيّ عن أبيه قال : والله إنِّي لَمَع أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة في حِواءٍ[5] له ، إذ جاءه كُثيِّر فحيَّاه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرَعنا فيه وشرع معنا كُثيِّر ؛ وجاء رجلٌ فسلَّم فردَدنا عليه السلام واستدْنَيناه ، فإذا نُصيب في بِزّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كثيِّر يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كثيِّر على نُصَيب فقال : والله يا أبا مِحجَن ، إنّ أثر الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّة ظاهرَ الكِبْر قليلَ الحياء . فقال له نُصَيب : لكنّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخر غير جميل . لقد رجعت وإنّك لزائدُ النقصِ[6] ، كثير الحماقة . فقال كثيّر : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لَمولاتِك : [من الوافر]

1 يثلمها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .
2 ديوان نصيب : 119 عن الأغاني .
3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .
4 ل : المزني .
5 الحواء : مجموعة من بيوت الشعر .
6 ل : التقصير .

إذا أَمْسَيتُ بَطْنُ مَجاحَ دُوني وعَمْقٌ دون عَزَّةَ فالبَقِيعُ[1]
فليس بلائِمي أحدٌ يُصَلّي إذا أخذتْ مَجارِيَها الدموعُ

فقال له نُصيب : أنا والله أشعرُ منكَ حيث أقول لابنة عمِّك[2] : [من الطويل]

خَليلَيَّ إنْ حَلّتْ كُلَيَّةَ فالرُّبى فذا أَمَجٍ فالشِّعْبَ ذا الماء والحَمْضِ[3]
فأصبَح من حَوْرانَ رَحْلِي بمنزلٍ يُبَعِّده من دونِها نازحُ الأرضِ[4]
وأَيْأَسْتُما أنْ يجمعَ الدهرُ بيننا فَخُوضا لِيَ السمَّ المُصرِّحَ بالمَحْضِ[5]
ففي ذاك من بعضِ الأُمورِ سلامةٌ ولَلْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْضِ

قال : فاقْتَحَم إليه كثيِّر ، وثبت له النُّصيب . فلمّا نالتْه رِجلاه رمَحه نصيبٌ بساقه[6] رَمْحةً طاح منها بعيداً عنه ، فما زال راقداً حتى أَيقظناه عَشيّاً لِرَمْي الجِمار .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النَّحويّ عن أنيس بن ربيعة الأَسْلَميّ أنّه قال : غدوتُ يوماً إلى أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة وهو مُحْتَلٌّ بالرَّحبة[7] ، فألقيتُ عنده جماعةً منّا ومن غيرنا ، فأتاه آتٍ فقال له : ذاك النُّصَيب منذ ثلاثٍ بالفَرْش[8] من مَلَل مُتَلَدِّدٌ كأنّه والهٌ في أَثَر قومٍ ظاعنين . فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فإذا نُصيب على المنحر من صَفَر[9] . فلمّا عايَنَنا وعرَف أبا عُبَيدة هبَط ؛ فسأله عن أمره ، فأخبره أنّه تَبِع قوماً سائرين وأنّه وجد آثارهم ومَحَلَّهم بالفَرْشِ فاستوْلَهه ذلك . فضحِك به أبو عُبَيدة والقوم ، وقالوا له : إنّما يُهْتَر[10] إذا عَشِق مَن انتسب عُذريّاً ، فأمّا أنت فمالَكَ ولهذا ؟! فاستحيا وسكَن . وسأله أبو عُبَيدة : هل قلتَ في مُقامِك شِعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد[11] : [من الطويل]

---

1 مجاح : بعد مدلجة للذاهب من مكّة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .
2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .
3 ذو أمج : من أعمال المدينة .
4 رحلي في ل : أهلي .
5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .
6 ل : برجله .
7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه يسمّى المكان .
8 الفرش : اسم واد .
9 صفر : جبل قرب ملل .
10 يهتر : يذهب عقله .
11 ديوان نصيب : 98–99 عن الأغاني .

لَعَمْري لئن أَمْسَيْتَ بالفَرْشِ مُقْصَداً ثَوِيَّاكَ عَبُّودٌ وعُدْنَــةُ أو صَفَرْ[1]
ففَــرَّع صَبّاً أو تيمَّــم مُصْعِداً لِرَبْعٍ قديمِ العهدِ يَنْتَكِفُ الأَثَرْ[2]
دَعا أهلَــه بالشام بَرْقٌ فأَوْجَفُوا ولم أَرَ متبوعــاً أضرَّ مــن المَطَرْ
لتَسْتَبْدِلَنْ قلبــاً وعينــاً سواهُما وإلاّ أتى قصداً حُشاشَتَكَ القَدَرْ
خَليــليَّ فيمــا عِشْتُمــا أو رأيتما هل اشتاق مَضْرورٌ إلى من به أضَرّ
نعــمْ رُبّما كان الشَّقاءُ مُتَيَّحــاً يُغَطِّي على سَمْعِ ابنِ آدمَ والبَصَرْ[3]

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكَساه وحَمَله ، وانصرف وهو يقول[4] : [من الوافر]

أصابَ دواءَ عِلَّتِــكَ الطبيبُ وخاضَ لكَ السُّلُوَّ ابنُ الرَّبيبِ
وأَبْـصَرَ مِــنْ رُقــاكَ مُنَفِّثاتٍ وداؤك كان أَعْـرَفَ بالطَّبيبِ

[نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : دخل نُصَيب على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يوم ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها ، فطرِب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنتَ يا نُصَيب ! سَلْني ما شئتَ . فقال : يَدُكَ يا أمير المؤمنين بالعَطاء أَبْسَطُ من لساني بالمسألة ؛ فأمر به فمُلِىء فمُه جَوهراً ، فلم يزل به غَنِيّاً حتى مات .

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزِيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : دخل نُصَيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة ، فأنشده قوله : [من البسيط]

يا ابنَ الهِشامَيْن لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحجَن إلى تلك الراحلة المَرحولة فخُذها برَحلِها . فقام إليها نُصَيب متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عَطِيَّةً أَهْنأَ من هذه ولا أكرم ولا أعجَل ولا أجزَل . فسمعهم نُصَيب فأقبل عليهم وقال : والله إنّكم قلَّما صاحبتُم الكِرام ؛ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرفعوهما فوق قَدْرِهما !

---

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .
2 ففرع صباً : ذهب منحدراً . ينتكف الأثر : يقصه ويتتبّعه .
3 متيّحاً : مقدّراً .
4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال: استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخلافة نُصَيباً ألاّ يكونَ جاءه وافِداً عليه مادحاً له ووَجَدَ عليه. وكان نُصَيب مريضاً، فبلغه ذلك حين بَرأ، فقَدِمَ عليه وعليه أثرُ المرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب، فأنشده قصيدته التي يقول فيها[1]: [من الطويل]

حَلَفتُ بمَـنْ حَجَّتْ قريشٌ لبيتِه ... وأَهْدَتْ لـه بُدْنـاً عليها القلائدُ
لئن كنتُ طالتْ غَيْبَتِي عنكَ إنّني ... بمَبْلغِ حَوْلِـي في رِضاكَ لَجاهِدُ
ولكنّني قــد طالَ سُقْمِي وأكثرتْ ... عليَّ العِهادَ المُشْفِقاتُ العَوائِدُ[2]
صَرِيعُ فِراشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بنُصْحٍ وإشفاقٍ متـى أنت قاعدُ
فلمّا زجَرْتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتي ... إليكَ وذلَّــتْ للِّسانِ القصائدُ
وإنّي فــلا تَسْتَبْطِنِـي بمَودَّتِـي ... ونُصْحِـي وإشْفاقِي إليـكَ لَعامِدُ
فلا تُقْصِنِي حتى أكـونَ بصَرْعَةٍ ... فييأسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسدُ[3]
أَنِلْنِـي وقرِّبنـي فإنِّــيَ بالـغٌ ... رِضاكَ بعَفْوٍ مـن نَـداكَ وزائِدُ
أبِتْ نائمـاً أمّــا فؤادي فهَمُّه ... قليلٌ وأمّــا مَسُّ جِلْـدِي فبارِدُ
وقد كان لي منكم إذا ما لَقِيتكُمْ ... لَيـانٌ ومعــروف وللخيرِ قائدُ[4]
إليك رَحَلَتُ العِيسَ حتّى كأنَّـها ... قِسِيُّ السُّرى ذُبْلاً بَرَتْها الطَّرائِدُ
وحتى هَوادِيهــا دِقاقٌ وشَكْوُها ... صَرِيفٌ وباقي النَّقْيِ منها شَرائِدُ[5]
وحتّى وَنَتْ ذاتُ المِراحِ فأذعنتْ ... إليــكَ وكَلَّ الرَّاسِماتُ الحَوافِدُ[6]

قال: فرقَّ له هشام وبكى، وقال له: ويحَك يا نُصَيب! لقد أضرَرْنا بك وبرواحِلِك. ووصَله وأحسَن صِلَتَه واحتفل به.

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحِرْميُّ عن الزُّبير عن عمِّه عن أيّوب بن عباية قال: قدِم نُصَيبٌ على عبد الواحد

---

1 ديوان نصيب: 76–77 عن الأغاني.
2 العهاد هنا: الدموع وأصل معناها الأمطار.
3 الصرعة هنا: الموت.
4 الليان: النعمة والترفيه.
5 هواديها: أعناقها. وشكوها: شكواها. صريف: احتكاك أسنانها؛ النقي: مخ العظام. شرائد: بقايا.
6 ذات المراح: الناقة النشيطة؛ الراسمات: اللواتي يمشين الرسيم؛ والحوافد: المسرعات.

النَّصريّ وهو أمير المدينة بفَرضٍ من أمير المؤمنين يضعَهُ في قومه من بني ضَمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلمة لم يَحْتَلِمُوا ، فردَّهم النَّصريّ . فكلَّمه نُصَيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع أن اسكتْ وكُفَّ واخرُج ؛ فإنّي كافيكَ . فلمّا خرج إبراهيم لقيَه نُصَيب ، فقال له : أشرتَ إليّ فكرهتُ أن أغضِبَك ، فما كَرِهتَ لي من مراجعته والصَّلابة له ومن ورائي المُستعتَب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيّ حديدٌ غَلِقٌ ، وخَشيتُ إن جاذبتَه شيئاً ألاّ يرجع عنه وأن يَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرُج قبل أن يَلِجَّ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ؛ فتنتظِر لتُصادِف منه طِيبَ نفس فتكلِّمَه ونُرفِدكَ عنده . فقال نُصَيب : [من الرجز]

يَوْمانِ يومٌ لِرُزَيْقٍ فَسْلُ ويومُه الآخرُ سَمْحٌ فَضْلُ[1]

أنا ، جُعلتُ فِداءَك ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فأشِرْ إليّ حتى أُكلِّمَه . قال : ودخل إليه نُصيب عَشيّاتٍ ، كلَّ ذلك يُشير إليه ابن مُطيع ألاّ يكلّمه ، حتى صادفَ عَشيّةً من العَشِيَّاتِ منه طِيبَ نَفس ، فأشار إليه أن كلِّمه . فكلَّمه نُصيبٌ فأصاب مَخْتِلَه بكلامه ، ثم قال : إنّي قد قلتُ شعراً فاسمَعه أيّها الأمير وأَجِزه ، ثم قال[2] : [من الطويل]

أهاجَ البُكا رَبْعٌ بأَسْفَلِ ذي السِّدْرِ عَفاهُ اختِلافُ العَصْرِ بعدَك والقَطْرِ[3]
نَعمْ فَثَناني الوجدُ فاشتقتُ لِلَّذي ذكرتُ وليس الشوقُ إلاّ معَ الذِّكرِ
حَلفتُ بربّ المُوضِعِين لِربِّهمْ وحُرمةِ ما بينَ المَقامِ إلى الحجْرِ
لئن حاجتي يوماً قَضَيتَ ورِشْتَني بنَفْحة عُرْف من يَديكَ أبا بِشرِ[4]
لَتَعْتَرِفَنَّ الدَّهرَ منِّي مودَّةً ونُصحاً على نُصْحٍ وشُكْراً على شُكرِ
سَقى اللهُ صَوْب المُزْنِ أرضاً عَمَرْتَها بريٍّ وأَسْقاها بِلادَ بني نَصْرِ
بوجهك فاستُعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفاً لِربِّك تَقضِي راشِداً آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أصحابي وتَستُرَ عَورةً بَدتْ لكَ من صَحْبِي فإنّكَ ذو سَتْرِ
فما بأمير المؤمنين إلى التي سألتُ فأعطاني لقوميَ من فَقْرِ

1 الفسل : الرذل .
2 ديوان نصيب : 95–96 عن الأغاني .
3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .
4 لئن حاجتي يوماً في ل : لئن أنت حاجاتي .

وقـد خرجتْ منهُ إليك فلا تكن بموضعِ بَيْضاتِ الأَنوقِ من الوَكْرِ[1]

قال : فقال عثمان بن حَيّان المُرِّيّ وهو عنده ، وكان قد جاءه بالقَوَد من ابنِ حَزْم : قَدِ احتلَم الآن القومُ أيّها الأمير ، واستوجَبُوا الفَرْضَ . ورَفَده ابنُ مُطيع فأَحْسن ، واشتدَّ عليه أن شَرِكه ابنُ حَيّان في رَفده وتَشييعه . وقال النَّصْرِيّ لابن مُطِيع وابن حَيَّان : صَدَقتُما قد احتلَموا واستوجَبُوا الفَرضَ ، افرِضْ لهم يا فلانُ ، لكاتبٍ من كُتّابه ، فَفَرض له .

[نصيب يحدث أنّه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني جعفر بن عليّ اليَشْكُرِيّ قال حدّثني الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال : دخل نُصَيبٌ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ ؟ قال : نعمْ ، أمَةً لبني مُدْلِج . قال : فكنتَ تصنَعُ ماذا ؟ قال : كانوا يَحْرُسُونها منّي ، فكنتُ أقنَع أن أَراها في الطَّريق وأُشيرَ إليها بعيني أو حاجبي ، وفيها أقول[2] : [من الطويل]

وقَفْـتُ لهـا كَيْما تَمُـرَّ لعلّنــي أُخالِسُها التّسليـمَ إن لم تُسَلِّمِ
ولمّا رأتِنــي والوُشاةَ تحدّرتْ مَدامعُهــا خوفــاً ولم تتكلَّمِ
مَساكينُ أهلُ العِشق ما كُنتُ أشتَري جميــعَ حَيـاةِ العاشقِين بدِرْهَمِ

فقال عبد العزيز : وَيْحَكَ ، فما فعَلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأولَدها سيِّدُها . قال : فهل في نفسِك منها شيء ؟ قال : نعَم ، عَقابِيل أحزان .

[حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بُهْلُول بنُ سليمان بن قِرضاب البَلَويّ : أنّ إبلاً لنُصَيب أجدَبَتْ وحالت[3] ، وكان لرجل من أَسلَمَ عليه ثمانيةُ آلافِ درهمٍ . قال : فأخبرني أبي وعمّي أنّه وفَدَ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعَلني الله فداءَك ، إنّي حَمَلتُ دَيناً في إبل ابتعتُها مُجدِباتٍ حِيال ، وقد قلتُ فيها شعراً . قال : أَنشِده ، فأنشدَه[4] :

فلمّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحتْ حِيالاً مُسِنَّاتِ الهوى كِدْتُ أندَمُ
على حينِ أن راثَ الربيعُ ولم يكن لهــا بصَعِيدٍ مــن تِهامَةَ مَقْضَمُ[5]

---

1 بيضات الأنوق ، لا تنال ، ولذلك يضرب المثل بعزتها .
2 ديوان نصيب 131–132 عن الأغاني وغيره .
3 حالت : لم تحمل .
4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .
5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيــةٌ للأسْلَمِيِّ ومـا دَنـا لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم . فلمّا رجَع أنشد الأسلميّ الشعرَ فتركَ ما له عليه ، وقال : الثمانيةُ الآلاف لك .

[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني المَوْصِليّ عن ابن أبي عُبَيدة قال : أتى نُصَيب مكّة فأتى المسجد الحرامَ ليلاً . فبينما هو كذلك إذ طلَع ثلاثُ نسوةٍ فجلسْن قريباً وجعلن يتحدّثن ويتذاكرْنَ الشعر والشعراء ، وإذا هنّ من أفصحِ النساء وآدبِهنّ . فقالت إحداهنّ : قاتل الله جميلاً حيث يقول : [من الطويل]

وبـينَ الصَّفا والمَرْوتـين ذكرتُكـم بمُخْتَلفٍ مـا بـين ساعٍ ومُوجِفُ

وعنـد طَوافي قـد ذكرتُـكِ ذُكْرةً هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضْعفُ

فقالت الأُخرى : بل قاتل اللهُ كُثَيِّرَ عَزَّةَ حيث يقول : [من الطويل]

طَلَعْنَ علينا بـين مَرْوةَ والصَّفا يَمُرْنَ على البَطْحاءِ مَوْرَ السحائبِ

فكِدْنَ لَعمْـرُ الله يُحْدِثْنَ فتنةً لُمختَشعٍ مـن خَشْيةِ اللهِ تائِبِ

فقالت الأُخرى : قاتل اللهُ ابنَ الزانية نُصَيباً حيث يقول : [من الطويل]

ألامُ عـلى لَيْلى ولـو أستطيعُهـا وحُرْمةِ مـا بـين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ

لَمِلْـتُ على لَيْـلى بنفسيَ مَيْلةً ولو كان في يوم التَّحالُق والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلَّم عليهنّ ، فردَدْنَ عليه السلام . فقال لهنّ : إنِّي رأيتُكنّ تتحادَثْنَ شيئاً عندي منه علمٌ . فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسمَعْنَ أوّلاً . فقلن : هاتِ . فأنشدهنّ قصيدتَه التي أوّلها : [من البسيط]

ويـومَ ذي سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ وَرْقـاءُ في فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك بالله وبحقِّ هذه البَنِيَّة ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المظلومةِ المقذوفة بغير جُرم «نُصَيب» . فقُمْن إليه فسلَّمن عليه ورحَّبنَ به ، واعتذرت إليه القائلة ، وقالت : والله ما أردت سوءاً ، وإنّما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعتَ . فضحك وجلس إليهنّ ، فحادثهنّ إلى أنِ انصرفن .

[8] ـ أخبار ابن مُحرز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسْلم بن مُحرز فيما رَوى ابنُ المَكّي ، ويُكْنى أبا الخطَّاب ، مولى بني عبد الدَّارِ بن قُصَيّ . وقال ابن الكلبيّ : اسمه سَلْمٌ . قال ويقال : اسمه عبد الله . وكان أبوه من سَدَنَةِ الكعبة ، أصله من الفُرس ، وكان أصفر أجناً[1] طويلاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجِشون قال : اسمُ ابن مُحرز سَلْم ، وهو مولى بني مخزوم . وذكر إسحاق أنّه كان يسكُن المدينة مَرّةً ومكَّة مرّةً ، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عزّة المَيْلاء ، ثم يرجع إلى مكّة فيقيم بها ثلاثة أشهر . ثم يشخَص إلى فارس فتعلّم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلّم ألحان الرُّوم وأخذ غناءهم ، فأُسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نَغَم الفريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألَّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمَعْ مثلُه . وكان يقال له صَنَّاج العرب .

[ابن محرز أوّل من غنى الرمل]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المَدِيني عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ، قال أبي : أوّلُ من غنَّى الرَّمَل ابن محرز وما غُنِّي قبلَه . فقلتُ له : ولا بالفارسيّة ؟ قال : ولا بالفارسيّة ، وأوّل مَن غنَّى رَمَلاً بالفارسيّة سَلْمَك في أيّام الرشيد ، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقَل لحنه إلى الفارسيّة وغنَّى فيه .

[خمول ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قال أبو أيّوب وقال إسحاق : كان ابن مُحرِز قليلَ المُلابَسَةِ للناس ، فأَخْمَل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلاّ غناؤه ، وأخذتْ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكّةَ كانت تألَفه ، فأخذه الناس عنها . ومات بداءٍ كان به . وسقَط إلى فارسَ فأخذ غناء الفُرْس ، وإلى الشام فأخذ غناءَ الروم ، فتخيَّر من نَغَمهم ما تغنَّى به غناءه . وكان يَقدَم بما يُصيبه فيدفعُه إلى صديقه ذاك فيُنفقهُ كيف شاء ، لا يسأله عن شيءٍ منه ، حتى إذا كاد أن يَنفد جهَّزه وأصلح من أمرِه ، وقال له : إذا شئتَ فارحل ، فيرحلُ ثم يعود . فلم يزل كذلك حتى مات .

---

1 أجنأ : محدودب الظهر

[ابن محرز أوّل من غنّى بزوج من الشعر]

قال : وهو أوّل مَن غنّى بزَوجٍ من الشِّعر ، وعمل ذلك بعده المغنّون اقتداءً به . وكان يقول : الأفراد لا تَتِمُّ بها الألحان . وذكر أنّه أوّلَ ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مِسْجَح . قال إسحاق : وكانت العِلّة التي مات بها الجُذام ، فلم يُعاشر الخلفاء ولا خالَط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيّوب قال إسحاق : قدِم ابن مُحرِز يريد العراق ، فلمّا نزل القادسيّة لَقيَه حُنين ، فقال له : كم مَنَّتْك نفسك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . قال : فهذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرف واحلِف ألاّ تعود .

[علو كعبه في صنعة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَن أحسنُ الناس غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ ، وإن شئتَ أجملتُ . قلت : أَجمل . قال : كأنّه خُلِق من كلّ قلب ؛ فهو يغنّي لكلِّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنّه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أحسن الناس غناءً ؟ فقال : أَمِنَ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابنُ مُحرز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سُرَيج ، ثم ابن مُحرز ، ثم معبد ، ثم الغريض ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي حدّثنا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسن الناس غناءً ، فمرّ بهند بنتِ كنانة بن عبد الرحمن بن نَضْلَةَ بن صفوان بن أُميّة بن مُحَرِّث الكِنانيّ حَليف قريش ، فسألْته أن يجلس لها ولصواحب لها ، ففعل وقال : أُغنّيكنَّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أُغنّيه عائشةَ بنت طلحة بن عُبَيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أميرَ مكّة ؟ قُلنَ نعم . فغنّاهنّ : [من الكامل]

صوت

فَودِدْتُ إذ شَحَطُوا وشَطَّتْ دارُهُمْ ... وَعَدَتْهُمُ عَنّا عَوادٍ تَشْغَلُ
أنّا نُطاعُ وأن تُنَقَّلَ أرضُنا ... أو أنَّ أرضَهُم إلينا تُنْقَلُ

لِتُـــرَدَّ مِـــنْ كُتُبٍ إليكِ رَسائلي بجَوابِهـــا ويعـــودَ ذاكَ المُرْسَلُ[1]

عَروضه من الكامل الغناء في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى البِنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحرز ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيج .

[ابن محرز وحنين الحيري]

وقال أبو أَيُّوب المَدِينيّ في خبره : بلغني أنّ ابنَ مُحرِز لمّا شَخَص يريد العراقَ لقيه حُنَين فقال له : غنّني صوتاً من غنائك . فغنّاه : [من المتقارب]

صوت

وحُسْنُ الزَّبَرْجَـــدِ في نَظْمِـــه على واضِحِ اللِّيتِ زانَ العُقُودا[2]

يُفَصِّـــــلُ ياقوتُـــــــه دُرَّه وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَريدا

عروضُه من المتقارب الشعر لعمر بن أبي ربيعة : والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر . قال : فقال له حُنين حينئذٍ : كم أَمَّلتَ من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . فقال له : هذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرفْ . ولمّا شاع ما فعل لامه أصحابُه عليه ؛ فقال : والله لو دخل العراقَ لما كان لي معه فيه خبزٌ آكلُه ، ولاطُّرِحْتُ وسقَطْتُ إلى آخرِ الدهر . وهذا الصوتُ أعني : [من المتقارب]

وحسنُ الزبرجـــدِ في نظمِهِ

من صُدور أغاني ابن محرز وأوائِلها وما لا يتعلَّق بمذهبه فيه ولا يتشبَّه به أحدٌ . وممّا يُغَنِّي فيه من قصيدة نُصَيب التي أوّلها :

أهـــاجَ هـــواكَ المنزلُ المتقادمُ

صوت

[من الطويل]

لقـــد راعَني للبيْن نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ

هَواتفُ أمّا مَنْ بَكَيْن فعهدُه قديـــمٌ وأمّا شَجْوُهـــنّ فدائمُ

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكيّ ، وهو ثاني ثقيلٍ بالبِنصر ، وهو من جَيِّد الألحان وحَسَنِ الأغاني ، وهو ممّا عارض ابنُ سُرَيج فيه ابنَ محرز وانتصَفَ منه .

1 المرسل في ل : الدخلل (وهو الذي يداخل الآخر ويعرف سره) .

2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه
وحكى أنّها من الثلاثة المختارة

صوت[1]

[من الوافر]

إلى جَيْداءَ قد بَعَثُوا رسولاً ... ليحْزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسُولُ
كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تغيَّرتِ المواسمُ والشُكولُ

الشعرُ للعرجيّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنُه المختار ماخوريٌّ بالوسطى ، وهو من خفيفِ الثَّقيل الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ الماخوريّ لابن سُرَيج .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] ـ أخبار العَرْجِيّ ونسبه[1]

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عُمَرَ بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس[2] . وقد شُرِح هذا النسبُ في نسب أبي قَطيفة . وأُمُّ عَفَّان وجميع بني أبي العاصي آمنةُ بنت عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب . وأُمُّ عثمان أَروى بنتُ كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأُمّها البيضاء أُمّ حَكِيم بنتُ عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مَناف ، وهي أُخت عبد الله بن عبد المُطَّلب أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأُمِّه وأبيه وُلِدا في بطنٍ واحدٍ . وأُمُّ عمرو بن عثمان أُمُّ أَبان بنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليُّ بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدّثني مُحرز بن جعفر عن أبيه عن جدّه قال : قَدِم جُندَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسيُّ المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطّاب ، ثم مضى إلى الشام وخلَّف ابنته أُمَّ أَبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدتَ لها كفئاً فزوِّجه بها ولو بَشرَاك نَعْلِه ، وإلاّ فأَمْسِكها حتى تُلحقَها بدار قومها بالسَّراة[3] . فكانت عند عمر ، واستُشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباها ويدعوها ابنته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلّم الناس في بعض الأمر إذ خطَر على قلبه ذكرُها ، فقال : مَن له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حُمَمة ، وليعلَم امرؤٌ مَن هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعَمْرُ اللهِ ، كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوَّجتُكها ، فعجِّله ؛ فإنّها مُعَدّة . قال : ونزل عن المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذه عمر في ردنِه[4] فدخل به عليها ، فقال : يا بُنيَّة ، مُدِّي حِجرك ، ففتحتْ حجرَها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنيَّة ، قولي اللهمّ بارِك لي فيه . فقالت : اللهمّ بارِك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنفَحَتْ[5] به وقالت : واسَوْأَتاه ! فقال : احتَبِسي منه لنفسك ووسِّعي منه لأهلِك ، وقال لحَفصة : يا ابنتاه ، أَصلحي من شأنها

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478–480 ؛ ونسب قريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي للبكري : 422 ؛ والوافي بالوفيات للصفدي 17 : 384–388 تحقيق دوروتيا كرافولسكي . وتهذيب التهذيب 5 : 338–339 وخزانة الأدب 1 : 98–99 ؛ ومقدّمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المحاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغَيِّري بَدَنَها[1] واصبُغي ثوبها ، ففعلتْ . ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمان . فقال عمر لمّا فارقتْه : إنّها أمانةٌ في عُنقي أخشى أن تَضيع بيني وبين عثمان ، فلحِقَهُنَّ فضرب على عثمان بابه ، ثم قال : خُذ أهلك بارك الله لك فيهم . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرُج إلى حاجة . فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسيَّة مُقاماً ما كنتَ تقيمه عند النساء . فقال : أما إنّه ما بقيت خَصلةٌ كنتُ أُحبُّ أن تكون في امرأة إلاّ صادفتُها فيها ما خلا خَصلةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنّي رجل قد دخلت في السنّ ، وحاجتي في النساء الولدُ ، وأحسبُها حديثةً لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسّمت . فلمّا خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنّي لمن نسوةٍ ما دخلتِ امرأةٌ منهنّ على سيِّد قطُّ فرأت حمراء[2] حتى تَلِد سيِّد مَن هو منه : قال : فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان . وأُمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أُمُّ ولدٍ . وأُمُّ العرجيّ آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمِّ ولد .

[سبب تلقبه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي : أنّه إنّما لُقِّب العرجيّ لأنّه كان يسكن عَرْج الطائف . وقيل : بل سُمِّي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرْج . وكان من شعراء قريش ، ومَن شُهِر بالغَزَل منها ، ونحا نحوَ عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبَّه به فأجاد . وكان مشغوفاً باللّهو والصَّيد حَريصاً عليهما قليل المُحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له نباهةٌ في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجَيداءُ التي شبَّب بها هي أُمُّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان ينسُب بها ليفضح ابنها لا لمحبَّةٍ كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إيّاه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مَزيد إجازةً عن حمَّاد بن إسحاق فذكر أنّ حماداً حدّثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه : أنّ العرجيّ كان أزرق كَوسَجاً[3] ناتيء الحنجرة ، وكان صاحب غزلٍ وفُتُوَّةٍ ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فقيل له العرجيّ ونُسِب إلى ماله . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بَلاءٌ حسنٌ ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عُتبة بن إبراهيم اللّهبيّ : أنّ العرجيّ فيما بلغه باع أموالاً عظاماً

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .

2 حمراء : كناية عن دم الحيض .

3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفِد ذلك كلُّه ، وكان قد اتّخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قِدرَه وقام الغلامان يوقِدان ، فإذا نام واحدٌ قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبِحا ، يقول : لعلّ طارقاً يَطرق .

[العرجيّ خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثني مصعب ، وأخبرنا الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه مصعب وعن محمد بن الضَّحَّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعض ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن مُصعب قال : كانت حبشيّة من موَلَّدات مكّة ظريفةٌ صارتْ إلى المدينة ، فلمّا أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جَزَعُها وجعلَتَ تَبكِي وتقول : مَن لمكّة وشِعابِها وأباطحِها ونُزهِها ووَصفِ نسائها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها ؟ فقيل لها : خفِّضي عليك ؛ فقد نشأ فتًى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلُك مسلَكَه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينَها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يُضَيِّعْ حَرَمَه .

[العرجيّ وكلابة مولاة عبد الله بن القاسم العبلي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بَكّار قال حدّثني عمِّي مصعب ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَورَكٍ[1] اللهبيّ : أنّ مَولاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأُمويّ العَبليّ[2] ، وكان يَبلُغها تشبيب العرجيّ بالنساء وذكرهُ لهنّ في شعره ، وكانت كلابة تُكثر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجيّ على نساء قريش حين يذكُرهنّ في شِعره ؛ ولعمري ما لقِي أحداً فيه خيرٌ ، ولئن لقيته لأُسَوِّدنَّ وجهَه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العبليّ نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكّة على طريق مَن جاء من نجران أو تبالة إلى مكّة ، والعرج أعلاها قليلاً ممّا يلي الطائف . فبلغ العرجيّ أنّه خرج إلى مكّة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلابةُ وكان خلّفها في أهله ، فصاحت به : إليكَ ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماءً فأبتْ أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أَثَرُك عندي أبداً فيلصَق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال[3] : [من البسيط]

1 قد تقدّم أنّه الحسن بن عتبة اللهبي .

2 نسبة إلى العبلات .

3 هي أوّل قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُـــورٌ بَعَثْنَ رسولاً في مُلاطَفَةٍ ... ثَقْفاً إذا غَفَـــلَ النَّسَّاءَةُ الوَهِمُ[1]

إليَّ أنْ إيتِنـــا هَــدْأً إذا غَفَلَتْ ... أحراسُنا وافتضحنا إنْ همُ عَلِمُوا

فجئتُ أَمْشي على هَـــوْلٍ أُجَشمه ... تَجَشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ

إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ له ... قد جفَّ فامْضِ بشيءٍ قُدر القَلَمُ[2]

أَمْشي كما حَرَّكَــتْ رِيحٌ يَمانيَّةٌ ... غُصْناً من البانِ رَطْباً طَلَّة الدِّيَمُ[3]

في حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ ... تَعْفُو بهُدّابِها مـــا أَثَّـــرتْ قَدَمُ[4]

خَلَّتْ سَبِيلي كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ ... إذا رأتــه عِتـــاقُ الخيـــلِ ينتحِمُ

وهُنّ في مجلسٍ خـــالٍ وليس له ... عـــينٌ عليهنّ أَخْشاها ولا نَدَمُ[5]

حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتَتِماً ... وطالبُ الحاجِ تحت الليل مُكْتَتِمُ

أَبْدَيْنَ لي أعيُناً نُجْلاً كما نَظرتْ ... أُدْمٌ هِجانٌ أتاها مُصْعَبٌ قَطِمُ[6]

قالتْ كُلابة مَنْ هذا ؟ فقلتُ لها ... أنا الذي أنتِ من أعدائه زَعَمُوا

أنا امرؤٌ جدَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَني ... حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّني السَّقَمُ

لا تَكِلِينـــي إلى قـــومٍ لَوَ انَّـهمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِموا لحمِي إذاً طَعِمُوا[7]

وأَنْعِمِي نِعْمـــةً تُجْزى بأحسنِها ... فطالما مَسَّني مـــن أهلِكِ النِّعَمُ

سَتْرُ المُحِبِّـــين في الدنيـــا لعلّهُم ... أن يُحْدِثُوا توبةً فيهـــا إذا أَثِمُوا

هذي يَمِينيَ رَهْنٌ بالوَفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأَنْفِ الكاشح الرَّغَمُ

قالت رَضِيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ... هَلاَّ تلبَّثْتَ حتـــى تَدخُـــلَ الظُّلَمُ

---

1 ثقفاً : فهماً حاذقاً ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساءة في ل : استيقظ ، والنساءة : الكثير النسيان .

2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .

3 الدميم في ل : الرهم .

4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوّنة . تعفو : تطمس . ما أثرت قدم في الديوان : ما تندب القدم ، والمراد أنّ أهدابها تطمس آثار الأقدام .

5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .

6 أبدين في الديوان : سدءن . المصعب : الفحل . القطم : المشتهي للضراب .

7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فبِتُّ أُسْقَى بأكْـــواسٍ أُعَلُّ بها … من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ والنَّسَمُ[1]
حتَّى بَـــدا ساطعٌ للفجر نَحْسَبُه … سَنا حريقٍ بلَيْــلٍ حــين يَضْطَرِمُ
كَغُرَّة الفرسِ المَنْسوبِ قد حُسِرَتْ … عنه الجِلالُ تَلالا وهـــو يَلْتَجِمُ[2]
ودَّعتهـــنّ ولا شيءٌ يُراجعنـــي … إلاّ البَنانُ وإلاّ الأعـــينُ السُّجُمُ
إذا أَرَدْنَ كلامي عندَه اعترضتْ … من دُونِـــه عَبَراتٌ فانثنى الكَلِمُ
تكاد إذ رُمْنَ نَهْضاً للقيام معي … أعجازُهنّ مـــن الأنصافِ تَنقَصِمُ

قال : فسمِع ابن القاسم العَبْلِيّ بالشِّعْر يُغَنَّى به ، وكان العَرجِيّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين وسألهم أن يُغنُّوا فيه ، فصنعوا في أبياتٍ منه عدّة ألحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأَمَةِ شيئاً أبلغَ من لإيقاعها تحت التُّهمة عند ابن القاسم ليقطعَ مَأْكَلَتَها من ماله . قال : فلمّا سمع العبليّ بالشعر يغنَّى به أخرج كُلابةَ واتَّهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غِرارَتَيْ بَعْرٍ ، فأحلفها بمكّةَ بين الرُّكْنِ والمَقام أنّ العَرْجِيّ كذَب فيما قاله . فحلفتْ سبعين يميناً ، فرَضِيَ عنها وردّها . فكان بعد ذلك إذا سمِع قولَ العَرْجِيْ : [من البسيط]

فطالما مَسَّني من أهلِك النِّعَمُ

قال : كذَب واللهِ ما مسَّه ذلك قطُّ . وقال إسحاق : وقد قيل : إنّ صاحبَ هذه القصيدة [والقصّة] أبو جراب[3] العَبْلِيّ ، وإنّ كُلابةَ كانت أَمَةً لسُعْدَةَ بنتِ عبد الله بن عَمْرو بن عثمان ، وكان العَرْجِيّ قد خطبَها وسُمِّيت به ، ثم خطبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزُوِّجته ، فقال العَرجِيّ هذا الشعر فيها . غنَّى في قوله : [من البسيط]

أَمْشي كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يمانيّةٌ

عليُّ بنُ هِشام هَزَجاً مطلقاً بالبِنصر ، وفيه للمَسْدُود هزجٌ آخر طُنْبُوريٌّ ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لا تَكليني إلى قـــوم لَوانهمُ

رَمَلٌ لابنِ سريج عن ابن المَكِّيّ وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسطى . وفي «قالت كُلابةُ» والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسَّان لحنٌ من خفيف الرَّمَل . ولنبيه في «أنا امرؤ جدّبي» وما بعده . هزج بالوُسطى ، ولدَحمان في «حُورٌ بَعَثْنَ» وما بعده ، هزجٌ بالوُسطى ،

1 طاب في ل : لذّ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتّى فطاب الطعم والنسم .
2 الفرس في الديوان : الأزهر .
3 ل : جراب .

وروى عنه الهشاميّ فيه ثقيلاً أوّل . ولأبي عيسى ابن المتوكّل في «وأَنْعِمِي نِعمةً» وبيتين بعده ، ثقيل أوّل .

وأخبرني بخبَر العرجيّ وكُلابة هذه الحرميُّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكّار عن عمِّه مُصعب ، وأخبرني به وكيعٌ عن أبي أيوب المَدِينيّ عن مُصعب وذكر نحواً ممّا ذكره إسحاق ؛ وزعما أنّ كُلابة كانت قَيِّمةً لأبي جِراب العَبْليّ وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس .

[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكّران شعراً للعرجيّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنتُ عند أيُّوبَ بنِ مَسْلَمَة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجيّ[1] : [من الخفيف]

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أينا ... أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا

فلقد خِفْتُ منكِ أن تَصْرِمِي الحَبْـ ... ـلَ وأن تَجمعي مع الصُّرْمِ بَيْنَا

ما تقولين في فتىً هامَ إذ ها ... مَ بمن لا ينالُ جهلاً وحَيْنا

فاجْعَلِي بيننا وبينكِ عَدْلاً ... لا تَحِيفي ولا يَحِيفُ علينا

واعلَمِي أنّ في القَضاءِ شُهوداً ... أو يميناً فأَحْضِري شاهِدَينا

خُلّتِي لو قدَرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لي في الخَلاء حينَ التقَينا

ما تحرّجتُ من دَمِي عَلِمَ اللـ ... ـهُ ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا

قال فقال أيّوب لأشعب : ما تظنُّ أنّها وَعَدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظنّاً أنّها وَعَدَتْه أن تأتيه في شِعْب من شِعاب العَرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصّلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطَعها عن موعِده . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيرٌ وعُوَير ، وكلٌّ غَير خَيْر[2] : فِندٌ أبو زيد مولى عائشة بنتِ سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدلُ الحَكَم ؟ قال : حُصَين بن غُرير الحِمْيَري . قال : فما حَكَم به ؟ قال : أدّتْ إليه حقّه وسقَطتِ المؤونة عنه . قال : يا أشعبُ ، لقد أَحكمتَ صِناعتَك ؛ قال : سَلْ علاّمةً عن علمِه .

[شعر العرجيّ في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبيّ قال : قال العرجيّ في امرأة من بني حبيب (بطنٍ من بَنِي نَصْر بن معاوية) يقال لها عاتِكة ، وكانت زوجة

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .

2 هذا مثل .

طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفيّ : [من الكامل]

يا دارَ عاتِكَـةَ التي بالأَزْهَرِ أو فَوْقَه بقَفا الكَثِيبِ الأَحْمر[1]
لم أَلْقَ أهلَكِ بعدَ عامَ لقِيتُهم يا ليتَ أنّ لِقاءَهـم لم يُقْدَرِ

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابن مِشْعَبَ حاضرٌ في سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُستشعِرينَ مَلاحِفاً هَرَوِيّةً بالزَّعْفران صِباغُها والعُصْفُرِ
فتَلازَما عند الفراقِ صَبابَةً أخْذَ الغَريم بفضْل ثَوبِ المُعْسِرِ

الأَزهُر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكّةَ كان في زمن ابنِ سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغِناء ، ومات في تلك الأيّام ، فأدخلَ الناسُ غناءه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبُه مَن لا يعلم إلى ابن مُحْرِزٍ ، يعني : [من الكامل]

بفِناءِ بيتك وابن مشعب حاضرٌ

قال : وهو الذي غنّى : [من المنسرح]

أَقْفَـرَ مِمّـن يَحُلُّـه السَّنَدُ فالمُنحنـى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
وَيْحِي غداً إنْ غدا عليّ بمَا أَحذَرُ من فُرقة الحَبيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب عذاله]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاريّ قال حدّثني ابن مُخارق قال : واعَدَ العرجيُّ هَوًى له شِعْباً من شِعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالُها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أَتانٍ لها معها جاريةٌ لها ، وجاء العرجيُّ على حِمار معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونَزا الحمارُ على الأَتان . فقال العرجيّ : هذا يومٌ قد غاب عُذّاله .

[ثراء العرجي]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن ابن داحَةَ قال : كان العرجيّ يَستقي على إبله في شَمْلَتين ، ثم يغتسل ويلبس حُلّتين بخمسمائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

---

1 ديوان العرجي : 177 .

يَوماً لأصْحابي ويوماً للمالْ مِدرعةٌ يومـاً ويومـاً سِرْبالْ

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أنّ العرجيّ كان غازياً فأصابتِ الناسَ مجاعةٌ ، فقال للتجار : أَعطُوا الناسَ وعليَّ ما تعطون ، فلم يزل يُعطيهم ويُطعِم الناس حتى أَخصبوا[1] ، فبلَغ ذلك عشرين ألفَ دينار ، فألزمها العَرْجيُّ نفسَه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيتُ المال أَحقُّ بهذا ، فقضى التُّجّارَ ذلك المالَ من بيت المال .

[العرجيّ وأم الأوقص المخزوميّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ وغيره : أنّ العرجيّ خرج إلى جَنَبات الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرّ ببطن النَّقيع فنظر إلى أمّ الأَوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآها رَمتْ بنفسها وتستَّرت منه ، وهي امرأة من بني تَميم ، فبَصُر بها في نسوةٍ جالسةٍ وهنّ يتحدّثن ، فعرفَها وأحبَّ أن يتأمَّلها من قُرب ، فعدَل عنها ولقي أعرابيّاً من بني نصر على بَكْرٍ له ومعه وَطْبا لَبنٍ ، فدفع إليه دابّته وثيابه وأخذ قَعُودَه ولبنَه ولَبِس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فَصِحْنَ به : يا أَعرابيُّ ، أَمَعك لبنٌ ؟ قال نعم ، ومال إليهنّ وجلس يتأمّل أُمَّ الأوقص ، وتواثَب مَن معها إلى الوَطْبين ، وجعل العرجيُّ يلحظَها وينظُر أحياناً إلى الأرض كأنّه يطلبُ شيئاً وهُنّ يشرَبْنَ من اللَّبن . فقالت له امرأةٌ منهـنّ : أي شيء تطلُب يا أعرابيُّ في الأرض ؟ أضاعَ منكَ شيءٌ ؟ قال : نعم قلبي . فلمّا سمعت التَّميميَّة كلامه نظرتْ إليه وكان أزرقَ فعرفتْه ، فقالت : العرجيُّ بن عمرَ وربِّ الكعبة ؛ ووثَبتْ وستَرها نساؤها وقلن : انْصرِفْ عنّا لا حاجةَ بنا إلى لبنكَ . فمضى مُنصرِفاً ، وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أقـول لصاحبَيَّ ومثلُ ما بي شكاهُ المرءُ ذو الوَجْـدِ الأليمِ
إلى الأَخَوَيْنِ مثلِهما إذا مـا تأوّبَـــه مُؤرِّقَـــةُ الهمــومِ
لَحيني والبلاءِ لقِيـتُ ظُهْراً بأعلى النَّقْع أُختَ بنِـي تَمِيمِ
فلمّـا أن رأتْ عينـايَ منهـا أَسِيلَ الخَدِّ في خَلْـقٍ عَمِيمِ
وعَيْنَيْ جـُؤذَرٍ خَـرِقٍ وثَغْراً كلَونِ الأُقْحُوانِ وجيـدَ رِيمِ[3]
حَنا أترابُهـا دُونـي عليهـا حُنـوَّ العائـداتِ على السَّقِيمِ

1 أخصبوا في ل : أحصي .
2 ديوان العرجيّ : 97–100 .
3 خرق : مفزع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقال له ابنُ عامر للأوقص وقَضى عليه بقَضِيّة فتظلَّم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمر العَرجيّ لكنتَ قد أسرفتَ عليّ . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزوميّ وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزوميّ ليلةً بعدما رقَد السّامرُ فأشرفتُ عليه . فقال : سَهِرتُ وذكَرتُ أخاً لي أستمتعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتَيْن للعرجيّ[1] : [من الكامل]

باتا بأنعَم ليلةٍ حتى بدا صُبْحٌ تَلوّح كالأَغَرّ الأشقَرِ
فتلازَما عندَ الفِراق صبابةً أخْذَ الغَريمَ بفَضْلِ ثوبِ المُعسِرِ

فقال : أعِدْه عليّ ، فأعدتُه . فقال : أَحسنَ والله ! امرأتُه طالقٌ إنْ نطقَ بحرف غيره حتى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وقَف بنا وهو مُنصرِفٌ من ماله يريد المدينة ، فسلّم ثم قال : كيفَ أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَكَ ؟ فقلت : منذُ الليلة . فقال : إنّا لله ! وأيُّ كَهلٍ أُصيبتْ منه قريشٌ ! ثم مضَينا ، فلقِينا محمد بن عمران التَّيميّ قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلاةٌ فيها قيد البغلة ، فسلَّم ثم قال : كيف أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال : [من الكامل]

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفتَ إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَك ؟ قلتُ : آنفاً . فلمّا أراد المُضيّ قلتُ : أَفتدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أن يتهوَّر في بعض آبار العقيق ؛ قال : صدقتَ ، يا غلام ، قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعَه في رِجله وهو ينشد البيت ويُشير بيده إليه يُري أنّه يفهم عنه قِصّته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمِله على بغلتي وألحِقْه بأهله . فلمّا كان بحيث علمتُ أنّه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبَّحَك الله ماجناً ؛ فضَحْتَ شيخاً من قُريش وغرَرْتَني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عُروة بن عبد الله بن

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أُذينة قال : أنشد ابن جُنْدَبٍ الهُذَليّ ابن أبي عتيق قول العرجيّ[1] : [من الطويل]

وما أنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها لخادمها قُومِي آسْأَلِي لي عن الوَتْرِ
فقالت يقول الناسُ في ستٍّ عَشْرةً فـلا تعجَلِي منـهُ فإنّكِ في أجْرِ
فما ليلةٌ عنـدِي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةُ الأَضْحى ولا ليلةُ الفِطْرِ
بعادلةِ الإثنين عنـدي وبالحَـرَى يكـونُ سواءٌ منهمـا ليلةُ القَدْرِ

فقال ابن أبي عتيق : أُشهدكم أنّها حُرّةٌ من مالِي إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه والله أَفْقَهُ من ابن شِهاب .

[شعر العرجيّ في زوجته أمّ عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : تزوّجَ العرجيّ أُمّ عثمان بنت بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمُّها سُكَينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها[2] : [من الخفيف]

إنّ عثمـانَ والزُّبَيْرَ أحَـلاَّ دارَهـا باليَفـاعِ إذ وَلَداها
إنَّها بنـتُ كلِّ أَبْيضَ قَـرْمٍ نال في المجد من قُصَيٍّ ذُراها
سَكَنَ الناسُ بالظَّواهِـرِ منهـا وتَبَـوَّا لنفسِهِ بَطْحـاها

قال إسحاقُ : ولّما تزوّج الرشيدُ زوجتَه العُثمانية أعْجِب بها . فكان كثيراً ما يتمثَّل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العبلي]

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حُدّثت أنّ أبا عَدِيّ العَبْلِيّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جِلْذان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجيّ وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العَرْجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخَيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : وَيْحَك ؛ ما يَحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن وَرْدان مولى معاوية ، وهما يأكلان القَسْبَ والجُلْجُلان[3] . ثم بعث إليه بخُبْز ولبن ، وبعث لرواحله بحَمْض ، وقدّم إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .
2 ديوانه : 52 . وأوّل القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .
3 القسب : التمر اليابس ؛ الجلجلان : السمسم .

القَتَّ[1] والشَّعير . فكتب إليه أبو عديّ : [من الطويل]

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِل الركبَ إذ أتَوْا منازلَهم والرَّكْبُ يَحْفَوْنَ بالرَّكْبِ
رفعتَ لِئامَ الناسِ فوقَ كِرامِهِمْ وآثَرْتَهـمْ بالجُلْجُـلان وبالقَسْبِ
فأمّـا بَعِيرانـا فبالحَمْض غُذِّيـا وأُوثِرَ عَبَّادُ بنُ وَرْدانَ بالقَضْبِ

فكتب إليه العرجيّ[2] : [من الطويل]

أتانـا فلـم نَشْعُرْ بـه غيرَ أنّه لـه لِحيَةٌ طالـتْ على حَمِقِ القَلْبِ
كَرايـةِ بَيْطـارٍ بأَعْـلى حديـدةٍ إذا نُصِبتْ لم تَكْسِبِ الحمدَ بالنَّصْبِ
أتانـا على سَغْبٍ يُعَـرِّض بالقِرَى وهل فوق قُرْصٍ من قِرى صاحبِ السَّغْبِ

قال : فارتحل أبو عديّ مُغضَباً وقال : مزَحتُ معه فهجاني ، وأنشأ يقول في العرجيّ : [من الطويل]

سَرتْ ناقتِي حتّى إذا مَلّتِ السُّرَى وعارَضها عَرْجُ الجبانـة والخِصْبِ[3]
طَواهـا الكَرى بعـدَ السُّرى بمُعَرَّسٍ جَديبٍ وشيخٍ بئس مُسْتَعْرِضُ الرَّكْبِ
وهَمَّـتْ بتعريسٍ فحلَّـتْ قُيودَهـا إلى رجـلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كَلْبِ
تَمَطَّـى قليـلاً ثـم جـاء بصَرْبـةٍ وقُـرْص شعيرٍ مثل كِركِرَةِ السَّقْبِ[4]
فقلـتُ لـه أُرْدُدْ قِـراكَ مُذَمَّما فلستُ إليـه بالفَقِيرِ ولا صَحْبِـي
جـزى اللهُ خيراً خيرَنـا عنـد بيتِه وأنْحَرَنا للكُومِ في اليومِ ذي السَّغْبِ
لقـد عَلِمَـتْ فِهْـرٌ بأنّك شرُّها وآكَلُ فهـرٍ للخبيثِ مـن الكَسْبِ
وتلبَس للجـاراتِ إتْبـاً ومِئزَراً ومِرْطاً فبئس الشيخُ يَرْفُل في الإتبِ[5]
يُدَخِّـنَّ بالعُـودِ اليَلَنْجُوجِ مَـرَّةً وبالضِّرْوِ والسَّوْداءِ والمائع الرَّطْبِ[6]
فإنْ قلتَ عثمـانُ بنُ عَفَّانَ والدي فقد كان عثمانٌ بريئـاً مـن الوِشْبِ[7]

1 القت : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .
2 ديوان العرجيّ : 175–176 ، عن الأغاني .
3 ل : الخيانة .
4 صربة : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ؛ والسقب : ولد الناقة.
5 الاتب : ثوب لا جيب له ولا كمّين .
6 يُدخنَّ في ل : يبخر . الضرو : شجر طيب الريح . والسوداء : الحبة السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .
7 الوشب والوبش بمعنى .

وقِدْماً يَجِيءُ الحيُّ بالنَّسْلِ مَيِّتاً ويأتي كريمُ الناسِ بالوَكَلِ الثِّلْبِ[1]
له لِحْيَةٌ قد مُزِّقَتْ فكأنّها مِقَمَّةُ حَشَّاشٍ مُحالِفَةُ العُشْبِ[2]

فلمّا بلَغ ذلك العَرْجيَّ أتى عمَّه عليَّ بن عبد الله بن عليٍّ العَبْليِّ فشَقَّ قميصَه بين يديه وشَكاه إليه . فبعث إلى أبي عَدِيّ فنهاه عنه وقال : لئن عُدْتَ لا كلَّمْتُك أبداً ، فكفَّ عنه .

[كان العرجيّ من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يَسار : رجلٍ من أهل مكّةَ وكان هَيِّناً أديباً قال : كان للعرجيّ حائطٌ يقال له العَرْج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية ، فكانت إبلُهم وغَنَمهم تدخل فيه فيَعقِر كلَّ ما دخلَ منها ، فكانت تَضُرّ به ويَضُرّ بأهلها ويَشْكونه ويشكوهم . وكان من أفْرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم ، فكان ربّما برى مائةَ سهمٍ من الرُّمَّان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتُلَ بها مائة خَلِفَةٍ[3] من إبلِ بني نَصر ، فيفعلُ ذلك .

[حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدّثني ابن غُرَير قال : لمّا حُبِس العرجيّ وضُرِب وأُقيم على البُلُس[4] قال : [من الطويل]

مَعِي ابن غُرَيْرٍ واقِفاً في عَباءةٍ لَعَمْري لقد قَرّتْ عُيونُ بني نَصْرِ

فقال فتى من بني نصر يُجيبه ، وكان حاضراً لضَرْبه وإقامتِه : [من الطويل]

أجَلْ قد أَقَرَّ اللهُ فيكَ عُيونَنا فبئسَ الفتَى والجارُ في سالِف الدّهْرِ

وقال إسحاق في خبره : قال رجلٌ للعرجيّ : جِئتُكَ أخطُب إليكَ مودّتَكَ . قال : بل خُذْها زِناً ؛ فإنّها أحْلى وألَذُّ !

[تمثل امرأة بشعر العرجيّ عند لومها على الرفث في الحجّ]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ عن عبد الله بن سلم قال : قال عبد الله بن عمر العُمَريّ : خرجْتُ حاجّاً ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بكلام أرفَثَت فيه ، فأَدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمةَ الله ، ألستِ حاجةً ! أما تخافين الله ؟ فسفَرتْ عن وجهٍ يَبْهَر الشمسَ حُسْناً ، ثم قالت : تأمّلْ يا عمِّ ؛ فإنّني ممَّن عَنا العرجيُّ بقوله[5] : [من الطويل]

---

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .
2 العشب في ل : القشب .
3 الناقة الخلفة : الحامل .
4 البلس : المسوح تعبأ بالتبن .
5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها ... وأَدْنتْ على الخَدَّيْن بُـرْداً مُهَلْهَلا
مِن اللاَّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ... ولَكِـــنْ لِيقتُلْـنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا

قالَ فقلتُ لها : فإنّي أسأل الله ألاّ يُعَذِّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلَغ ذلك سعيد بن المسيَّب فقال : أمَا والله لو كان من بعض بُغضاء العراق لقال لها : أعزبي قَبَّحَكِ الله ؛ ولكنّه ظَرْفُ عُبَّاد أهل الحجاز . وقد رويتْ هذه الحكاية عن أبي حازم الأَعْرَج وهو سَلَمَةُ بن دينار ، وقد روى أبو حازمٍ عن أبي هريرة وسَهْل بن سعد وغيرهما ، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب . والحكاية عنه في هذا المعنى أصحُّ منها عن عبد الله العُمَري ، حدّثنا بهذا وكيعٌ .
والغناءَ في هذه الأبيات لعَرار المكّيّ ثاني ثقيلٍ . وفيه خفيف ثقيل لمعبدٍ ، وفيها لعبد الله بن العبّاس الربيعيّ ثقيـل أوّل ، ويقال إنّ خفيف الثقيل لابن سُريج ، ويقال للغَريض .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجيّ]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العبّاس : دعاني المتوكّل ، فلمّا جلست مجلسَ المنادمة قال لي : يا عبد الله ، تَغَنَّ فغنّيْتُه في شعرٍ مدحتُه به ؛ فقال : أين هذا من غنائك في : [من الطويل]

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجهِها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أَقْفَر مِمَّنْ يَحُلُّه سَرِفُ

[هجاء العرجيّ محمد بن هشام وتشبيبه بأمّه]

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّ صَنْعتي حينئذٍ كانت وأنا شابٌ عاشقٌ ؛ فإن استطعتَ رَدَّ شبابي وعِشقي صنعتُ مثلَ تلك الصنعة . فقال هيهاتَ ، وقد لَعَمري صدقتَ ، ووصلني . والأبيات التي فيها الغنـاء المذكور من شعر العَرْجيّ يقوله في جَيْداء أُمِّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان يهجوه ويشبِّب بأمّه وبامرأته ، وكان محمد تَيَّاهاً شديد الكِبر جَبَّاراً ، فلم يزل يتطلَّب عليه العِلَلَ حتى حبسه وقيَّده بعد أن ضربه بالسَّوط وأقامه على البُلُس للناس . واختلف الرُّواة في السبب الذي أعتَلَّ به عليه ؛ وقد ذكرتُ ذلك في رواياتهم .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحّاك الحزاميّ عن الضَّحَّاك ابن عثمان ، وذكره

حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ، ونسختُه أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا : كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلمّا وَلِيَ الخلافة ولاّه مكّة ، وكتب إليه أن يَحُجَّ بالناس ، فهجاه العرجيّ بأشعارٍ كثيرة .

منها قوله فيه : [من الوافر]

كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تَغَيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْداءَ قد بَعثوا رسولاً ... لِيُخْبِرَها فلا صُحِبَ الرّسُولُ

ويروى : «ليحْزُنَها» وهكذا يغنّى .

ومنها قوله[1] : [من الطويل]

ألا قُلْ لِمنْ أَمْسى بمكّة قاطناً ... ومن جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المُشَلَّلِ[2]
دَعُوا الحَجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقاتِكم ... فما حجُّ هذا العامِ بالمُتَقَبَّلِ
وكيف يُزَكَّى حَجُّ مَنْ لم يكنْ له ... إمامٌ لدى تَجْميره غيرُ دُلْدُلِ[3]
يَظَلُّ يُرائِي بالصِّيام نَهارَه ... ويَلبَسُ في الظَّلماءِ سِمْطَيْ قَرَنْفُلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزُّبير في خبره عن عمِّه ومحمد بن الضّحّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيّوبَ بن عَباية : كان العَرْجيُّ يشبِّب بأُمّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها جَيْداء[4] : [من السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنَّكِ إن لا تَفعَلِي تَحْرَجِي
إنِّي أُتيحتْ لي يمانِيةٌ ... إحْدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حولاً كاملاً كلّه ... ما نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قولُه عَرِّجِ

---

1 ديوان العرجيّ : 189 (عن الأغاني) .
2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .
3 الدلدل : شبيه بالقنفذ .
4 ديوان العرجيّ : 17–20 .

نَقْضٍ إليكـم حاجـةً أو نَقْلْ هـل لِيَ ممّا بِيَ مـن مَخْرَجِ

قال إسحاق في خبره : فحدّثني حَمْزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : أُنْشِد عطاءُ بنُ أبي رباحٍ قولَ العرجيّ : [من السريع]

في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال : الخير والله كلُّه بمِنًى وأهلِهِ حَجَّتْ أو لم تَحُجَّ . قال : ولَقِيَ ابن سُرَيج عَطاءً وهو راكب بمِنًى على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلاّ وقفتَ لي حتى أُسْمِعَك شيئاً . قال : وَيْحَك ؛ دَعني فإنّي عَجِلٌ . قال : امرأته طالق لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأُمْسِكَنَّ بلِجام بغلتِك ثم لا أفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدي حتى أُغنِّيَك وأرفعَ صوتي لا أُسِرُّه . قال : هاتِ وعجِّل ؛ فغنّاه : [من السريع]

في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ كلُّه والله بمِنًى ، لا سيَّما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خَلِّ سبيلَ البغلة .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنتُ مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجيّ : [من السريع]

إنّـي أتيحـتْ لي يمانِيَـةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحجِ
نلبَـث حـولاً كامـلاً كلَّـه لا نلتقـي إلاّ على مَنْهَـجِ
في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال عطاءٌ : خيرٌ كثيرٌ بمنًى إذ غيَّبَها اللهُ عن مشاعره .

[تشبيبه بجبرة المخزومية زوجة محمد بن هشام]

قال : وقال في زوجتِه جَبْرة المخزوميّة (يعني زوجة محمد بن هشام)[1] : [من الكامل]

صوت

عُوجِي عليّ فسلِّمي جَبْرُ فِيـمَ الصدودُ وأنتـمُ سَفْرُ
ما نَلْتَقِـي إلاّ ثَلاثَ مِنًى حتـى يُفَـرِّقَ بيننا النَّفْرُ
الحولُ بعـد الحـول يَتْبَعُه ما الدهرُ إلاّ الحولُ والشهرُ

قال حَمَّاد بن إسحاق في خبره : حدّثني ابن أبي الحُوَيْرِث الثَّقَفِيّ عن ابن عمّ لعُمارة بن

1 ديوان العرجي : 42–45 .

حمزة قال حدّثنا سليمان[1] الخشّاب عن داود المكّي قال : كنّا في حلقة ابن جُرَيج وهو يحدّثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّةٌ من العراقيين ، إذ مرَّ به ابنُ تيزن المغنـي وقد ائتزر بمئزر على صدره ، وهي إزرة الشُّطّار عندنا ، فدعاه ابن جُرَيج فقـال لـه : أحِبُّ أن تُسْمِعَني . قال : إنّي مستعجِلٌ ، فألحّ عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غنَّاك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليَمين ! غنّني الصوت الذي غنّاه ابن سُرَيج في اليوم الثاني من أيّام منًى على جَمْرة العَقَبة فقطع طريق الذاهب والجائي حت تكسّرت المحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ

فقال له ابن جُرَيج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ويحك ، أَعِدْه . قال : من الثلاثة فإني قد حلفْتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنتَ ؛ فأعِدْه من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثُّقَلاء عندك لأطلتُ معك حتى تَقْضيَ وَطَرَك . فالتفت ابن جُرَيج إلى أصحابه فقال : لعلّكم أنكرتُم ما فعلتُ ، فقالوا : إنّا لَنُنْكِره عندنا بالعراق ونَكْرَهه . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطغان محمد بن هشام حبس العرجيّ حتى مات.]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمِّه جَيداء [بنت عفيف] : أنتِ غَضَضْتِ منّي بأنّكِ أُمِّي ، وأَهلكْتِني وقتلتِني . فتقول له : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّي من قريش ما وَلِيَ الخلافة غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجيّ من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلّباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأَقْسَمَ : لا يخرُج من الحَبْس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسعِ سنين حتى مات فيه .

[روايات أُخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجيّ]

وذكر إسحاق في خبره عن أيّوب بن عَباية ووافقه عمر بن شبَّة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجيّ لاحى مولًى كان لأبيه فأمصَّه العرجيّ ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مَواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأَوثقه كتافاً ، ثم أمر عبيده أن ينكِحُوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعْدَتِ امرأتُه على العرجيّ محمد بن هشام فحبسَه .

---

1 ل : سليم .

وذكر الزُّبير في خبره عن الضَّحَّاك بن عثمان : أنّ العرجيّ كان وكَّل بحُرَمِه مَولًى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يُخالفُ إليهنّ ، فلم يزل يَرصُده حتى وجده يحدّث بعضهنّ ، فقتَله وأحرقه بالنار . فاستعْدتْ عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزوميّ وكان والياً على مكّة في خلافة هشام ، وكان العرجيّ قد هجاه قبل ذلك هِجاءً كثيراً لمّا ولاّه هشامٌ الحجَّ فأحفَظَه . فلمّا وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلُس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزُّبير أيضاً في خبره عن عمِّه وغيره أنّ أشعب كان حاضراً للعرجيّ وهو يشتُم مولاه هذا ، وأنّه طال شَتْمُه إيّاه . فلمّا أكثر ردَّ المولى عليه ، فاختلط من ذلك ، فقال لأشعب : اشْهَد على ما سمعت . قال أشعب : وعَلامَ أشهد ؟ قد شتمتَه ألفاً وشتمَك واحدة ، والله لو أنّ أمّك أمُّ الكتاب ، وأمّه حَمَّالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجيّ]

قال الزُّبير وحدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : لمّا أخذ محمد بن هشام المخزوميّ العرجيّ أخذه وأخذ معه الحُصَين بن غُرَير الحِمْيَريّ ، فجلدهما ، وصبَّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلُس في الحنّاطِين[1] بمكّة ؛ فجعل العرجيّ يُنشِد : [من الوافر]

سينصُرُني الخليفةُ بعد رَبِّي ... ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقي

عليَّ عَباءَةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نِصْفَ ساقِي

وتغضَب لي بأجْمَعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

ثم يصيح : يا غُريرَ أجْياد ، يا غُرَيرَ أجْياد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تَدَعُنا ، ألا تَرى ما نحن فيه من البَلاءِ ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخَلِيطاً . وذكر إسحاق تمامَ هذه الأبيات وأوّلها[2] : [من الوافر]

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوْراء بِكْرٍ ... ألُوف السِّتْرِ واضحةِ التَّراقِي

بَكَتْ جَزَعاً وقد سُمِرَتْ كُبُولٌ ... وجامِعَةٌ يُشَدُّ بها خِناقِي[3]

على دَهْماءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ ... ثناها القَمْحُ مَزْلَقَةِ المراقي[4]

عليَّ عَباءَةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نصفَ ساقِي

---

1 الحناطون : باعة الحنطة ، وقوله في الحناطين يعني السوق الخاصة بهم .

2 ديوان العرجيّ : 135-137 .

3 الجامعة : الغلّ .

4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كأنّ على الخدود وهُنّ شُعْثٌ سِجالَ الماءِ يُبْعَث في السَّواقِي
فقلتُ تجلُّداً وحلَفتُ صبراً أبالي اليومَ ما دَفعَتْ مآقِي
سيَنْصُرني الخليفةُ بعد ربِّي ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقِي
وتغضَب لي بأَجْمَعِها قُصَيٌّ قَطِينُ البيت والدُّمْثِ الرِّقاقِ
بمُجْتَمَع السُّيولِ إذا تَنَحَّى لِئامُ الناسِ في الشُّعَبِ العِماقِ

قال : فكانَ إذا أَنْشد هذا البيت التفت إلى ابن غُرير فصاح به : يا غُريرَ أَجْياد ، يا غُرَير أَجياد ، يعني بني مَخْزُوم ، وكانت منازلُهم في أجيادَ ، فعيَّرهم بأنّهم ليسوا من أهل الأَبْطَح .

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكرَ أنّ رجلاً مرَّ بالعَرْجيّ وهو واقفٌ على البُلُس ومعه ابن غُرير وقد جُلدا وحُلِقا وصُبَّ الزيت على رؤوسهما وأُلْبِسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعَرْجيّ ، وكان فَأفاءً ، فوقف عليه فأراد أن يتوجَّع لما ناله ويدعو له ، فلَجْلَجَ لِما كان في لسانه كما يفعلُ الفأفاء . فقال له ابن غُرَير : عنّي ، لاخرجتْ من فِيكَ أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذاً لا بَرِحتَ منه أبداً .

قال : ومرَّ به صبيان يلقُطون النَّوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غُرَير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْن أشأمَ منِّي ومنكَ ! إنّ هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كلِّ يومٍ على كلِّ واحدٍ منهم مُدٌّ نَوًى ؛ فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ، وقد وقَفوا ينظرون إليّ وإليكَ وينصرفون بغير شيءٍ فيُضربون ، فيكونُ شؤمُنا قد لَحقَهم .

قال : وقال العَرْجيّ في حبسه[1] : [من الوافر]

صوت

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أَضاعُوا ليومِ كَريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصبرٍ عندَ مُعْتَرَكِ المَنايا وقد شُرِعَتْ أَسنَّتُها بنَحْرِي
أُجَرَّرُ في الجَوامِعِ كلَّ يومٍ فيا للهِ مَظْلِمَتِي وصَبْرِي
كأنِّي لم أَكُنْ فيهم وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرِو

[أبو حنيفة وجار له كان يغنّي بشعر العرجيّ]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المُحرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : كان لأبي حَنِيفة جارٌ بالكوفة يغنّي ، فكان إذا انصرف وقد سَكِرَ يُغنّي في غرفته ، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيُعجبُه . وكان كثيراً ما يغنّي : [من الوافر]

1 ديوان العرجيّ : 34-36 .

أَضاعُونِي وأيِّ فتًــى أضاعُوا ليــومِ كَرِيهــةٍ وسِدادِ ثَغْــرِ

فلقِيَه العَسَسُ ليلةً فأخذوه وحُبس . ففقَد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأُخبِر ؛ فدَعا بسَواده وطويلته فلبسهما ، وركِب إلى عيسى بن موسى فقال له : إنّ لي جاراً أخذه عَسَسُك البارحة فحُبس ، وما علمتُ منه إلاّ خيراً . فقال عيسى : سلِّموا إلى أبي حنيفة كلَّ من أخذه العَسَس البارحة ، فأُطلِقُوا جميعاً . فلمّا خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سرّاً : ألستَ كنتَ تغنّي يا فتىً كلَّ ليلةٍ : [من الوافر]

أضاعوني وأيَّ فَتًى أَضاعُوا

فهل أَضَعْناكَ ؟ قال : لا والله أيُّها القاضي ، ولكن أحسنتَ وتكرّمتَ ، أحسنَ اللهُ جزاءَك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تغنِّيه ؛ فإنّي كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأساً . قال : أفعلُ .

[عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجيّ «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لمّا حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكْثِر التَّمَثُّل بقول العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهــةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاعَ نفسه بسوءِ فعله ، فكانت أنفسُنا عندنا آثَر من نفسه .

[حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنَّاسٍ بالبصرة يكنُس كَنِيفاً ويغنِّي : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليــومِ كريهــةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقلت له : أمّا سِداد الكَنِيف فأنت مَليءٌ به . وأمّا الثغر فلا علمَ لي بك كيفَ أنتَ فيه ، وكنتُ حديث السنّ فأردتُ العبث به ، فأَعْرَضَ عنّي مليّاً ، ثم أقبل عليّ فأنشد متمثِّلاً : [من الطويل]

وأُكْرِمُ نفسي إنّنِــي إن أَهنتُها وحَقِّك لم تَكْرُمْ على أحدٍ بَعْدِي

قال فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوانِ شيءٌ أكثرُ ممّا بذلتَها له ، فبأيّ شيء أكرمتَها ؟ فقال : بَلى ، والله إنّ من الهوانِ لشرّاً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس . قال محمد بن مزيَد : فحدّثني حمّادٌ قال قال لي أبي : اختصَر الأصمعيُّ ، فيما أَرى ، الجواب ، وستَر أقبحه على نفسه ، وإلاّ فكنَّاس كنيفٍ قائمٌ يكنُسه ويعبث به هذا العَبث ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيب بمثله الأحنفُ بن قيس لو كانت المخاطبة له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضطغِناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلُغه عنه في حياة هشام ، فلمّا وَلِيَ الخلافة قبَض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشخِصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسِّياط . فقال له محمد : أسألُك بالقَرابة . قال : وأيُّ قرابةٍ بيني وبينَك ؟ وهل أنت إلاّ من أَشْجَعَ ؟ قال : فأسألك بصِهْر عبد الملك . قال : لم تَحفَظْه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُضْرَبَ قرشيٌّ بالسِّياط إلاّ في حَدّ . قال : ففي حدٍّ أَضْرِبُك وقَوَدٍ ، أنت أوّلُ من سَنَّ ذلك على العرجيّ ، وهو ابن عمِّي وابنُ أميرِ المؤمنين عثمان ، فما رَعَيْتَ حقَّ جَدّه ولا نَسبه بهشام ، ولا ذكرتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا وليُّ ثَأْرِه ، اضربْ يا غُلام ؛ فضربهما ضرباً مبرِّحاً ، وأُثْقِلا بالحديد ، ووجَّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يَتْلَفا ، وكتب إليه : احبِسْهما مع ابن النَّصرانية ، يعني خالداً القَسْريّ ، ونفسَك نفسَك إن عاش أحدٌ منهم . فعذَّبَهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضَّرْب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها . ولمّا اشتدّت عليهما الحال ، تَحامَلَ إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالدٌ القسريّ معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لمّا حملهما إلى يوسف بن عمر : [من المنسرح]

قد راحَ نحو العِراقِ مَشْخَلَبَهْ ... قُصارُه السِّجْنُ بعدَه الخَشَبَهْ[1]

يركَبُها صاغِراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطامٍ وحَوْلَه جَلَبَهْ

فَقُلْ لدَعْجاءَ إن مررتَ بها ... لن يُعْجزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ

قد جعلَ اللهُ بعدَ غَلْبَتِكم ... لنا عليكم يا دُلْدُلُ الغَلَبَهْ

لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَدٍ ... ولا إلى نَوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ

لكنّما أَشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الـ ... ـكَلْبِيَّ لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَهْ

[الرشيد وإسحاق حين غنّاه بيت العرجيّ]

قال إسحاق في خبره : غنّيتُ الرشيدَ يوماً في عُرْضِ الغناء : [من الوافر]

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أَضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجيّ ؟ فأخبرتُه بخبره من أوّله إلى أن

---

1 مشخلبة : أداة تتّخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمّى الجارية مسخلبة بما عليها من الحلي أو الخرز . والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرَّ منه شيءٌ . فأتبعتُه بحديث مَقتَلِ ابنَيْ هشام ، فجعل وجهُه يُسْفِر وغيظُه يسكُن . فلمّا انقضى الحديث ، قال لي : «يا إسحاق ! والله لولا ما حدّثتني به من فعل الوليد لَما تركتُ أحداً من أماثلِ بني مخزومٍ إلاّ قتلتُه بالعرجيّ .

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه : [من الطويل]

صوت

إذا ما طَواكِ الدهرُ يا أُمَّ مالكٍ فشأنَ المنايا القاضِياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتَنْقَضي وحُبُّكِ ما يَزْدادُ إلاّ تَمادِيا
خليليَّ إن دارتْ على أُمّ مالكٍ صُرُوفُ الليالي فابغِيا لِيَ ناعِيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعَجَّلٍ ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقائيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يَروي البيت الأوّل منها لقَيْس بن الحدادية وهو جاهليّ . والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حَبَشٌ وابنُ المكّيّ أنّ فيه لإسحاق لحناً آخرَ من الثقيل بالخنصرْ والبِنْصَر .

* * * *

الفهرس